



السيخ

عقائدهم وتاريخهم



ولأول مرة

التعريب الكامل للكتب المقدسة السيخية

جب جي - نها غفت غيفا - الفرائد الفريدية

محمّد سعيد الطريحي



أكاديمية الكوفة




ketab.me
Best Books

السيخ

تاريخهم وعقائدهم

اسم الكتـــاب: **السيخ: تاريخهم وعقائدهم**

اســـم المؤلـــف: **محمد سعيد الطريحي**

القيـــــــاس: ١٤,٥ × ٢١,٥

عدد الصفحات: ٣٤٤

لوحة الغلاف: هانس كاتيب (أود بيير لاند)

١٠٠٠/٢٠٠٩م - ١٤٣٠هـ

دار نينوى
للدراسات والنشر والتوزيع



سورية . دمشق . ص ب ٤٦٥٠

تلفاكس: ٢٣١٤٥١١ ١١ ٩٦٣ +

هاتـــف: ٢٣٢٦٩٨٥ ١١ ٩٦٣+

E-mail:ninawa@scs-net.org
www.ninawa.org

العمليات الفنية:

التنضيد والإخراج والطباعة وتصميم الغلاف

القسم الفني - دار نينوى

السيخ

تاريخهم وعقائدهم

مع التعريب الكامل للكتب المقدسة السيخية

جـــب جـــي

بها غفت غيفا

الفرائد الفريدية

إعداد وتعريب

دائرة المعارف الهندية

بإشراف

محمّد سعيد الطريحي

العنوان الأصلي للكتاب

Sikh
Their History amd Tenets

Mohammed Said alTouraihi

المقدمـــة

تعتبر ديانة السيخ نموذجاً للديانات التوفيقية التي تقوم على الانتقاء والتأليف بين العناصر الروحية والفكرية المستمدة من مصادر مختلفة، ويعود تأسيس هذه الديانة إلى المفكر الهندي نانك Nanak (١٤٦٩ - ١٥٣٨).

ومثلما كانت المانوية قد وَفَّقَت بين عناصر من المسيحية وأخرى من الزرداشتية فإن مؤسس السيخ نانك وَفَّق بين عناصر مستمدة من الإسلام وأخرى مستمدة من الهندوسية، وتبدو العناصر الإسلامية واضحة في قيام ديانة السيخ على فكرة التوحيد، والاعتراف بإله واحد أحد، وإن كان اسم هذا الإله غير محدد، فهو تارة رام Ram وتارة براهما Brahma وتارة هاري Hari وهذه الأسماء وأمثالها تعود إلى مصادر هندوسية؛ أما العناصر الدينية الهندوسية في ديانة السيخ، فتتمثل في فكرة التحرر أو الخلاص، حيث يتم الخلاص عن طريق ما يسمى بـ (البهاكتي Bahakti)، ويمثل البهاكتي في المصادر الهندوسية، طريق المحبة والورع والإيمان وهذه الفكرة موجودة في التراث الهندوسي القديم، وقد وجدت

أفضل تعبير عنها في كتاب البهاكا فادجيتا Bhagavad Gita المقدس.

يتألف كتاب السيخ المقدس: جرانت Granth، من القصائد والخواطر التي ألفها المؤسس نانك وأستاذه الشاعر الهندي كبير Kabir، بالإضافة إلى أعمال من تلاه من الزعماء الروحيين، الذي يسمى كل واحد منهم (الكورو Guru) أي ما يقابل المفتي الأكبر أو المرجع الأعلى في الإسلام والبطريرك في المسيحية، وقد توقفت الإضافة إلى هذا الكتاب بعد الكورو العاشر، واكتمل (الجرانت).

ومن الهندوكية أخذت العقيدة بتحديد حياة الفرد - فهي - كالهندوس والجينيين - ترى أن الشخص حين يموت، لا يموت منه إلا جسده المادي أما الروح فهي باقية، ولكنها تلبس جسداً آخر، قد يكون إنساناً أو حيواناً ضئيلاً أو حقيراً.. كل ذلك حسب عمل الشخص قبل موته. كذلك أخذوا من الهندوسية الإيمان بتجدد الخليقة في مواسم معينة، وهذه عقيدة كانت شائعة في الشرق الأوسط القديم من قبل.

ويرى الباحث في ديانات الهند أن الديانة السيخية كانت نتيجة ظروف اجتماعية ودينية؛ فالذين عناهم شأن العقيدة أمثال كبير ونانك، لم يكونوا مستريحين إلى الطقوس التي تفرق بين العباد، والتي ينشأ عنها العزلة وسفك الدماء، والتفرقة بين جماعة وأخرى، وكلهم يعبدون إلهاً واحداً، إذ الكون كله من صنع إله واحد هو خالق كل شيء، ولهذا ففي نظرهم أن اختلاف رجال الدين الكبار في العقيدتين الهندوسية والإسلامية ما كان ينبغي أن يحدث، ما داموا جميعاً يعملون لغرض واحد هو عبادة الإله الحق. ويرون أن قلب الديانتين واحد، ويبدو أن اختلاط هذين المفكرين - كبير ونانك - بالمسلمين وبالهنود في كثير من المواقف والأعمال التجارية والاجتماعية والشؤون السياسية، جعلهم

ينفذون إلى ما وراء المظاهر وأن ينفعلوا بأسس العقيدتين، وأن ينتهوا إلى أنهم جماعة واحدة لا ينبغي لها أن تتفرق وتختلف، ولكن ـ ياللعجب ـ قضت الظروف السياسية والاجتماعية على مبادئ الوحدة التي وضعها كبار مفكريهم، ورأى دعاة الوحدة أنفسهم مضطرين أن ينعزلوا عن الطائفتين وأن يُكَوِّنوا فرقة جديدة ثالثة، بل أكثر من هذا أنهم لجأوا إلى السلاح والحرب ليدافعوا عن أنفسهم وعن عقيدتهم، وهكذا انتهى الأمر بالذين نفروا من الكراهية وسفك الدماء، أن البعض ممن ينتسب إليهم من السفاحين وكانت قمة العنف الدموي أن اغتال عدد من السيخ رئيسة وزراء الهند الراحلة أنديرا غاندي، ولم يكن هذا التصرف المشين هو رأي السيخ بل هو رأي جماعة متطرفة منهم، وهكذا فهمت الأمة الهندية هذا الأمر وعادت المياه إلى مجاريها واكتمل الوئام وأوصدت باب الشر فإذا بأمة المليار ونصف وأكثرهم من الهندوس ينتخبون رئيساً من الأقلية السيخية وهنا تكمن سر عظمة الهند وإنسانيتها وديمقراطيتها. فالسيخية ديانة قائمة بحد ذاتها لها مبادؤها وعقائدها كما هو شأن سائر الأديان ولا يهمها بعد ذلك تطرف جماعة صغيرة متمردة حتى تؤخذ بجريرة أفعالها فالسلام والمحبة والتوجيه وأهداف أساسية للدين السيخي الذي أخذ أفكاره من الهندوسية والإسلام معاً، ونظراً لقلة المعلومات المتعلقة بهذه الطائفة الدينية قمنا بإعداد هذه الدراسة التي كتبناها عن قرب في الديار الهندية وأضفنا لها من مقالات بعض الكتاب ما أغناها لتأخذ مكانها في دراسات الأديان باللغة العربية.

ولعل هذا المجموع الذي أشرفت على جمعه (دائرة المعارف الهندية) هو أوسع مجموع يظهر عن ديانة السيخ باللغة العربية، وكانت بداية العمل به البحث الذي نشرناه في هولندا في حينه ولاقى كثيراً من الاقبال

والاستحسان، وقد أضفنا له بعض البحوث والمقالات المكملة لمؤلفين هنود وغربيين وعرب تختلف وجهات نظرهم حيناً وتتطابق في أكثر الأحيان وتتناول وضع الطائفة السيخية وعقائدها وأحوالها العامة، ولا يسعني في هذه العجالة إلا أن أشيد بجهود أصدقائي وأعضاء دائرة المعارف الهندية الذين باركوا لي هذا الجهد المتواضع وساهموا بمقالاتهم فيه ولا سيما صديقي الأستاذ غورايال سنغ، وصديقي البروفسور نثار أحمد فاروقي.

محمد سعيد الطريحي

رئيس دائرة المعارف الهندية

الديانـــة السيخية في بـدايـاتها...

مزيج من الهندوسية والصوفية الإسلامية

محمد سعيد الطريحي

ينتسب «السيخيون» إلى «السيخ» وهو مصطلح يعني «العارف» أو «المريد» وقد أطلق المصطلح لأول مرة على أتباع المعلم نانك (١٤٦٩ - ١٥٣٩م) الذي ظهرت دعوته في البنجاب (الهند) ومازال أتباعه يتركزون هناك حيث توجد العاصمة الروحية للسيخ (Amritsar أمراتسر) كما يتوزعون على كثير من العواصم العالمية الأخرى. ويتميزون عادة باللحى الكثة والعمائم الملونة الكبيرة ويزينون معاصمهم بالأساور الفولاذية، هذه الطائفة الدينية التي يبلغ عدد أفرادها اليوم حدود ٢٥ مليون من البشر ما هي حكايتها وظروف نشأتها، ومجمل عقائدها، ومسيرتها عبر خمسة قرون من ظهورها، ذلك ما نحاول أن نوجزه في البحث التالي معتمدين في ذلك على الزيارات الميدانية لمعابدهم الخاصة وعبر اللقاء المباشر بعدد من علمائهم ومثقفيهم .

مؤسس الديانة السيخية (المعلم نانك)



هو نانك بن مهتاكالو، ولد في الخامس عشر من أبريل/نيسان سنة ١٤٦٩م في قرية (تلفاندي) التابعة إدارياً إلى محافظة ججر انفالا بولاية البنجات الغربية (تبعد ٤٠ ميلاً جنوب غربي لاهور) «باكستان» من بيت هندوسي ميسور الحال فقد كان والده من ملاكي الأراضي، ولما بلغ (نانك) السابعة من عمره قررت عائلته أن يلبس (الزنار) وهو طقس هندوسي شبيه بالمعمودية عند المسيحيين، فرفض (نانك) ذلك قائلاً: «أرفض لبس الزنار مفتول الخيوط بل ألبس زنار القناعة المفتول من خيوط التقوى والبر والإنسانية».

ولما بلغ سن السادسة عشرة قررت أسرته أن يتزوج من فتاة تنتمي لنفس القرية فتزوج بها في أول أبريل/نيسان سنة ١٤٨٥هـ، وكان يساعد والده في رعاية أمور الزراعة ورعاية الأراضي لكنه كان شارد الذهن دائم التفكير والتأمل معتزلاً الناس، فرغب والده توجيهه للأعمال التجارية لعلّه بذلك يصرفه عن انطوائيته وعزلته فأعطاه بعض النقود وأرسله إلى قرية (تشوهركانا) المجاورة بعض النقود وأرسله إلى قرية (تشوهركانا) المجاورة لعقد بعض الصفقات التجارية، فذهب نانك إلى هناك وحينما وصل تلك القرية هاله ما رأى فيها من المُعْدَمين والجياع فرقَّ حاله وأنعم عليهم بالنقود التي حملها معه لعقد الصفقات التجارية ورجع

فوراً إلى قريته وأخبر والده بما آل إليه أمر النقود بأنه عقد صفقات صادقة مع الله تعالى وسوف تعود عليهما جميعاً بالثواب الجزيل.

فسخط عليه والده لذلك وبعد مدة بعثه إلى زوج أخته وهو (جي رام) الذي كان قاطناً في (سلطان يورلودهي) وكان لديه صيت طيب لدى حاكم البلدة فتوسط (جي رام) لصهره (نانك) فعيّنه الحاكم أميناً لمخزن الغلال، وعرف نانك خلال عمله بتوزيعه الكثير من الغلال مجاناً للفقراء فشاع ذكره في أوساط البلدة واتصل خبره بحاكم البلدة فأمر بتفتيش المخازن التي يشرف عليها (نانك) لكنه لم يجد ما يدينه به، وقد صحب (نانك) خلال تلك الفترة عدداً كبيراً من الأصدقاء المسلمين وتعرف عن طريقهم على الدين الإسلامي، ومن أهم أصدقاءه في تلك الفترة المسمى (مردانا) الذي كان صوفياً وموسيقياً بارعاً أيضاً ويرد اسم (مردانا) في كثير من القصص التي يرويها السيخ عن (نانك) ويظهر جلياً في بعض الروايات أن (نانك) ترك عمله المذكور وطفق يجوب القرى والإمارات الهندية واحدة بعد الأخرى بصحبة رفيقه (مردانا) فزارا البنغال وأسام واترا برديش ومدهيه برديش.

وكان (نانك) خلال تلك الرحلة يحارب الوثنية التي انتشرت في المجتمع الهندوسي كما كان عدواً لدوداً للخرافات والبدع، ومما يروى بهذا الصدد أنه زار معبد (هري ديفار) وهو قدس الأقداس للهنادكة ويقع على ضفة نهر (الكانج) المقدس عندهم والذي يحج إليه الهندوس بالملايين ليغتسلوا فيه بقصد محو آثامهم واكتساب ثواب الآخرة بزعمهم، فشاهد بعض الحجاج هناك يتعبدون للشمس بطريقة اغتراف الماء بواسطة الكفين ورميها باتجاه الشرق (مشرق الشمس) فوقف بينهم وأخذ يغترف الماء باتجاه المغرب (مغرب الشمس) مما آثار حيرة وتساؤل

أولئك الحجاج، ثم أوضح لهم: أنه يرمي الماء باتجاه مزرعته الكائنة في قرية كرتاربور في البنجاب لكي يروي مزروعاته، فعادوا وسألوه: كيف يصل الماء إلى مزرعته وهي في البنجاب؟ فقال: إذن كيف يصل الماء الذي ترمونه إلى الشمس؟ وبهذه الطريقة كان يستميل الناس إلى طريقته وأخذ أتباعه يزدادون عدداً مع دواعي الإعجاب الأخرى التي تستميلهم في شخصيته المثالية الرزينة، ومع نسكه وتقواه وزهده ونقاء سريرته وقد شهد خلال جولاته الواسعة جانباً من غزوات الإمبراطور المغولي المسلم (بابر) وكان لهذا الأمر ولاتصاله الواسع بالمسلمين ما رغّبه لزيادة الإطلاع على الأمكنة الإسلامية المقدسة فزار مكة المكرمة ومدينة الرسول صلى الله عليه وآله وسلم كما زار بغداد وبقي فيها فترة من الزمن وتعرف إلى الصوفية فيها وله إلى الآن مقام مقدس في بغداد يرتاده السيخيون طوال العام وسيأتي الحديث عنه بالتفصيل، كما زار النجف الأشرف وكربلاء وسامراء والكاظمية والكوفة ثم غادر العراق وعرج على القدس الشريف ورجع بعدها إلى مكة ثانية ومنها إلى الهند وقد تكونت لديه خلال هذه الرحلة أُسُس مذهب جديد هدفه التقريب بين الهنادكة والمسلمين وقد سَمَّى نحلته الجديدة (السيخ) ومعناها (تلميذ) أو (متعلم) وكانت من عقائدها البارزة الكفران بالآلهة الهندوسية جميعاً والاعتراف بالله الواحد الأحد وأظهر بطلان نظام الطبقات الهندوس وأن الناس سواسية في الخلق وأنه يرى الله وحده في جميع المخلوقات، لكنه أقّر بعقيدة التناسخ، ووضع كتاباً باللغة البنجابية الكورمكية أسمه (كرانت صاحب) و(صاحب) كلمة عربية تستعمل في أكثر اللغات الهندية للاحترام كما تستعمل كلمة (المجيد) أو (الكريم) بالنسبة إلى القرآن.

وقد أوضح مجمل عقائده في كتابة المذكور ونحى فيها منحىً صوفياً.

كما عرف (نانك) أيضاً بموهبة الشعر وتأثر بالشعراء الفرس الذين ازدهرت بهم بلاط (دلهي) وسارت أشعارهم في الحواضر الهندية المختلفة وتنسب له ٩٧٦ ترنيمة دينية مثبتة في (كرانت صاحب) وربما أضيفت لهذا الكتاب الكثير من رؤى ومنظومات خلفاء (نانك) ولعل القسم الأهم من الإضافات، هي إضافات الخليفة الخامس آرجان ديف (١٥٦٣ ـ ١٦٠٦م).

إن الدين السيخي في بداياته أقرب إلى فرقة صوفية إسلامية منه إلى مذهب يُقِرّ بعدد من عقائد الهنادكة وبالإضافة إلى ما وضعه خلفاء (نانك) من التقاليد والتعاليم الجديدة. فإنه أخذ يشكل ديناً قائماً باته بعيداً عن الإسلام والهندوكية معاً ثم كان نواة لخلق جماعة دينية سياسية لعبت دوراً كبيراً في البنجاب وبلغت مبلغاً كبيراً من القوة والتنظيم بحيث أنها استطاعت أن تؤسس دولة خاصة بها بقيادة المهراجا رنجيت سنغ على ما سيأتي ذكره.

التأثيرات الإسلامية في ديانة (نانك)

من بين النقاط المشتركة التي تجمع بين الفكر الإسلامي ومذهب نانك عقيدة التوحيد وبيان الذات والصفات الإلهية وعلى ما يرويه أتباعه فإنه خرج إلى إحدى الغابات بعد أن اغتسل بمياه النهر المقدسة، واختفى لمدة ثلاثة أيام رأى رؤيا حملته إلى الحضرة الإلهية فتلقى الرسالة بأن «الله لا إله إلا هو، الواحد الحق منذ الأزل تعالى عن الخوف والبغضاء، وهو الباقي لم يلد ولا يولد يقوم بذاته عظيم كريم جواد، وإنه تعالى هو الخالق والحافظ والأزلي الموجود بذاته والحي الذي لا يموت ومصدر النور والوجود» وكل تلك الصفات الإلهية مما أخذه (نانك) عن الإسلام وكذلك إيمانه بالعدالة الاجتماعية وثورته على نظام الطبقات البرهمي

هو الآخر مؤشر على تأثره بالدين الإسلامي وكان يؤكد دائماً على أن الدين (لا يقتصر على الكلمات فقط والرجل الصالح هو الذي يعتقد أن كل الناس سواسية) وهذا التأكيد هو سّر ازدياد اتباعه المستمر من بين الطبقات المنبوذة والمضطهدة.

وقد أكد (نانك) على نبذه للشرك والوثنية ومما جاء في JANAMSAKHIS «عندما زار سريلانكا سأله الملك هل أنت برهمي أو بوذي؟ فأجابه: لقد حل المرشد البار هذه العقدة العويصة بأن كل إمرئ يؤمن بذات واحدة تُصان روحه من الضلال ولابد أن يلقى رضا ربه ذو الجلال».

ومن يتصفح الكتاب السيخي (كرانت صاحب) يَجِد فيه الكثير من الألفاظ العربية والفارسية والتركية وذلك نتيجة طبيعية لصلة مؤسس الديانة بالمسلمين وتلقيه علم الكلام الإسلامي على يد عالم مسلم اسمه السيد حسن وتأثره البالغ بالحياة الإسلامية التي عاشها خلال تطوافه في العالم الإسلامي، وإليكم مجموعة من الألفاظ الإسلامية الواردة في الكتاب المذكور: «الله آدم ـ أولياء ـ تسبيح ـ حاج ـ حديث ـ حق ـ خالق رحمن ـ رحيم ـ رسول ـ رمضان ـ زكاة ـ مالك ـ سبحان ـ سجدة ـ سلام ـ سماع ـ شريعة ـ شيخ صدقة ـ صوفية ـ طريقه ـ عرش ـ عزرائيل ـ عيد فقر ـ قادر ـ كلمة ـ مريد ـ مسجد ـ مسلم ـ مصلى ـ معرفة ـ مكة ـ ملك الموت ـ موسى ـ مولانا ـ نعمة ـ وضوء ـ وظيفة ـ صلوات ـ وأخيراً كلمة (حاضر ناظر) التي وردت في «كرانت صاحب» للتعبير عن أن الله تعالى (موجود في كل مكان)».

كما لا يخفى تأثر (نانك) بالصوفي الكبير الشيخ فريد الدين مسعود شكر المتوفى ٦٦٤هـ، وبلغ به حد الإعجاب أن ذكر الكثير من

القصائد الفريدية في الكتاب المقدس الذي وضعه لاتباعه، وقد لمست تقدير السيخ للشيخ فريد إلى حد إنهم يزورون قبره الموجود حالياً في باكستان، ويرفعون في بيوتهم أشعار هذا الصوفي ضمن لوحات جميلة كالذي رأيته في منزل المفكر السيخي المعروف (كيشوانت سنغ) بمدينة دلهي الجديدة، وتظهر سمات التقارب واضحة بين السيخية والطريقة الجشتيه الشائعة اليوم في راجستان والتي تنتسب إلى معين الدين الجشتي الأجميري المتوفى سنة (٦٣٤هـ ـ ١٢٣٧م) ومن ذلك تقديس كلاهما للكورو ـ أو البير (المرشد) الذي يشرف على ترقيتهم الروحية ويولون الإطعام مسألة كبيرة من الأهمية فالمطعم (LANGAR) سمة بارزة لمعابد السيخ ومن المعروف أن المعبد الأكبر في (أمراتسر) يمتلك أكبر مطعم في الهند وباستطاعته أن يطعم أكثر من عشرين ألف شخص في اليوم وعلى مدى الأشهر المتوالية، وفي الزوايا الجشتية تجد نفس التقليد ولكن ليس بذلك الاستعداد والإمكانية، وكلاهما يمارس تقديم النذورات التي يسميها السيخ «كراه براساد» كما يقدمون الصدقات في أبواب المعابد وأضرحة الأولياء.

ويذكر السيخ باعتزاز لزائريهم صداقة (نانك) للمسلمين وزيارته لأمكنتهم المقدسة ومكثه في تكايا المتصوفة وتسلمه للخرقة (الكساء الخاص بالصوفية) وإن تلك الخرقة المنقوشة بالآيات القرآنية وبخط جميل جداً محفوظة حتى اليوم في معبد (تشولا صاحب) وكان نانك قد تسلمها خلال إقامته في زاوية الشيخ إبراهيم ابن حفيد الشيخ فريد الدين (المذكور) والذين يُطلقون عليه اسم (بابا فريد) وتقع تلك الزاوية في بلدة باك بتن (بمديرية ساهيوال في باكستان الآن) أن كل هذه التأثرات تبقى في حدودها الضيقة اليوم مع ديانة توحدت حول منظور خاص طبعها

بتقاليد وعبادات وطقوس متميزة تطورت عَبْرَ الزمن لتأخذ شكلها الماثل الآن من بين مئات بل آلاف المعتقدات التي تعجُّ بها الهند.

الأيام الأخيرة للمعلم نانك

استقر (نانك) في العقد الأخير من حياته في كرتار يور وتفرغ بشكل نهائي للتبشير بدينه الجديد واتخذ مقره على ضفة نهر رواي وسط مئات الآلاف من أبتاعه المخلصين وبينهم عدد لا يستهان به من المسلمين المتصوفين والهنادكة وحين توفى عام ١٥٣٩ ثار النزاع حول تأدية طقوس الجنازة فقد أصرًّ الهنادكة على حرق جسده حسب تقاليدهم بينما قال السيخ من أصل إسلامي بوجوب دفنه وأثناء تنازعهم رفع أحدهم الكفن عن وجه (نانك) فوجدوا باقة زهور بدلاً من الجثمان. وقد كرّست هذه الحادثة في نفوس أتباعه أهمية نبذ الخلافات بينهم ووجهتهم صوب تقديس كتابهم (كرانت صاحب) بدلاً من تقديس جثمان صاحبهم والطواف حوله وعبادته.

وهكذا مات (نانك) في عمر السبعين تاركاً جماعة لا يستهان بها من المريدين، ومخلفاً ولدين أنشأ أحدهما وهو (سري جند) فرقة (أوداسي)، وقد حسم (نانك) موضوع خلافته في حياته حيث أنه أبلغ وصيه (انكد) بأن روحه ستحل فيه بعد وفاته وسيكون هو (الكورو) أو (المعلم) وسيقود الطائفة السيخية من بعده، ومن هنا منشأ الاعتقاد القائم لدى السيخ بأن روح (نانك) بقيت حية تحل في كل من يخلفه من سلسلة خلفائه الذين تولوا قيادة اتباعه وقد بلغوا تسعة رؤساء رسميين وهم على التوالي:

الخليفة الأول الكورو انكد:



تولى كورو أنكد قيادة السيخ ثلاثة عشر عاماً حتى وفاته سنة ١٥٥٢م وتنسب له كتابة سيرة نانك وأقواله الموجودة الآن بالخط البنجابي المسمى (الكوزوموكهي)، ومن بين أهم العقائد التي أوضحها هذا الكورو وحدانية الله كما كان رآها (نانك) فقد عبّر (نانك) عن فهمه لله بعدد من المصطلحات ومنها نرنكر أي (الواحد الذي لا شكل له) ومنها أكال أي (الزلي) ومنها الخ «ما لا يوصف» وأن الله تعالى تجلى في الخلق وأنه حاضر في كل مكان (ساراب فيآباك) ويمكن لعين الشخص اليقظ روحياً أن يرى الله في كل مكان بعد أن يتأمل ملياً في الباطن حتى يبلغ درجة الاستنارة التي تؤدي إلى الخلاص.

وعلى كل حال كانت الفترة التي عاشها الخليفة السيخي الأول فترة استقراء وتوجه للمحافظة على التراث المكتوب والشفاهي الذي تركه المعلم (نانك) وقبيل وفاته أمر بتعيين الخليفة الثاني بعده المسمى عمر داس.

الخليفة الثاني عمر داس:



إذا اعتبرنا فترة خلافة الكورو أنكد المرحلة التأسيسية لبلورة وتجميع وتثبيت فكر نانك وتعليماته فإن مهمة (عمر داس) كانت هي مرحلة التبشير بهذا الفكر خارج البنجاب فقد اتخذ نيفاً وعشرين مركزاً تبشيرياً في شتى أرجاء الهند للدعوة السيخية، وشعوراً منه بالوحدة الدينية السيخية ولكسب ما أمكنه من الفقراء أسس المطاعم الشعبية لإطعام الناس مجاناً وهي المطاعم المسماه (LANGAR) وهو التقليد المتبع اليوم في كافة المعابد السيخية ويظهر أن «عمر داس» كان يفكر بطريقة متقدمة على عصره فقد أظهر من الود والكياسة للدولة الإسلامية ما جعل الإمبراطور المغولي المسلم (اكبر) أن يزوره في مقره بكويندوال على نهر بياس وأن يهبه ضيعة كبيرة مما زاده هيبة ومكانة في نفوس أتباعه ومن يجاورونهم من الهندوس، وهذه المكانة جعلته أن يُعلن صراحة عن استهجانه للعادة الهندوكية في حرق الأرامل لأنفسهن بعد وفاة بعولتهن وهي العادة المسماة (ساتي) وما كان لأحد أن يقول مثل هذا الأمر في ذلك العصر لشدة البراهمة وتعصّبهم يومذاك وتخلف المجتمع الهندوسي المقتنع تماماً بآراء كهنته الذين كانوا يقودونه كالأغنام قيادة عمياء بعيدة عن الإنسانية.

وقد أدرك «عمر داس» بثاقب فكره ضرورة تأسيس مواسم يتحلّق

عندها الأتباع ويزيد بها ترابطهم وتماسكهم فأقام احتفالات متميزة للولادة والزواج والوفاة. وأسس نظام «مانجي» وهو نظام أولي للرقابة الرعوية، وحَدَّدَ ثلاثة احتفالات هندوسية باعتبارها كذلك احتفالات للسيخ وعلى عهد عمر داس نُبذت الطبقية فكان هذا إيذاناً لتطور جماعة السيخ، فالمعلمون الروحيون أنفسهم كانوا جميعاً ينتمون إلى طائفة الكشتري والتي تشتغل بالتجارة والكهانة وتقديم القرابين والصدقات وحمل السلاح للدفاع عن المعابد وكافة الشعب، وكان الكثير من تلامذة المعلمين الروحيين هم من تلك الطبقة، وخلال الفترة نفسها بدأ أتباعها القادمون من الطبقة الدنيا المسماة فيشية (وهي أسفل الطبقات بحسب نظام الطبقات الهندوسي ووظيفتها خدمة الطوائف السابقة في أمس حاجاتها وتسمى الآن بطائفة المنبوذين) لقد استمالتهم تعاليم السيخ وبدأوا باعتناق السيخية فراراً من الأذى والحقارة التي لحقت بهم من الطبقات الهندوسية العليا وكان جميعهم من الفلاحين الكادحين المضطهدين، وقد كثر عددهم داخل الجماعة وأصبحت هوية السيخ متأثرة بوجود هؤلاء.

توفي عمر داس عن عمر ناهز الرابعة والثمانين وقد دامت خلافته اثنتين وعشرين سنة (١٥٥٢ ـ ١٥٧٤م) بعد إنجازات كبيرة لطائفته وخلفه صهره زوج ابنته رام داس.

الخليفة الثالث رام داس:



واصل رام داس خطى سلفه الموفقة وتوثقت على عهده أواصر الصداقة بالإمبراطور المغولي المسلم (أكبر) الذي أقطعه إقطاعية كبيرة من الأرض استغلها لإقامة بحيرة صغيرة لكي يغتسل فيها اتباعه الأغسال الدينية المفروضة عليهم وقد أطلق على تلك البحيرة الصغيرة اسم (الرحيق المقدس) أو (أمراتسر) وقد أقام الكورو رام داس مدينة صغيرة حول (الماء المقدس) عرفت باسم رام داس بور التي تمت بعد وفاته وأصبحت تعرف باسم (امراتسر) وهي مركز مقاطعة البنجاب الهندية اليوم والعاصمة الروحية للطائفة السيخية.

الخليفة الرابع الكورو أرجان ديف:



خلف رام داس ولده أرجان ديف معلماً للأمة السيخية وقد استهل أعماله بإكمال ما بدأه والده في تأسيس المعبد الذي نذره لله (هار مندر) والمعروف الآن بالمعبد الذهبي في أمراتسر، وأعلن أن الاغتسال في حوض رام داس يمحو الذنوب جميعاً وبهذا بدأ السيخ يجلون المعبد المذكور ومياهه المقدسة حتى أصبح سمة عبادية مخصوصة بهم

ومركزاً حقيقياً لحياتهم القومية.

وتعتبر فترة هذا الكورو بداية مرحلة جديدة في تاريخ السيخ (١٥٨١ ـ ١٦٠٦م) تمثل علامة انتقال جديدة ذات سمات اقتصادية وعسكرية، ففي عهده استطاع أن يحدث تحولاً خطيراً في النظام الاقتصادي لجماعة السيخ عن طريق اهتمامه بتجارة الجياد التي كانت تحقق ثروات طائلة آنذاك، مما ساعد على ظهور طبقة تجارية داخل المجتمع السيخي الذي كان يعتمد على الزراعة، كما استطاع أن يوفر لجماعته ما يحتاجه من أموال عن طريق هبات الأتباع التي تحولت فيما بعد إلى ضرائب ينظم حياتها ويحدد مقدارها قوانين عامة وكان يرسل مئات المناصرين له إلى أنحاء الهند وأفغانستان وآسيا الوسطى للمتاجرة وجمع الأموال والدعوة للسيخ.

ومن الخطوات العلمية المهمة التي قام بها من أجل تثبيت دعائم العقيدة السيخية تأليفه لكتاب (كرانت) وقد جعل أصل ما كتبه الكورو أنكد مادة أولية لهذا الكتاب وأضاف إليه تراتيل وأدعية الخلفاء الذين قبله وزاد عليها أقوالاً كثيرة وطائفة كبيرة من مقالات وأشعار الحكماء والشعراء الهندوس والمسلمين الذين سبقوا (نانك) وكان هدفه الأساسي أن يعلن للعالم ما عزم عليه السيخ من الإصلاح الديني وتخليص المجتمع الهندوسي ما شابه من الخرافات والشعوذات والتأكيد على الأخوة الإنسانية، بصرف النظر عن عقيدة الإنسان وطبقته، وقد أسمى الكتاب لأول مرة باسم (آدي كرانت) أي (السفر القديم) تمييزاً له عن السفر المسمى (دسم كرانته) أي (كرانته الكورد العاشر) وقد بلغ به الطموح أن دخل معترك السياسة وساعد الأمير خسرو ضد والده الإمبراطور جهان كير (١٦٠٥ ـ ١٦٢٧م) ومده بالسلاح والأموال، فأسرع جهان كير يتعقّب ولده وأرسل إليه جيشاً بقيادة الشيخ

فريد النجاري الذي عينه وزيراً للجيش، فسار إلى لاهور مطارداً (خسرو) الذي فر إلى أفغانستان وهناك قريباً من كابل اعترضه نهر (جناب) ولما أراد أن يستخدم السفن للعبور أبي الملاحون عليه ذلك، فاغتصب سفينة وقهر ملاحها على العبور هو ومن معه، ولكن في وسط النهر غافلهم الملاح وألقى بنفسه في النهر، وسبح بعيداً عنهم وتركهم وهم لا يحسنون الملاحة فظلت سفينتهم تتأرجح في الماء حتى استسلموا لقوات (جهان كير) وسيقوا إلى كابل مقيدين بالأغلال، وانتهى أمر (خسرو) بالبقاء في سجنه حتى مات، وقيل أنه مات بالسم، وكانت نهاية (خسرو) المفجعة إيذاناً بالنهاية المتوقعة للخليفة الرابع أرجان ديف بعد أن وضع جميع إمكانياته تحت تصرف الأمير المنشق (خسرو) ففقد بذلك آخر مواقعه فقُبض على أرجان ديف ومات في السجن وقيل حكم عليه الإمبراطور بالإعدام عام ١٦٠٦م ولهذا يعبر عنه السيخ بأنه أول الشهداء لديهم.

وقد خلف أرجان ديف مجاميع عديدة من الإرشادات والحكم والنصائح الدينية ومن أكثرها شهرة بالإضافة إلى ما تقدم من أثاره هو كتاب (سكهمني صاحب) وترجمتها الحرفية (طمأنينة النفس) وهو من إضافاته على (كرانت صاحب) وموضوعه تمجيد ذكر الله ويحتوي على أشعار ينشدها السيخ في المناسبات الدينية على اللحن الديني المسمى (غوري) وقد قام بتعريب هذا الكتاب صديقنا الأديب السيخي غورديال سنغ ونشر ضمن مطبوعات دائرة المعارف الهندية عام ١٩٩٨[1].

---

(١) ومنه نسخة فارسية مخطوطة في المكتبة الوطنية بباريس عثر عليها سردار ام راو سنك وقارنها بالأصل السيخي ونشرها.

الخليفة الخامس هر كوبند:

تولى بعد أبيه أرجان ديف وكان عهده بداية العناية الحربية الذي عرفت واشتهرت بها الأمة السيخية فيما بعد، لقد كانت نهاية والده المأساوية على يد (جهان كير) أن أجّجت في قلب وقلوب اتباعه روح الانتقام من السلطة المغولية المتمرة، وقد نشأ هذا الخليفة بطبيعته ميالاً للقوة والجندية، وحباً للفروسية والصيد وقد اتخذ لقب (ساجا باد شاه) أي الملك الحق وهو اللقب الذي اتخذه والده من قبلُ غير أنه رسَّخه أكثر في نفوس أتباعه وساعده في ذلك شخصيته القوية مستغلاً النهاية المؤلمة الذي قضى بها والده فجنَّد طائفة من الساخطين وكل من يحمل الكراهية ضد السلطة المغولية، وشيد حصن هركو قنديور على نهر بياس وراح يعيث في السهول سلباً ونهباً وكان له اصطبل يضم ثمانمائة جواد، وحاشية تبلغ ثمانمائة رجل من حملة البنادق يسهرون على حياته وأمنه الخاص، وبلغ خبره مسامع الإمبراطور (جهان كير) فاستدعاه وحاول استمالته ثم اعتقله في حصن كواليار وأطلق سراحه بعد ذلك ليعود إلى عادته القديمة من الفتك والتدمير، وبعد وفاة جهان كير خلفه على العرش جهان شاه فتحداه هركوبند وأنزل الهزيمة بالجيوش التي أرسلها إليه حاكم لاهور ثلاث مرات في ستة أعوام، ولكنه خشي انتقام شاه جهان فاعتصم بالجبال وعاش فيها آمناً حتى أدركته المنية ١٦٤٥م.

الخليفة السادس هار راي:



بعد وفاة هركوبند تولى أمر الطائفة حفيده (هار راي) وكان على خلاف جده ميالاً إلى الدعة والتأمل والعزلة وكان وثيق الصلة بالأمير دارا شكوه (١٦١٥ - ١٦٥٩) أكبر أبناء الإمبراطور شاه جهان، وكان هذا الأمير عارفاً وصوفياً وفيلسوفاً ومفكراً من طراز رفيع، وكان يميل إلى الاتحاد بين الهندوس والمسلمين ووضع خلاصة أفكاره في كتابه (مجمع بحرين) والذي قرب فيه بين الفيدانتا الهندوكية والصوفية الإسلامية، ولهذا كان (دارا شكوه) قريب من قلب (هار راي) بعكس شقيقه أورنك زيب الذي تولى إمبراطورية مغول الهند بعد وفاة والدهما جهان شاه، وكان شقيقه الموصوف بالتعصب هذا قد طارد (دارا شكوه) فاستنجد بهار راي فساعده الأخير على عبور نهر ياس حتى بلغ مأمنه، وبذلك أثار حفيظة (أورنك زيب) فاستعاده إلى دلهي ليبرر مسلكه العدائي، على أنه أناب أبنه رام راي فاستبقى في البلاط الإمبراطوري رهينة حتى يجنح أبوه إلى السلم وتوفى هار راي في ٦ أكتوبر/١٦٦١م، ودفن في قرية كيرات بور صاحب.

الخليفة السابع هار كريشان:



هو الابن فنازعه على ذلك شقيقه الأكبر (رام راي) واحتكم في ذلك إلى (أورنك زيب) فاستدعى إلى دلهي لتصفية النزاع بينه وبين أخيه فأصابه الجدري وتوفى هناك في ٣٠ مارس/آذار ١٦٦٤م ولم يتجاوز الأصغر للخليفة السابق ولد في ٧ يوليو/تموز ١٦٥٦ وتولى رئاسة السيخ في ٦/اكتوبر/١٦٦١م عمره ٨ سنوات.

الخليفة الثامن تكه بهادر بن هركوبند:



بُويع بالرئاسة بعد وفاة سلفه من بين عشرين مرشحاً وظل خصومه ينادون بأحقيتهم بالرئاسة، فنغّصوا عليه حياته حتى لاذ بطائفة السوالكية وهو يحس في نفسه المرارة وشيد هناك ضيعة (أننديور)، وطفق من هناك في رحلات واسعة شملت هضبة الدكن وشرقي البنغال وأقام مدة في بتنه (بيهار) وأثناء إقامته في المدينة الأخير رُزق بولده (غوبند سنغ)

في ٢٢ ديسمبر سنة ١٦٦٦ وبعد عدة سنين رجع إلى (آنندبور صاحب) الواقعة على ضفة نهر سفلج وسرعان ما بسط نفوذه باعتباره الخليفة الثامن لـ)نانك) حتى وصل إلى سيلان في الجنوب وأسام في الشرق مما حمل الإمبراطور المغولي (أورنك زيب) على اعتقاله ونقله إلى دلهي وقتله بعد ذلك في نوفمبر سنة ١٦٧٥. وقد ورد في الأخبار الكورمكية قصة تقول أنه لمّا مثل في حضرة الإمبراطور تنبأ بمجيء الإنجليز وتدمير سلطنة المغول على يدهم وهذا القول الذي صَرَّح به في هذه المناسبة أصبح هو صيحة الحرب التي تنادى بها السيخ في الهجوم الذي شنوه على دلهي سنة ١٨٥٧م بقيادة اللواء جون نيكلسون.

الخليفة التاسع والأخير غوبند سنغ:



ولد في بتنه كما تقدم وتسلم رئاسة السيخ وهو صبي وحمل منذ صغره كراهة ومرَّة للحكم المغولي في دلهي بعد مقتل أبيه على يد الإمبراطور (أورنك زيب) وتعد فترة رأسته من الفترات التاريخية المهمة في تاريخ السيخ فقد اتجه بكل قوة لتأسيس كيان عسكري منظم أكثر رسوخاً من ذي قبل، فاستطاع بفضل مؤسساته الاجتماعية والعسكرية أن يخلق من قومه أمة من المحاربين الأشداء الذين حكموا البنجاب نحواً من قرن، وكان قد بدأ حياته معتصماً بالجبال خوفاً من بطش (أورنك زيب) وهناك انصرف

للفروسية والصيد كما تعلم لغات المسلمين والهندوس ودرس دياناتهم وراح يرسم في ذهنه ما تتداعى من أفكار لتقويد سلطنة المغول وبذل قصار جهده لتوحيد أتباعه وحملهم على نبذ خلافاتهم والتوجه لإقامة سلطنة سيخية خاص بهم وحرم عليهم التدخين كما فرض عليهم الأصول المعروفة لدى السيخ باسم «الكافات الخمس» لأن أسماءها تبدأ بلغتهم بحرف كاف وهي:

١ ـ **الكش:** عدم قص الشعر الذي ينبت على الجسم إينما نبت، فلا يجوز قص ولا تشذيب شعر الرأس ولا اللحية ولا الشارب ولا الإبط ولا العانة، وذلك من المهد إلى اللحد وذلك لمنع دخول الغرباء والأعداء في جماعة السيخ لأن المتجسس لا يستطيع أن يطيل شعره ليندمج فيما بينهم.

٢ ـ **الكرا:** أن يلبس الرجال سواراً من الحديد في أيديهم للتذلل كما يفعل الصوفية.

٣ ـ **الكنغا:** أن يضعوا في شعر رؤوسهم مشطاً لترجيل الشعر كي لا تستقر به الحشرات.

٤ ـ **الكجة:** أن يلبس الرجال تباناً (السروال القصير) مثل تبان السباحة فلا يخلعونه أبداً، وذلك إشارة إلى شرف الرجل المقاتل وحفظ الفرج.

٥ ـ **الكريان:** أن يتمنطقوا بحربة أو بخنجر كي يدفعوا بها عن أنفسهم العدو عند الضرورة وليستوحوا من حملها الشجاعة!

ووضع غوبند شريعة (الباهول) وتعني التعميد بحسب المراسم التالية «يجلس المريد بعد الغسل ولبس الثياب الطاهرة وسط جماعة تعقد بصفة عامة لهذا الغرض، ثم يأتى بشيء من السكر يذاب في الماء في حوض من

الحديد ويتعاقب على تحريكه بخنجر ذي حدين خمسة من السيخ مرتلين آيات من (الكرانت صاحب)، ثم ينضح بهذا المحلول شعر المريد وجسده ويعطى شيئاً منه يشربه، وترشح له قواعد (رَهْت) السلوك السيخي، ويسمى المحلول (أمْرت) (الرحيق القدس) ويعتقد السيخ أنه يهب للمريد الخلود ويجعل منه «سنغ» أي أسداً وكشترياً حقا، وهذا الطقس لابد منه لكل مريد قبل أن يلتزم بالكافات الخمس التي مر ذكرها.

ثم أطلق الخليفة التاسع (غوبند سنغ) على مريديه المعمدين اسم ال«خالصة» أخذاً من اللفظة العربية «الإخلاص» وهو يريد بذلك الجنود المخلصين أو الخُلّص الأنقياء كما أمر بإضافة كلمة (سنغ) أي الأسد في نهاية اسم كل واحد منهم وكذلك إضافة اسم كور في حالة النساء ولم يكن يومذاك لبس العمامة ضرورياً غير أن أصبح لازماً بعد الإصرار على عدم قص الشعر، أما بالنسبة إلى السيخ الذين تطهره (بالخاصة) ثم هجروها لصعوبة تلك الطقوس، فقد دعاهم أخوانهم باسم (PATIIT) أي الساقطين والآخرون الذين لم يتطهروا فقط وان أعلنوا أنهم من أتباع (نانك) يسمون (السيخ بطيء التنبي). وبعد رسم تلك الطقوس خاطب غوبند أتباعه قائلاً «لقد أصبحت شعرة الجرنياهول سُنَّة منذ أيام (بابا نانك) وجرى الناس على شرب الماء الذي غسل فيه الأئمة أقدامهم، وهي عادة أدت إلى كثير من الإذلال، أما الخالصة فلا يمكن أن تكون من بعد إلا أمة تقوم على الشجاعة والبراعة في القتال، ولهذا فإني اشترع الآن سُنَة التعميد بالماء بحركة الخنجر وأغير أتباعي فأجعلهم ينقلبون من سيخ إلى سنغوات (أسود) فمن تقبل الرحيق القدس للياهول أنقلب أمام أعينكم من ثعلب إلى أسد ونال السلطان الأكبر في هذه الدنيا وأدرك النعيم في الآخرة».

ولما اطمئن غوبند لمقدرة أتباعه الحربية وتفانيهم فيما يطلبه منهم أخذ يغير على ما يجاوره من البلدان بغية إخضاعهم وتحرك أو ما تحرك ضد الإمارات الجبلية التي أقامت في ظلها من قبل مدة طويلة ولما عجز عن إقناع أمرائها بالانضواء تحت رايته بالحسنى أخذ يشن الغارات على أراضيهم من مقره في آنند بور، فاتحد زعماء الراجيين أصحاب لاسبور، وكتوج، وهندور، وجسروتا، ونال كره، وهاجموا غوبند بجيش قوامه عشرة آلاف جندي، فقاومهم غوبند بألفي من أتباعه ربعهم من قومية البتان وبدعم من زعيم السادهرا السيد بدهوا شاه، وانتصر غوبند على ذلك الجيش العرمرم وارتفع صيته وقويت شوكته حتى استنجد الرجاوات جميعاً بالإمبراطور (أورنك زيب) فأمر والي مدينة سرهند الواقعة في صوبة شاه جهان أباد، فتحالف مع الراجاوات واستطاعوا هزيمة غوبند فأعتصم بحصن اندبور (١٠٧١م) واستمر الحصار عليه وَشحَّت المؤن وتسللت أسرته وفيها أمه وزوجاته (أجيت كورجي وسندر كورجي وصاحب كورجي) وابناه الصغيران هاربين إلى سرهند حيث وُشي بهما فأمر بأبنيه فقتلا، وفرَّ غوبند مع عدد مع أتباعه المخلصين إلى حصن جمكاور في ناحية أمبلا ثم منه إلى بهتنده في منتصف الطريق بين فيروزا آباد ودلهي وعاد مريدوه فالتفوا حوله وأوقعوه الهزيمة بإعداهم في مكان اسمه (مكتسر) أي حوض الخلاص الذي أقيم أحياءً لذكرى السيخ الذين سقطوا في تلك المعارك، ثم استقر غوبند في ضيعة اسمها دمدمة (بين هنس وفيروزآباد) وانصرف إلى الوعظ وألف كتاب (دستور كرانته) الذي يعده السيخ تكملة ل(أدي كرانته) الذي صنفه الكورو أرجان ديف وفي هذه الأثناء توفى أورنك زيب سنة ١٧٠٧ وخلفه أبنه شاه عالم بهادور شاه الأول الذي خالف أباه في

سياسته فسعى إلى استرضاء غوبند وولاه القيادة الحربية في الدكن، ولما بلغ (غوبند) (ناندر)على ضفاف نهر كادا ورى (التابعة الآن لولاية مهارة شترا) قيل أنّ خادماً أفغانيا طعنه لأمر خاص أثار نقمته عليه، وقيل أنه غرق وذلك في ٧ أكتوبر سنة ١٧٠٨ وقد أبى أن يوصي لأحد مريديه بالرئاسة بل طلب منهم أن يطلبوا الحماية من الله وحده فأنهى بذلك سلسلة خلافات (نانك)، وبوفاته انتهى عهد الخلفاء العظام الذي يقدسهم السيخ ويبجلونهم ويعتبرونهم عمدة الطائفة ورموزها.

ظهور القائد بنده

(بنده) هو رجل من راجبوت كشمير ينتمي إلى طائفة بيراكي، تعرف على الخليفة التاسع للسيخ في الدكن ودخل في السيخية متخذاً اسم (بنده) عن زعامته للسيخ وجمع حوله الأنصار والاتباع ورجع إلى البنجاب يستحث السيخ لقتال المسلمين والانتقام منهم وشن حرباً وبينه وبينهم.

فضائح بنده ونهايته

قام (بنده) بفضائح كبيرة جداً بدأها باستباحة مدينة (سامانا) وهي المدينة التي قُتِلَ فيها غوبند وأبنائه، فدُمّرت المدينة تماماً في نوفمبر ١٧٠٩ وبعد ثلاثة أيام من القتال لم يكن يشاهد فيها إلا ألوف الأجساد ملقاه في الطرقات ولم يبق في سكانها إلا من أعلن إيمانه بالعقيدة السيخية، ثم استعدَّ وأتباعه للهجوم على حاضرة إسلامية عريقة هي مدينة سرهند فدخلها في ٢٤ مايو ١٧١٠م وأعمل فيها القتل والسلب والتدمير وحرقت مساجدها وذبح سكانها بما في ذلك النساء والأطفال كذلك واسيئت

معاملة الهندوس الذين تعاونوا مع المسلمين واستدعى (بنده) أحد العلماء المتصوفة (شاه فائز القادري) وخُيّر أسرته بين الموت أو تدمير مساجدهم وقبور أجدادهم بأيديهم فاضطر الأحفاد لتنفيذ ما طلب. وعندئذ انقض على أولئك المساكين فأمر بتعذيبهم وقتلهم. وأصبح (بنده) بعد ذلك السيد الفعلي لكل الأراضي الواقعة بين نهري (جمنا) و(ستبلج) وتحول عدد كبير من هندوس ومسلمي تلك الأمكنة إلى العقيدة السيخية خوفاً أو طمعاً.

ثم سَوّلت له نفسه محاصرة مدينة (سهارن بور) فقاتل أهلها وفرّ القسم الآخر من الأهالي حتى اسقطت المدينة، فعبر (بنده) نهر (جمنا) عائداً إلى (البنجاب) وكانت عودته سبباً مباشراً لثورة الفلاحين ضد السلطة المغولية ولما أحست (دلهي) بالخطر الداهم يقترب من سلطتها الفعلية جنّدت جيشاً وتحالفت مع رؤساء الراجوت وتحرك الإمبراطور بهادر شاه وأبناؤه الأربعة بجيش يقوده ولده (عظيم الشأن) الذي هَجَم على (بنده) ومجموعة من رجاله لكنهم تمكنوا من الفرار، وفي ربيع عام ١٧١١م هبط (بنده) إلى سهول البنجاب ثانية وألحق هزيمة بجيش المغول بالقرب من (جامو) عندئذ قام الإمبراطور في نفس السنة بتتبع أثر (بنده) الذي تراجع إلى الجبال وحينذاك حانت وفاة الإمبراطور نفس السنة ١٧١١م فاقتتل أبناؤه على العرش حتى فاز به جهان دار شاه على أنه لقي مصرعه بعد مدة قصيرة من ولاية العرش دامت أحد عشر شهراً فقد قتله ابن أخيه فرّخ سير (أي محمود السيرة) وجلس على العرش سنة ١٧١٢م في وقت كثرت فيها الفوضى في البلاد. وقد استغلها السيخ وقائدهم السيء الصيت (بنده) فكلّف (فرخ سير) عبد الصمد حاكم البنجاب بوضع حد

لجرائم السيخ، فتعقبهم عبد الصمد خان حتى حاصرهم في قلعتهم وأخيراً اضطروا للتسليم سنة ١٧١٤ فقتل منهم نحو ثلاثة آلاف، وقبض على ثمانمائة من كبرائهم، وعلى رأسهم قائدهم (بنده) وساقهم إلى العاصمة فحُوكموا على الجرائم التي ارتكبوها كقتلهم آلاف البشر من المسلمين والهندوس وتخريبهم للمعابد والمساجد، ثم ساروا بهم في الشوارع تشهيراً بهم ثم قتلوا سنة ١٧١٦هـ. وقد قيل أن الملك وضعهم وهم أحياء وبنى عليهم الجدران زيادة في الانتقام منهم ولكن لا توجد هناك وثائق تؤيد هذه الواقعة سوى ما يتناقله بعض السيخ ويعلّمونه لأبنائهم ليثيروا فيهم الحفيظة دائماً على المسلمين ثم أن المعتدلين من السيخ أنفسهم كانوا لا يبجّلون (بنده) ويعتبرونه طارئاً على تاريخهم وعقيدتهم وأنه خالف أوامر (غوبند) وعمل على أن ينادى به وصياً لغوبند مع أن الأخير لم يوص لأحد ثم أن (بنده) ظهر طمعه بالرئاسة مبكراً واتسمت أفعاله بالأنانية مما حدا بالغيورين من أتباع (غوبند) إلى الانتفاض عليه وإدانته وكانت تصرفات (بنده) سبباً لخروج الكثيرين من العقيدة السيخية بعد مقتله تهرباً من الجرائم التي ارتكبها وخوفاً من السلطة المغولية على أن المخلصين السيخ هربوا إلى رؤوس الجبال ولاذوا بالغابات خوفاً من بطش السلطات التي رأت فيهم خطراً على الدوام، ولكن من حُسن حظ السيخ أن الدولة المغولية كانت تعيش في تلك الأيام في وضع لا يحسد عليه بعد أن نشبت الخلافات داخل الأسرة الحاكمة والانتفاضات المستمرة ضدها وقد أفاد السيخ من ذلك بأن أقاموا عدة حصون وجمعوا ثروة بنهب المدن العزلاء، وكان مركزهم مدينة أمراتسرا التي تسمى أيضاً (عنبر سر) وقد أغنوها غنىً عظيماً وحصنوها

تحصيناً منيعاً، وفي عام ١٧٥٢ هاجم الأمير تيمور بن أحمد شاه دراني الأفغاني ودمَّر معبدهم (هارمندر) المسمى الآن بالمعبد الذهبي وملأ حوضه بالأنقاض، وتحرك السيخ في جموع غفيرة للانتقام مما حلّ بهم من الإهانة ونجحوا في طرد الأمير تيمور وطاردوه حتى لاهور فاحتلوها وضرب قائدهم الحربي جسا سنغ كلال «أي الخمار» سكّة عليها كتابة فارسية، غير أن ظهور (المراته) بقيادة (ركهوبا) سنة ١٧٥٨ جعل السيخ يرتدون عن لاهور وتسبب في رجوع أحمد شاه إلى البنجاب للمرة الخامسة بعد أن أنزل هزيمة لاحقة بالمراته في معركة يانيبت المشهورة سنة ١٧٦١م والتي قتل فيها أكثر من مائتي ألف مقاتل وخلال تلك الفترة كانت دلهي بغير ملك ولما انتصر احمد شاه الإبدالي نادى بشاه عالم الثاني سلطاناً على دلهي وكان في البنغال فأقام الإبدالي مقام شاه ابنه (جوان بخت) ورجع إلى أفغانستان بعد أن أبقى له نواباً في دلهي، ولكن جسم الدولة كان مريضاً واهتبل السيخ الفرصة مرة أخرى، ولملموا صفوفهم سنة ١٧٦٣ فهزموا زين خان الحاكم الأفغاني لسرهند ونهبوا هذه البلدة وخربوها ثم استولوا على لاهور ثانية، وطال بقاؤهم هذه المرة واجتمعوا في أمرتسور وأعلنوا السيادة التامة لنظام الخالصة في البنجاب (١٧٦٣م) وجعلوا السلطان الأعلى في يد مجلس وطني عرف باسم «كورو متا» وقد نقش على سكة هذه الحكومة الشعبية الكلمات الفارسية الآتية:

ديك وتيغ وفتح نصرت بي درنك يافت أز نانك كورو كوبند سنغ ومعناها: (تلقى غوبند سنغ من نانك السيف والكأس والنصر المؤزر).

واستمر السيخ في استقلالهم دون منغصات بعد أن مات أحمد شاه في ١٧٧٣م وتدخل الإنجليز بشكل سافر للعبث في ولايات الهند المختلفة

وأصبح ملوك دلهي إلعوبة بيد المراته أو الإنجليز، وخلا الجو لأمراء السيخ فدّبت بينهم الخلافات حتى انتقل كل أمير بمقاطعة خاصة له ولكنهم ربطوا بينهم بأحلاف تعرف بالمسلات (المفرد مسل) وكانت هذه المسلات اثنتا عشرة مسلاً يحكم كلاً منها زعيمها مستقلاً عن الزعماء الآخرين.

وكان يجمع بينهم العقيدة السيخية دونما تدخل لأحد في شئون الآخر، ولكن استمرت المنازعات والمناوشات بينهم للاستئثار بالثروة واستمر هذا الحكم المتقلب في البنجاب حتى ظهور الرجل القوي (رنجيت سنغ) الذي وحّد الأمة السيخية وأصبح قائدها الأعلى بلا منازع وكان على صلات حسنة بالأفغانيين فعمل على توحيد كلمة جماعته، وساعدته الظروف بأن منحه (شاه زمان) حفيد أحمد شاه لقب (راجه) وأعطاه مدينة (لاهور) اقطاعاً، وهي لم تكن لـ (زمان شاه) إلا بالاسم، وكان يسيطر عليها جماعة من السيخ ، حدث ذلك في ظروف بالغة الأهمية في تاريخ الهند بعد أن بدأ الإنجليز خططهم للاستيلاء على دلهي وقد خاض السيخ غمار تلك الأحداث الخطيرة واستطاعوا أن يثبتوا وجودهم في ظل قيادة محنكة يستشعرون أهميتها حتى هذا اليوم فمن هذا القائد؟ وما هي الأحداث المثيرة التي كان ورائها؟

المهراج رنجيت سنغ ابن مهاسينغ

ولد في ٢ نوفمبر ١٧٨٠ بمدينة (غوجران والا) الواقعة في باكستان اليوم، اشترك في صباه في المعارك الحربية وورث الزعامة عن أبيه زعيم حلف (سكرجاكيا) السيخي وهو في سن الثامنة عشرة من عمره واتخذ مقره في (كجرانولا) على مسيرة أربعين ميلاً شمالي لاهور، وقد ظهرت

مؤهلاته القيادية في وقت مبكر من تسلمه السلطة واستطاع أن يجمع الأحلاف السيخية المتشتتة ضمن دولة واحدة هي دولة (الخالصة) التي وضع أسسها الخليفة التاسع والأخير غوبند، ووحدها تحت قيادته.

كان المهراج (رنجيت) وحيد العين كما كان وحيد أمه (كاجيت سنغ) وقد تزوج عام ١٧٩٦ بالسيدة (ماهتاب كور) بنت (لاهنابل كوربخش سينغ) وفي سنة ١٧٩٩ نال حكم لاهور وتسلم براءة تقلده أموره من (زمان شاه) حفيد أحمد شاه الإبدالي الذي كان لا يزال من حيث العُرف حاكماً للبنجاب.

وتغلب على امرتسر عام ١٨٠٢، فهابه الملوك والنواب واتخذ لنفسه لقب (المهراج) ومضى يفتح الأقاليم ويضمها في حدود مملكته حتى ضمَّ جميع أحلاف السيخ وصولاً إلى حدود نهر ستلج، وأقام معاهدة تحالف بينه وبين البلاد المنضمّة إليه عام ١٨٠٩، نفّذها بكل أمانة وإخلاص وجند جيشاً قوياً استعان في سبيل تدريبه وصناعة معداته بالجيش الفرنسي واستقدم الضباط الفرنسيين الذين هُزموا مع نابليون في معركة ووترلوا، فالتحقوا بالبنجاب وفي عام ١٨١٨ استولى على الملتان وفي ١٨١٩ استولى على كشمير وضم بشاور إلى أملاكه عام ١٨٣٤ وهكذا توسعت مملكته وامتدت من ستلج حتى هندوكش والتبت واستطاع بحسن سياسته أن يكسب رضى الإنجليز الذين استثمروا تلك الصلة لتحقيق مآربهم في احتلال الهند، كما ارتبط بعلاقات صداقة مع أمراء بقية المقاطعات الهندية مثل نظام حيدر آباد ونواب رامبور وملك النيبال، وقد قامت حكومته بشكل أساسي على القوة الحربية التي يتمتع بها (رانجيت واتباعه وكان ينفق ٤١٪ ومن النفقات على شئون الدفاع، وقد

أصلح الجهاز الإداري واهتم بشئون الزراعة والصناعة وضرب بيد من حديد على المجرمين والمفسدين واللصوص فهابته كافة فئات الشعب. وكما تقدم فإنه اطلق على حكومة اسم (الخالصة) أو (خالصة ستان) وعُرفت عملته باسم (نانك شاهي) وسلامه الرسمي (واه طكوروجي كي فتح) أي (الفتح للمرشد الكامل) وكُتبت على طوابعه هذه العبارة (كورو غوبند سنغ) تقديراً لإنجازات الخليفة الأخير للسيخ. وكان يحترم سائر الأديان ويبجل سائر طقوسها ويجزل العطايا على المساجد والمعابد وكان الكثير من الوزراء وكبار الموظفين لديه من الهندوس والمسلمين وكان يوصي أتباعه باحترام المسلمين لأنهم أكثرية السكان في مملكته كما أن المسلمين كانوا أكثر إسهاماً من السيخ والهندوس بخصوص الاستيلاء على قلعة لاهور وإخراج (زمان شاه) من مقاطعة البنجاب واهتم (رنجيت) بمنح الشعراء والفنانين المسلمين الاحترام اللائق بهم أمثال: محمد بخش، شاه محمد، وطلب من الشاعر البنجابي فاضل شاه بإعداد مسرحية (سوهني مهوال) التي نقلت فيما بعد إلى أكثر من خمسين لغة، وأمر بترجمة قصص (شيرين وفرهاد) و(ليلي والمجنون) إلى اللغة البنجابية وأقام مراكز لتعليم اللغة الأوردية، ووافق على إنشاء معهد إنجليزي في لاهور إلا أنه لم يسمح للبعثات التبشيرية بالعمل هناك كما لم يسمح لإقحام الإنجيل ضمن تعليمات المدارس.

ثقافته وأعماله الأخرى

كان (رنجيت سنغ) أمياً لا يعرف القراءة والكتابة، لكنه كان ملماً بكثير من لغات عصره ومنها (البنجابية ـ الهندية ـ الفارسية (وكانت

يومذاك لغة الإدارة) الأردية - الملتانية - السندية - الكشميرية) وكان يُحسن بفطرته السليمة أهمية الثقافة والعلوم فقرب العلماء وساعد الأدباء والكتاب وأنشأ أول مطبعة في البنجاب كما أسس المصنع الحديث للأسلحة على عهده ويروى عنه شدة ميله للخليفة الأخير(غوبند) ومواظبته على العبادة وقراءة الكتب السيخية المقدسة، وقد قضى نحبه في ١٨٣٩/٦/٢٧ بعد تأسيس دولة مشيدة الأركان ولكن سرعان ما تلاشت قوتها بعد موته فقد تعاقب على العرش ثلاثة من أبنائه في أمد وجيز وقامت الفتن وكثرت الاضطرابات مما أغرى أحد قواد السيخ بمهاجمة الإنجليز وأدّى هذا الحادث إلى قيام حرب السيخ الأولى في ديسمبر ١٨٤٥ والتي أنزل فيها القائد الإنجليزي السير (اللورد فيما بعد) هيكوكوف الهزيمة بالسيخ في أربعة معارك متتالية دارت في فيروز شاه، ومدكي، وعليلول، وسبرلون بالقرب من لديانه (أول سنة ١٨٤٦) وبانتصار الإنجليز أصبح الطريق ممهداً أمامهم للزحف على لاهور التي احتلوها بالفعل وأملى الحاكم الإنجليزي (هنري هاردنك) شروط معاهدة لاهور التي تنازل السيخ بمقتضاها عن كل الأراضي الإنجليزية على الجانب الإنجليزي لنهر (ستلج) كما تنازلوا عن سهل (جولاندر) الواقع بين نهري (ستلج) و(بيز) وكذلك عن (جامو) و(كشمير) وقضت المعاهدة بتخفيض جيش السيخ إلى عشرين ألف من المشاه وأثنى عشرة ألف مره الفرسان، كما نَصَّت المعاهدة على ان تكون (لاهور) مركزاً لمقيم بريطاني هو السير (هنري لورانس) الذي ترأس مجلس الوصاية على المهراج القاصر (دليب سنغ بن رنجيت سنغ) وهذا ما ضمن بقاء الجيوش البريطانية لوقت طويل في البنجاب وأثارت الوصايا الإنجليزية على ابن زعيمهم السابق

سخط بقية زعماء السيخ في حين أصبح الجنود السيخ المسرَّحون من الخدمة بمقتضى المعاهدة السالفة مصدر قلق في الدولة وبلغت الأزمة ذروتها عندما استقال حاكم (ملتان) السيخي من منصبه نصب الإنجليز بدله حاكم سيخي آخر وصل إلى (ملتان) في حراسة ضابطين إنجليزيين قُتلاً في إبريل ١٨٤٨ وانتهز الحاكم الجديد الفرصة وأظهر للإنجليز عدم الطاعة لكن القوات الإنجليزية باغتته وقضت عليه وكانت هذه الحادثة مبدأ الثورة السيخية البريطانية الثانية التي استمرت شهوراً قليلة، وأنـزل اللورد كوف هزيمتين بالجيش السيخي، الأولى في جليا نواله والثانية في كجرات في أوائل سنة (١٨٤٩) ثم أعلن ضم البنجاب إلى ممتلكات التاج الإنجليزي وتم أبعاد (دليب سنغ) إلى لندن وهكذا انتهى حكم السيخ بعد فترة صاخبة من الأحداث.

العقيدة السيخية

واجهت الهندوكية الإسلام منذ الفتح الإسلامي للهند لكنها لم تبدي أي مقاومة تذكر، بل اقتربت منه، وانساقت إلى التصوف الإسلامي وتفاعلت معه فادخل شنكرا شاريا (القرن ٩م) في حركته الإصلاحية المسماة «الفيدانتية» أهم مميزات التوحيد الإسلامي، وتجارب الصوفية المسلمين وكذلك أخذت حركة البهاكتي معظم مزايا التصوف الإسلامي ومن المعروف أن التصوف كان قوة هائلة في الهند ومن الطرق التي كان لها تأثير كبير في الهند «القادرية والجشتية والنقشبندية والسهروردية والفردوسية والمدارية والقلندرية والشطارية» وكل هذه الطرق وعشرات غيرها لعبت دوراً كبيراً في نشر الإسلام في أنحاء وربوع

الهند، وقد استفاد (نانك) من هذا التراث الصوفي التي كانت تزخر به الهند على عهده وقد ظهر هذا التأثير واضحاً على سلوكه الظاهري في زيه وحركته وتنقلاته وكافة توجهاته الحياتية بينما تختلط اقتباساته أو أفكاره الفلسفية الباطنية بين الآخذ من ثقافته الإسلامية واعتقاداته الهندوسية التي آمن بها وأعرض عن كثير من الخرافات والتقاليد الوثنية، فقد دعا إلى المساواة الاجتماعية ونبذ نظام الطبقات الهندوسي واستنكر عبادة الأوثان متمسكاً بالتوحيد الخالص لرب الخلق أجمعين:

«اسمه هو الحق، وهو الخالق، الباقي، الذي لم يلد ولم يولد، القائم بذاته، العظيم، البر». ووجَّهَ نقداً قاسياً للحكام المفسدين المتسلطين على رقاب الناس «أن الملوك كالوحوش الضارية المتعطشة للدماء، والوزراء مثل كلاب الصيد الشرسة، إنهم يعذبون ويهينون ضمير البشرية، وأن الموظفين يستنزفون دماء البسطاء بمخالبهم».

واستلهم (نانك) تعاليم المصلحين قبله مثل (كبير) وآراء حركة (البهاكتي) بذهن نقّاد على أفكار اليوغا وحركة (شكتي) والآراء الإلحادية للفرقة الجينية ووضع آراءه في كل ما رآه في تلك الأطروحات وبين ما هو مقبول أو مرفوض من وجهة نظره.

وقد آمن (نانك) بمذهب الكارما **Karma** وأقرَّ بالتناسخ الذي سيطال المخلوقات في هذا العالم مادامت متعلقة بهذا العالم فهي في دورة لا متناهية من الميلاد والموت، ومن يقبل على هذا العالم يكون في نظره من ضحايا (المايا) أو اللا واقع والوهم بدلاً من الفرح الأزلي بالرؤية السعيدة من خلال الكشف عن فضل الله ونعمته اللذان يضمنان الخلاص التام، واللفظتان اللتان يستخدمهما (نانك) للتعبير عن الكشف

أو التجلي الإلهي هما: **Nam** الاسم الإلهي و**shabad** الكلمة الإلهية، وإن كان ما يقال عن الله هو جانب من الاسم الإلهي أو الكلمة الإلهية لكن البشر في حالة الضلال والتمادي في الذنوب يفشلون في إدراك تجليات الحضور الإلهي وهذه التجليات يمكن يفهمها لهم المرشد (الكورو)، وعليهم أن يتفهموا هذا النظام الإلهي للكون مادياً ونفسياً وأن تكافح لكي تصل بأنفسها إلى الانسجام معناه الخلاص والطريق لذلك أن يدخل في نظام للعبادة الحقيقية بتوجه قلب المريد التام لله تعالى حتى يبلغ الانسجام الكامل مع الذات الإلهية، وليس بواسطة الطقوس والعبادات الشكلية وحتى ما طبَّق المُريدُ الانسجامَ المطلوب سوف يصل إلى عالم الحقيقة (ساخ كهاند) وبذلك تتحطم أغلال التناسخ وتبلغ الروح مرحلة الانعتاق المُطلق باندماجها في الله.

الكتب السيخية المقدسة

كتاب السيخ المقدس هو (كرانت صاحب) ويحترمه السيخ احتراماً كبيراً فهو بالنسبة لهم مصدر التشريع وقد جمع بين عامي ١٦٠٣ ـ ١٦٠٤ بواسطة أرجان ديف وهو يشمل تراتيل أئمة السيخ قبله ومختارات من أقوال وحكم القديسين والمصلحين السابقين لنانك وبخاصة كبير، ونام ديف، وجاي ديف، ورامانند، والشيخ فريد، الشيخ المسلم، ورافيداس ومعظم المادة تتألف من الترانيم التي استخدمها المعلمون من قبل في إرشادهم الديني وجميعها مكتوبة بلغة (سانت بهاشا) وهي لغة تجمع بين الهندوستانية والبنجابية تكتب بالخط المحلي المعروف لدى السيخ (كورميكي) كما كُتب بعضها بالسنسكريتية والفارسية، وهناك

مجموعة لاحقة أضيفت على (كرانت صاحب) وهي داسام كرانت، ولها أهمية متميزة أيضاً، إلا أن الأصل يتمتع بمنزلة مطلقة في الحياة اليومية للسيخ المؤمنين. وفي احتفالات السيخ جميعاً، وتكمن أهمية الإضافات المذكورة (داسام كرانت) في رسمها صورة الواقع التاريخي الذي عاشه السيخ خلال القرنين السابع عشر والثامن عشر، كما تشتمل على سيرة الكورو غوبند وتعرف باسم (فشتريا نانك) أي القصة العجيبة.

و(الكرانت صاحب) بمجموعه يقع عادة في مجلد كبير الحجم تبلغ صفحاته حدود ١٢٠٠ صفحة، يستخدم السيخ بعض فقراته ليرددونها فيما بينهم وبين أنفسهم خلال اليوم وعند النوم وهذه الفقرات هي:

١ ـ (الجابجي) لكورو نانك.

٢ ـ (أساكي) فار لنانك.

٣ ـ (الجابجي) للكورو غوبند.

٤ ـ الرهيرا.

٥ ـ سهيرا.

٦ ـ (السكهماني) للكورو أرجان.

وتتلى هذه الفصول كذلك إقامة شعيرة الباهول أو التعميد ولابد من التلاوة اليومية الجابجي خاصة بعد النهوض من النوم والاغتسال.

ومن الطقوس اليومية التي يمارسها السيخ قراءة ما يتيسر لهم من (كرانت صاحب) لا على التعيين وتستحسن القراءة بحضور كافة أفراد الأسرة أو اجتماع عدد كبير من الأسر وهناك لقاء أوسع مع أسرة الخالصة حيث يتجمع المؤمنون لزيارة المعبد وتلاوة آيات مختلفة من

الكتاب المقدس وعادة ما يحتوي المعبد على نسخة من (كرانت صاحب) وتكون في ركن متميز في المعبد.

ومن آداب دخول المعبد أن يعتمر الزائر غطاءاً للرأس ثم يجتاز الباب الداخلية ويتوجه ناظراً إلى الكتاب المقدس ثم ينحني إجلالاً واحتراماً له حتى يلمس الأرض بجهته، وعادة ما يهب الأغنياء القرابين التي تذهب فوراً إلى المطبخ الضخم الذي يجاور كل معبد ويقدم فيه الطعام لكافة الناس الواردين عليه من مختلف الديانات والأعراق، وفي أوقات معينة يتلو الكهنة وسط المعبد الصلاة المسماة عندهم ارداس وهي عبارة عن تمجيد للذات الإلهية يتلونها بصورة جماعية على أصوات الموسيقى وتختتم عادة بالإشارة إلى (كرانت صاحب) أو الكتاب المقدس بوصفه التجلي الجسدي للمعلم نانك وبالإعلان الملازم لجميع الطقوس السيخية (الخالصة سوف تحكم - راح كاريجا خالصة).

زيارة غورو نانك إلى العتبات المقدسة

سبق أن نوهنا بزيارة غورو نانك إلى الحجاز والعراق والواقع أن حجته إلى مكة والمدينة كانت الرحلة الطويلة الأخيرة التي قام بها، والمروي أنه دخل في جدل بمكة المكرمة مع مخدوم ركن الدين أبي الفتح جلال ثاني وهو سيد من أسرة علوية، ومع غيره من الحجاج المسلمين من الهنود منهم جيغان شاه وبير باتتوالا شيخ إبراهيم، وعندما زار بغداد كانت له حوارات طويلة في أمور الدين مع الخليفة الروحي للسيد محي الدين عبد القادر بن عبد الله الجيلاني المتوفى سنة (٥٦١ هـ - ١١٦٦م) حول مسائل منها الأهمية الدينية والروحية للموسيقى والسموات والأراضين ومسألة

التناسخ وغير ذلك، وتقول الروايات أن غورو نانك أظهر كرامات في مكة وبغداد وأنه انتزع إعجاب مستمعيه من العرب بخطبه التي كان يلقيها بالعربية والفارسية وبقواه الروحية. وقد طاف من أجل ذلك في الضرائح المقدسة في الكوفة والنجف وكربلاء وسامراء والكاظمية واستقر مدة في بغداد.

وزيارة غورو نانك للمراكز الدينية والمقامات الصوفية في العالم الإسلامي في زمنه دلالة واضحة على انه كانت له رغبة مخلصة في أن يهتدي إلى التوفيق بين ديانتي الهند في ذلك الوقت (الهندوكية والإسلام) والمدى الذي يمكن أن يعتبر على أساسه الدين السيخي أنه صيغة من هذا النوع فهو أمر حرى بدراسة علمية موضوعية.

ومن المعروف أن (غورو نانك) اتخذ من قبر الصوفي (بهلول دانا) قرب ضريح الجنيد البغدادي في مقبرة (الشونيزي) قديماً مأوى له، وبعد رحيله عن بغداد كان هذا المكان مقدساً عند اتباعه السيخ إلى يوم الناس هذا ومقامه الآن يقع في منطقة الشالجية أمام مطار بغداد القديم وترتفع على بناء المقام رخامة كتب عليها باللغة التركية ما تعريبه:

(ها هنا حقق الأمنية الرب المجيد للشيخ الولي باب نانك، إذ ما تم البنيان الجديد في سنة المصيبة التي جاء فيها لائذا، حتى صار في هذا المكان المتواضع النزيل السعيد ٩٢٧هـ - ١٥٢٠م).

وعلى جدار الطارمة الغربية لوح من البرونز كتبت عليه أسماء الأشخاص الذين تبرعوا لتجديد المقام من منتسبي الجيش البريطاني في بغداد سنة ١٩٤٢ باللغة الإنجليزية وبجانب الأسماء مقدار المبالغ المتبرع بها، وبجانبه لوح آخر كتب عليه بالعربية «هنا مقام بابا نانك عليه

الرحمة جدد من قبل السيد شريف حسين الرضوي الباكستاني سنة ١٩٥٧م» وكما هو معلوم فإن هذا المتبرع لتجديد المقام مسلم، وفي هذا يجل المسلمون بابا نانك كما أن الكثير من السيخ والهندوس يجلون مراقد الأولياء والصوفية من المسلمين.

وفي جانب آخر من جدران المقام لوح من المرمر قياسه ١٥٠× ٦٠سم كتب عليه تاريخ بثلاث لغات، في الأعلى باللغة الهندية ويليه بالعربية ثم الإنجليزية، وقد ورد في العربية ما يلي (إلى بغداد قصد بابا «نانك» مسافراً وعند أبوابها اتخذ لنفسه مسكناً وصادف وصول بابا نانك إلى هنا سنة ٩٢٧هـ - ١٥٢٠م وعند قبر الشيخ بهلول دانا قابل اتباعه وتباحث معهم، وضع هذا النصب التذكاري بمناسبة الذكرى الخمسمائة لعيد ميلاد كورو نانك يوم ١٩٦٩/١١/٢٣ والمصادف لـ١٤ رمضان ١٣٨٩هـ).

وداخل المقام نسخة من (كرانت صاحب) الكتاب السيخي المقدس وبجانبه صور تمثل الكورو نانك وعدد من خلفائه، أما من أدعى أن هذا المقام يضم رفات المعلم السيخي فهو أمر بعيد عن الحقيقية التاريخية[1].

فرق السيخ:

١ - **الكشد هارية:** هم السنغوات أي الأسود وكلهم من السيخ المعمَّدين المتمسكين بسنة الكورو غوبند سنغ.

٢ - **السلجد هاريه:** وهم الذين رفضوا التعميد وانحازوا إلى الخالصة

---

(١) كان أهل بغداد يزورون مقام كورو نانك مؤسس السيخية وخاصة في موسم الربيع، ويعتبرون زيارته وزيارة قبر النبي يوشع (نبي اليهود) من الزيارات المهمة «راجع عباس بغدادي: بغداد في العشرينات: ٣٤».

المؤمنين بالقتال.

٣ ـ **النان كبان تهيه:** وهم من غير السنغوات ممن لا يؤمنون بالسنن التي فرضها غوبند سنغ على أتباعه فهم لا يحرمون التدخين ولا يعمدون بالباهول ولا يُرسلون شعورهم كالآخرين.

٤ ـ **الاداسية (المنكرون)** لسنة عوبند أيضاً غير أنهم يتسمون بالزهد ولا يتزوجون وهم قلة قليلة.

٥ ـ **الأكالية:** وهم عبدة آكال الباقي القديم، وهم طائفة متعصبة من المغالين بالكورو غوبند والمحافظين على سننه ونزعته الحربية.

٦ ـ **البنداين تهيه أو البندائية:** ممن أظهروا اعتقادهم بالقائد (بنده) وخالفوا سائر السيخ الذين اعتبروا (بنده) مبتدعاً بادعائه خلافة المعلمين المقدسين.

٧ ـ **المزبية (أو المزهبية):** الكنَّاسون الذين اعتنقوا السيخية بتلقيهم

٨ ـ **الرام داسية:** اتباع الكورو رام داس.

٩ ـ **جاط الخالصة:** الذين أنكروا قدسية (بنده) واعتبروه طارئاً على التعاليم السيخية المقدسة.

ولا يتبين بوضوح الاختلاف بين تلك الطوائف المتعددة فالسيخ أقلية متماسكة جداً بفضل النظام الاجتماعي والديني الدقيق والمتواصل الذي تتمتع به، بالإضافة إلى وجودها في ظل أديان كبرى أقوى منها واستعدادها للتحرر والتآلف وهم على العموم في وضع اقتصادي أفضل من وضع الديانات الأخرى في الهند بفضل تلاحمهم وأمانتهم وحبهم للهجرة وروح المغامرة المجبولة عليه نفوسهم.

وهم في الهند يشاركون في ميادين الحياة المختلفة وبشكل يكبر لى عددهم إذ تمتد ساهماتهم لتشمل القوات المسلحة والنقل والمواصلات والنشاط السياسي والرياضي.. الخ.

الوجود السيخي اليوم

يبلغ عدد السيخ اليوم حدود ٢٥ مسلون نسمة نصفهم يقيم في ولاية البنجاب الهندية، والبنجاب أي أرض الأنهار الخمسة ولاية من ولايات الهند الحديثة تشغل ولاية الحدود الشمالية الغربية وكشمير الركن الشمالي الغربي الأقصى من الهند، وبعد انفصال باكستان انقسمت البنجاب إلى قسمين القسم الهندي وعاصمته (امرتسر) وفيها يتواجد السيخ اليوم والقسم الباكستاني وعاصمته (لاهور) وسكان المنطقة أقرب إلى سكان أواسط آسيا من الهنود، وهناك مجموعة من السيخ في ولاية هاريانا وفي المنطقة المتاخمة لشمال راجستهان ودلهي وثمة أعداد أخرى تتوزع على بقية أنحاء الهند، أما في خارجها فأهم مراكز وجودهم في بريطانيا حيث تزيد معابدهم هناك على (٥٠) معبداً وكذلك لهم وجود ممتاز في شرق أفريقيا وماليزيا والساحل الغربي لكندا وأمريكا الشمالية وهم يقيمون معابدهم أينما وجدوا ويقيمون احتفالاتهم الدينية وأعيادهم الخالصة باستقلالية تامة، وتعتبر أمرتسر عاصمتهم الروحية وفيها اكبر معابدهم على الإطلاق ويسمى (المعبد صاحب الذهبي) الآن وهناك معابد ومزارات مقدسة لديهم أيضاً مثل نان كان صاحب قرب لاهور مسقط رأس الكورو نانك، وفي كورداسبور. ورجال الدين عندهم هم المفسرون المحترفون للكرانت صاحب، وهم اليوم يشرفون على إقامة

الشعائر الدينية عند الميلاد والزواج والوفاة وقبل ذلك كان البراهمة الهندوس يشرفون على ذلك والسيخ يحرقون موتاهم كالهندوس ويختلفون عنهم في الزواج بسن متاخرة نسبياً عن الهندوس وكذلك بإباحة الزواج من الأرامل، ويتمتع أكثر السيخ بمستوى متقدم من التعليم والثقافة وتعتبر ولايتهم البنجاب من أغنى الولايات في الهند وتعتبر (سلة الهند) لإمكاناتها الزراعية الهائلة وتتيح الديانة السيخية للمرأة دوراً مساوياً لدور الرجل في المعبد وتتكاثر الفئات السيخية اليوم وتتفرع إلى العشرات من الفئات السياسية والاتجاهات الثقافية مع اعتزاز الجميع بتراثهم الديني المشترك كما يتميزون بروح عسكرية تقسمهم إلى وحدات متنافسة تشير إلى لون من ألوان القلق وسط تحديات المستقبل المتجددة.

جمهورية خالصه ستان ودعوى الانفصال عن الهند

كانت رغبة السيخ بالاستقلال قوية قبيل تقسيم الهند عام ١٩٤٧ إلا أنه سرعان ما خبت تلك الرغبة ولكنها بقيت حية في نفوس بعض أفراد الجماعة وفي تسعينات القرن العشرين تنامى هذا الشعور وفي تلك الفترة قام الدكتور جاجيت سنغ وزير مالية البنجاب الأسبق بالتظاهر مع عدد يسير من الأفراد أمام مبنى الأمم المتحدة في نيويورم مطالبين بأنصاف الشعب البنجابي ومنحه الاستقلال ومطالبين العالم بالتضامن مع السيخ وأصدروا بياناً مؤلفاً من نصف صفحة في جريدة (نيويورك تايمز) وفي وقتها، قالت أنديرا غاندي إن تلك الحادثة لا وزن لها ولكن بعد سنين منها انقلب مهرجان محلي في مدينة انادبور صاحب في الهند فجأة إلى تظاهرة شارك فيها حوالي ١٠٠ ألف متظاهر رفعوا اللافتات الوطنية والفؤوس والأسلحة المختلفة

مطالبين بالاستقلال وإقامة دولة (خالصة ستان) فوق التراب الوطني للبنجاب وشهدت جماعات السيخ احتجاجات أخرى في هاريانا ودلهي.

وقد بات واضحاً للحكومة الهندية وللرأي العام العالمي بأن حزب أكالي دال «جيش الله» هو وراء تلك التحركات ولم يتورع الحزب في جعل المعبد الذهبي الأقدس لدى السيخ مركزاً لانطلاق تلك الحركة الاستقلالية وحشد فيها الأسلحة المختلفة مع مئات الفدائيين مما أحرج الحكومة الهندية وهددت أمنها الوطني، وكانت الحكومة قد اجتمعت منذ عام ١٩٨٤ مع ممثلين من ذلك الحزب وبعض أحزاب المعارضة المشتركة معه وقبلت المطالب الدينية التي تقدم بها الحزب ومنها حمل السيوف من قبل رجال السيخ الذين يسافرون على متن طائرات الخطوط الجوية الهندية وإذاعة تعاليم رجال الدين السيخ من المعبد الذهبي وتحريم بيع الدخان والمشروبات الكحولية واللحوم في منطقة ممتدة حول المعبد الذهبي في أمرتسر ووافقت الحكومة على تعديل قانون (كورو داور) وذلك بالتشلور مع رجال الدين السيخ وحكومات الولايات التي توجد فيها معابد السيخ ووافقت الحكومة على دراسة تعديل المادة (٢٥ ـ ٢ ـ ب) من الدستور الهندي، أما مطلب إعطاء مدينة أمرتسر صفة المدينة المقدسة فإن ذلك لم يتم الموافقة عليه باعتبار أن الدستور الهندي يصرح بأن الهند هو بلد علماني، وفيما يتعلق بالمطالب التي لا تشمل البنجاب فقط بل الولايات الأخرى بالنسبة لاقتسام مياه الأنهار وتحويل شانديغر فلم يجر التوصل إلى أي اتفاق بسبب الموقف الذي اتخذه حزب اكالي دال ثم شكلت الحكومة لجنة برئاسة القاضي السيخي رايخنت سنغ سركايا لدراسة مطالب البنجاب الأخرى.

وكانت تلك المفاوضات قائمة في الوقت الذي تستمر فيه الأعمال الانتقامية للحزب وأكثرها حساسية تلك التي تنطلق من داخل المعبد الذهبي، وتدعي الحكومة أنها عثرت على معمل صغير لصنع القنابل اليدوية والرشاشات الصغيرة في مجمع المعبد المقدس وفي خارج الهند قامت عدة منظمات سيخية تدعو للاستقلال بهدف الضغط على الحكومة الهندية ومنها المجلس الوطني لخالصستان الذي ترأسه الدكتور جاكيت سينغ جوهان الذي عمد إلى إصدار جوازات سفر باسم جمهورية خالصستان وطوابع وعملة كذلك.

أن من العسير تصور الهند من دون البنجاب التي تساهم اليوم بما يعادل ٦٥٪ من مجموع احتياطي الهند من الحبوب وتبلغ مساهمتها في إنتاج الأرز ٤٠٪ من الاحتياطي مع أن مساحة الولاية لا تزيد عن ١,٥ من مجمل مساحة البلاد. هذا علاوة على التقدم الصناعي الذي شهدته خلال السنوات الأخيرة في مجال الإلكترونيات بمنطقة «ساس نكر» الذي يقارن نشاطه العام بمنطقة (سيليكون فالي) بالولايات المتحدة. وهناك الكثير من المصانع والمراكز التي تشهد على النهضة الحضارية العامة في البنجاب جزءاً لا يتجزأ منها والضرب بيد من حديد على كل من ينطق بكلمة الانفصال ولو أدى ذلك إلى تدمير المعبد الذهبي (كما تم فعلاً خلال السنين المتأخرة) ولو أدى أيضاً إلى اغتيال رئيسة الوزراء أنديرا غاندي ومن بعدها راجيف ولدها، والسيخ اليوم هم أحوج من ذي قبل لحكمة نانك فقد ذهب حكم الراجوات ونحن نعيش في عالم متغير وقد أنعم الله عليهم ببلاد طائلة الثروة في مناحي الحياة المختلفة وعليهم أن ينعموا بذلك في ظل المتغيرات الدولية الجديدة.

القديسون السيخ						
الاسم	تاريخ الولادة ومكانها	اسم والده ووالدته	اسم زوجته	أولاده	تاريخ تنصيبه ومقره الدائم	وفاته وعمره
١. غورو نانك (مؤسس الديانة السيخية)	يوم الأربعاء ١٤٦٩/١١/١٥ في قرية تلفاندي راي بهوئي باكستان	والده: كليان داس جي المعروف باسم (مهتاكالوجي) أمه: تريتاجي	سلاخني جي	باب شري شندجي، باب لاخمي داس جي	هو مؤسس الديانة وواضع أصولها. مقره: قرية كرتابور في باكستان منذ سنة ١٥٠٤	يوم الاثنين ١٥٣٩/٩/٢٢ قرية كرتابور (٧٠ سنة)
٢. غورو انجد ديف جي	يوم الأحد ١٥٠٤/٣/٣١ في قرية متي نانغي دي سرآن بمديرية موكتاسر (بنجاب الشرقية)	والده: فيرومل جي والدته: دياكورجي	خيفي جي	المذكور: داسوجي، داتوجي الإناث: آمروجي، انوجي	يوم الأربعاء ١٥٣٩/٩/١٧ في قرية: خادور صاحب	يوم الجمعة ١٥٥٢/٤/١ في خادور صاحب (٤٨ سنة)
٣. غورو عمر داس جي	يوم الأربعاء ١٤٧٩/٥/٥ في قرية ناصر جي بمديرية أمراتسور (البنجاب الشرقية)	والده: تيج بهان جي والدته: سلاخني جي	راموجي	المذكور: موهن جي، موهري جي الإناث: بي بي داني جي بي بي بهاني جي	يوم الخميس ١٥٥٢/٣/٢٩ في قرية غويند فال على ضفة نهر بياس	يوم الأربعاء ١٥٧٤/٩/١ في قرية غويند فال (٩٥ سنة)
٤. غورو رام داس جي	يوم الخميس ١٥٣٤/٩/٢٤ في قرية شونا مندي التابعة إلى لاهور (باكستان)	والده: هرداس جي والدته: دياكورجي	بي بي بهاني جي	برثا في شند، مهاديف أرجان ديف	يوم الاثنين ١٦٧٤/٨/٣٠ قرية غويند بور على ضفة نهر بياس	يوم السبت ١٥٨١/٩/٢ في قرية غويند فال (٤٧ سنة)
٥. غورو أرجان ديف جي	يوم الخميس ١٥٦٣/٤/١٥ في قرية غويند فال التابعة (للمراتسر)	والده: غورو رام داس جي والدته: بهاني جي	غنفاجي	هر غويند جي	يوم الجمعة ١٥٨١/٩/١ أقام في: مدينة ترن تارن ١٥٨٧ وقرية كرتابور ١٥٩٠ وقرية شهادتا ١٥٩٥	يوم الجمعة ١٦٠٦/٥/٣٠ بمدينة لاهور (باكستان) (٤٣ سنة)

...ورو ...ويند جي	يوم السبت ١٥٩٥/٦/١٩ قرية غوربكي ودالي التابعة (امراتسر)	والده: غورو ارجان ديف جي والدته: غنغاجي	دامو دري جي، نانكي جي، مهاديفي جي	الذكور: غور داتاجي، أي راي جي، اتل راي جي، تيغ بهادر، سورج مل والبنت: بي بي جي.	يوم الخميس ١٦٠٦/٥/٢٢ قرية بهائي روبا مديرية بتانتدا ١٦٢٢ وقريو كيرات بور ١٦٢٦	يوم الأ... ١٦٤٤/٣/٣ قرية: كيرات... (٤٩ سنـ...
...ورو ...اي جي	يوم السبت ١٦٣٠/١/١٦ قرية كيرات بور بمديرية زوير.	والده: بابا غور دتاجي والدته: نهال كورجي	كرشن كورجي	الذكور: رام راي، هركرشن صاحب والبنت: روب كور	يوم الأحد ١٦٤٤/٢/٢٤	يوم الأ... ١٦٦١/١٠/٦ قرية: كيرات بور ص... (٣١ سنة)
...ورو ...كريشان جي	يوم الاثنين ١٦٥٦/٧/٧ قرية: كيرات بور	والده: غورو هراري والدته: كرشن كورجس	(لم يتزوج)	(ليس له أولاد)	يوم الأحد ١٦٦١/١٠/٦	يوم الأر... ١٦٦٤/٣/٣٠ بهوغل د... (٨ سنوات)
...ورو ...ور جي	يوم الأحد ١٦٢١/٤/١ قرية غوروكي محل (امراتسر)	والده: غورو هرغويند جي والدته: نانكي جي	غوجري جي	غويند سنغ جي	يوم الخميس ١٦٦٤/٨/١١ أقام في آنندبور على ضفة نهر ستلج في ١٦٦٥/٦/١٩	يوم السب... ١٦٧٥/١١/١١ في دلهي (٥٤ س...
... غورو ...د سنغ جي	يوم السبت ١٦٦٦/١٢/٢٢ بمدينة بتنه (بيهار) مدهيا براديش	والده: غورو تيك بهادر جي والدته: غوجري جي	أجيت كورجي، سندركورجي صاحب كورجي	أجيت سنغ جي، جوجا سنغ جي، زور أور سنغ جي، فتح سنغ جي	يوم السبت ١٦٧٥/١١/١١ أقام في غوروكالاهور ١٦٧٧ وفي مدينة باؤنتا ١٦٨٤ ومدينة بدور ١٦٨٩ موكتاسر ١٧٠٥ ودمومه ١٧٠٦	يوم الخ... ١٧٠٨/١٠/٧ بمدينة صاحب - ندير... بولاية مها... (٤٤ سنة)

الكتاب المقدس للديانة السيخية

(جب جي)

لأول مرة باللغة العربية النص الكامل للصحيفة السيخية المقدسة «جب جي» ترجمة حرفية من اللغة البنجابية تأليف الكورو نانك (١٤٦٩ - ١٥٣٩م) مؤسس الديانة السيخية المترجم غورديال سنغ، مراجعة محمد سعيد الطريحي الأمين العام لدائرة المعارف الهندية.

الله أحد ذو الوجود الدائم لا يزول وهو الخالق المطلق للعالم كله وليس هو خائفاً ولا عداوة له على أحد فإنه غير محدود بأي قيود الأزمنة أطلاقاً إذ ظهور كيانه إذ ظهور كيانه هو من تلقاء نفسه بعينه وأيضاً مبرأ من قيد الولادة فاحفظ ذكره إذ التقرب إليه يتوفر لمن تكرم الله عليه وكان ذاته يانانك قائماً منذ وقبل الأزل وهكذا سوف لا يزال قائماً حتى أبدا الأبدين مستقبلاً.

التسبيحية الجوهرية في العقيدة الأساسية للديانة السيخية

وحتى ولو مارست الطهارة الجسدية ألف ألف مرة مع ذلك لا يمكن

الحصول على طمأنينة القلب حتى ولو مارست الصمت الدائم مشتغلاً في الرياضة مع ذلك لا يمكن الحصول على طمأنينة القلب، ولو تكاثرت عندي أكوام من ملذات العالم متراكمة واحدة فوق أخرى بالرغم من ذلك ليس في إمكان تلك الملذات أن تسد جوعى قط، ولو كانت في حوزتي ألف ألف حكمة وفلسفة بالرغم من ذلك لا يمكن أن تفيدني حتى ولو واحدة منها إطلاقاً فإذاً كيف يمكن الاهتداء إلى منزل الصدق وكيف يمكن تحطيم ستار الكذب؟

يا نانك تحفظ جيداً بأنه لا يزال مكتوباً للبشر وجوباً منذ أبد الآباد أن يتمشى مع أمر الله رب المرضاة.

السلم - ١ -

على حسب حكم الله يتم تخليق العالم قاطبة وهو ذلك الحكم مما لا يمكن سرد صفته، وعلى حسب حكم الله يحدث تكوين كل ذوي الأرواح والأحياء، وعلى حسب حكم الله يحصل لها العظمة والشرف، وعلى حسب حكم الله يتكون وجود لكل من النبيل والرذيل، وعلى حسب حكم الله تماماً يحصل البشر على السعادة أو الشقاوة طبقاً لما يكون متاحاً ومكتوباً له.

كم من رجال وهم مرزوقون بالنوال والعطاء، بينما كم من رجال وهم لا يزالون تائهين ومحتارين من بين دوران الموت والحياة أن كل واحد تحت أمر الله، وليس أي واحد من

يكون خارجاً من حكمه، يا نانك إذا أحاط البشر بشأن قضاء الله سيطرح عنهم الشعور بالأنانية حتماً.

السلم - ٢ -

بعض الناس يُسَبّحُ تسبيحاً في جبروت الله على حسب مستطاعه والبعض يسبِّح في فضل الله وعطائه إذ يعتبر تلك كلها دلالة على مظهر الله، والبعض يسبّح في أوصاف الله وعظمته تسبيحاً، والبعض يسبّح في معرفة الله المستعصية الفهم استناداً إلى تعمق علومه، والبعض يسبح الله إيماناً منه بأن يخلق الخالق الجسد ويجعله بعد ذلك في النهاية محولاً إلى الطين، والبعض يسبّح الله تسبيحاً تسليماً بأن الله ينتزع الروح من الجسد ثم يجعلها تحل حلولاً من جديد في الجسد الآخر، والبعض يسبّح الله تسبيحاً ظناً منه بأن الله أبعد ما يكون كل البعد وهو صعب المنال، والبعض يسبّح الله تسبيحاً اعتباراً بأن الله ليس أبعد كما يزعم الناس هكذا وبل هو أقرب ما يكون حاضراً مشهوداً منظوراً.

لذلك ملايين من الرجال سبق أن سردوا صفة حكم الله الآلاف من المرات التي لا تحصى مع ذلك أقوالهم في سرد صفة قضاء الله لم تتمكن من العثور على مبلغ غاية حكمه.

لا يزال الله المعطي يعطي نواله بلا انقطاع لكن عكس ذلك يصير الرجل الذي تعطى له هذه العطايا متبعاً بفعل تلقي وفور عطاياه، فعليه لا ينفك المخلوق يأكل رزق الله

منذ دهر الدهور، إن الله الحاكم يسيِّر نظام العالم كله وبما فيه بنفسه يا نانك! إن الله طليق الوجه وفرحان بمرضاته وهو مستغني وغير مبال.

السلم -٣-

إن الله مولانا دائم الوجود وكذلك نظامه وعدله ذو الدوام والاستقرار، أما نطقه فهو نطق المحبة غير المتناهي نسأله ونستعطيه ونبتهل إليه قائلين: يا ربنا المفضال المعطي، آتنا ما وعدتنا، اختصنا بعطائك، فعندئذ هو يستجيب لدعائنا حق الاستجابة.

وفي الوقت الذي يختصنا الله بكل أفضاله ونعمه محتوية على كل نوع الأشياء فأذن أي شيء يجب علينا تقديمه من جانبنا لحضرة جلاله كنذر إليه، وكذلك ماذا يجب علينا في اختبار أسلوب الدعاء حتى يستمع الله إليه فيحلو له وثم تزداد محبته لنا ازدياداً لأجل هذا عليك أن تسبح ذكر الله الصادق وترتل عظمته ترتيلاً مبكراً قبل شروق الفجر صباحاً.

بفضل تكرم وامتنان الله عليك فحسب يمكن اكتساب خلعة من تحميد الله ولا يمكن الدخول إلى باب النجاة إلا إذا كانت نظرة عاطفة ملقاة عليك من الله جل جلاله.

یانانك، عملاً بهذا الطريق نفسه يمكن إدراك واقع الأمر بأن الله هو رب الكائنات بأسرها.

السلم - ٤ -

إن الله ليس حدوث أو تكوين ذاته مرتبطاً بأيّ وساطة بل وجوده قائم بذاته نفسه بحيث ننزهه من كل السخامات المادية، إن المرء الذي خدم ماشياً على سبيل ذكر اسم الله فقد اهتدى إلى العزة والشرف فلذلك يا نانك يتعين علينا بأن نسبح نحن ذكر الله تسبيحاً بما أن اسم الله هو بالذات كنز لكافة الأوصاف والمكارم.

تعالوا كل منا جميعاً نرتل اسم الله ترتيلاً ونستمع إلى ذكر الله وأيضاً نحل المحبة لله إجلالاً في داخل قلوبنا، بحيث أن انتهاج ذلك الطريق بالذات يدفع عن المرء الأحزان والهموم ويستوعب بذلك الفرحة والطمآنينة في طيات قلبه، وتوجهاً لله فحسب يمكن إبقاء رمق الحياة، وتوجها لله فقط يمكن الحصول على المعرفة والعلم في الرب الخالق الذي هو دائم الوجود في كل مكان أما الإله «شيفا» الذي المفروض فيه انه هالك كل العالم بأسره وغوروغوراك والإله «برهما» المزعوم فيه بأنه يخلق كل العالم وكذلك الآلهة «بارباتي» الأم فليس هؤلاء كلهم إلا مظهر من مظاهر الله بالذات.

في أي حالة ما فيما لو أمكن لي إدراك شأن الله تعالى إذ لن أكون قادراً على سرد بيان تلك الكيفية مما أكون قد أدركته إذ ذاك بحيث لا يمكن الإحاطة بهذه الكيفية في نطاق القول.

أيها ربي أعطني إدراكاً واحداً ولا أزيد منه في الأمر بأنك رزاق كل المخلوقات ولا تجعلني أنسى ذكرك في أي حين من الأحيان.

السلم ـ ٥ ـ

أن أقوم بزيارة للمعابد المقدسة وأستحم في حياضها المطهرة قاصداً لكي أقع أنا موقعاً حسناً من الله وأرضيه لكن ليست أي منفعة في الاستحمام قط إلا إذا كان عملي هذا مصحوباً بمرضاة الله على أن العالم ما أشاهده بعيني كله لا يمكن الاكتساب من أي شيء فيه بدون فضل الله ومرضاته.

فيما لو استمع البشر حتى لو لموعظة واحدة في شأن الله عز وجل فقد نتجت بفضل ذلك الجواهر والماس والجسان واللآليء الكثيرة في عقل البشر.

إيهٍ ربي أعطني إدراكاً ولا أزيد منه في الأمر بأنك رزاق كل المخلوقات ولا تجعلني أنسى ذكرك في أي حين من الأحيان.

السلم ـ ٦ ـ

ولو كان يمتد العمر لأحد إلى مدى أربعة عصور وحتى لو منح له أكثر منه بعشرة أضعاف كما كان قد ذاع صيته في كل شخص اقتداء اشتياقاً إكراماً له وكذلك كان قد دله أن يكون قد اكتسب أرفع وأسمى الألقاب امتداحاً له بعد أن حظى بحظوة في سبيل شيوع صيته في أنحاء العالم

قاطبة لكن بالرغم من كل ذلك طالما يكن فضل الله وانعطافه عليه لكان هو رجلاً مغلوباً على أمره ولا واحد كان يلتفت إلى سماع لقوله وكان شأنه عند الله مثل أحقر دودة ضمن حشرات الأرض وكان هو متَّهماً ومقهوراً بمحضر الله بحيث أنه كان ينسى الله الخالق.

يا نانك، هوذا الله وحده الذي يعطي الإنسان عطاءً جزيلاً من المكارم والفضائل ولو أن كان هذا الإنسان قبلاً محروماً من أي فضيلة وعلى نفس الطريق يصيِّر الله الإنسان عديم المحاسن ذا المحاسن بفضل منه فإذا لا يتواجد أي أحد في العالم قاطبة من يكون له قدرة على جعل عديم الأوصاف ذا الأوصاف.

السلم - ٧ -

بفضل استماع ذكر الله يمكن الحصول على منزلة «يوغيين» فلاسفة علم «السدهسية» والقديسيين والروحانيين وكذلك مكانة الآلهة والنساكين والمقربين لله.

بفضل استماع ذكر الله يبدأ المرء يتعرف على الحقيقية بأن هو الله الأحد الذي خلق الأرض والسماء وهو الله بالذات من يدعم الأرض بدلاً من الثور الأسطوري المزعوم بأنه يحمل الأرض على قرنيه، بفضل استماع ذكر الله يُدرك البشر بأن الله دائم الوجود في طبقات الأرض السبع وبفضل استماع ذكر الله لا يمكن للموت أن يخلق بالرجل قط.

يا نانك ألا يزال المتعبد لله طليق الوجه وفرحان إذ بفضل استماع ذكر الله يمكن القضاء على الأحزان والآثام.

السلم - ٨ -

بفضل استماع ذكر الله يمكن للإنسان العادي أن يبلغ إلى منزلة من منازل الألوهية مثلما كانت الأله شيفا، هالك الكائنات وإلى منزلة الإله «برهما» خالق أو مكون للكائنات وكذلك إلى منزلة الإله «اندرا» وهو إله الأمطار.

بفضل استماع ذكر الله يأخذ الرجل الصالح يحمد أوصاف الله تحميداً.

بفضل استماع ذكر الله يدرك البشر أساليب في الرياضة والمعرفة بفلسفة «يوغا» وكذلك يستوعب ما وراء الحقيقة والأسرار الباطنية.

بفضل استماع ذكر الله يمكن للبشر الإحاطة بكافة العلوم محتوية عليها في الصحائف مثل «شاسترات» و«سمرتيات» و«فيدات» بأكملها.

يا نانك، لا يزال المتعبد لله طليق الوجه وفرحان إذ بفضل استماع ذكر الله يمكن القضاء على الأحزان والآثام.

السلم - ٩ -

بفضل استماع ذكر الله يمكن الحصول على مَلَكة السخاء والقناعة والعرفان.

بفضل استماع ذكر الله يكتسب البشر جزءاً على قدر ما يستحق هو مقابل القيام بزيارة واستحمام التطهير في حياض من ثمانية وستين معبداً مقدساً.

بفضل استماع ذكر الله يكتسب البشر شرفاً وصيتاً باذخاً. بفضل استماع ذكر الله يمكن أن يركز اهتمامه وجدانياً بالعبادة يا نانك، لا يزال المتعبد لله طليق الوجه وفرحان إذ بفضل استماع ذكر الله يمكن القضاء على الأحزان والآثام.

السلم - ١٠ -

بفضل استماع ذكر الله يتعرف البشر على حياض من المكارم والمحاسن.

بفضل استماع ذكر الله من الممكن الحصول على منزلة من الشيوخ العلماء وأولياء الله والملوك.

بفضل استماع ذكر الله يتمكن العميان من الاهتداء إلى الطريق المستقيم.

بفضل استماع ذكر الله يمكن استدراك الحقيقة في أعماق ظلمات العالم الواسع.

يا نانك لا يزال المتعبد لله طليق الوجه وفرحان إذ بفضل استماع ذكر الله يمكن القضاء على الأحزان والآثام.

السلم - ١١ -

إن من انجذبت نفسه في ذكر الله إيماناً كاملاً فلا يمكن سرد حالة مشاعره الداخلية وفي أي حال لو كان حاول أي أحد بيان تلك الحالة لقد عاد سعيه إلى الفشل في نهاية الأمر.

لم يستطع أي واحد من الناس على كتابة حالة المؤمن بالله النفسية الداخلية وطالما كان جلس جميعهم ليكتبوها على وجه القرطاس بالقلم وبالرغم من أنهم كانوا فسروها وقدروها وحدسوا فيها وأمعنوا فيها إمعاناً تاماً بشأن المؤمن بالله الصادق.

والحقيقة أن اسم الله نقي ونزيه وأرفع بكثير من سخام الصفة الكونية خادعة البصر وهو ما وراء التصور لحد أن لا يستطيع واحد استدراكه واستقصائه لا ذلك الرجل المؤمن بالله يكون قد تفرغ لله تفرغاً كاملاً.

السلم - ١٢ -

بفضل الإيمان بالله يصبح الوعي سامياً.

بفضل الإيمان بالله يتجلى العقل تجلياً تاماً.

بفضل الإيمان بالله يمكن البلوغ إلى كافة العالم بما يوجد فيه وبحكم ذلك نفسه يعرف به حق المعرفة.

بفضل الإيمان بالله يتخلص وينجو المرء من انهيال الضربات من قبضة يد ملك الموت على وجهه.

بفضل الإيمان بالله يتخلص المرء من الذهاب مع ملك الموت والحقيقة أن اسم الله نقي ونزيه وارفع بكثير من سخام الصفة الكونية خادعة البصر وهو ما وراء التصور لحد أن لا يستطيع واحد استدراكه واستقصائه إلا ذلك الإنسان المؤمن بالله يكون قد تفرغ لله تفرغاً كاملاً.

السلم - ١٣ -

بفضل الإيمان بالله لا يعتري البشر أي من العوائق في طريقه.

بفضل الإيمان بالله يصبح البشر شائع الصيت مشرفاً ومختصاً بإكرام وإجلال له.

بفضل الإيمان بالله لا يحتاج البشر إلى انتهاج سبيل نزاعات المذاهب وتشاحن الاعتقادات.

بفضل الإيمان بالله يتكون الارتباط في نفس البشر بالفريضة الواجبة عليهم.

والحقيقة أن اسم الله نقي ونزيه وارفع بكثير من سخام الصفة الكونية الخادعة لبصر وهو ما وراء التصور لحد أن لا يستطيع أحد استدراكه واستقصائه إلا ذلك الإنسان المؤمن بالله الذي يكون قد تفرغ لله تفرغاً كاملاً.

السلم - ١٤ -

بفضل الله يتقرب البشر إلى مدخل النجاة.

بفضل الإيمان بالله يجعل البشر عائلته أن تثبت اعتمادها

تثبيتاً على الله تعالى.

بفضل الإيمان بالله يعبر البشر سابحاً هذا بحر العالم وكذلك يجعل غيره من المؤمنين يعبرون ذلك البحر سابحين مع السلامة أيضاً.

يا نانك، بفضل الإيمان بالله لا تبقى أي حاجة للبشر أن يتعثر على أبواب الناس كالشحّاذ أو كالسائل مستعطياً.

والحقيقة أن اسم الله نقي ونزيه وارفع بكثير من سخام الصفة الكونية الخادعة للبصر وهو ما وراء التصور لحد أن لا يستطيع أحد استدراكه واستقصائه إلا ذلك الإنسان المؤمن بالله الذي يكون قد تفرغ لله تفرغاً كاملاً.

السلم - ١٥ -

هؤلاء هم خيار الناس من يقبل قولهم وسط الناس ويتصدرون مقاماً في المجالس.

هؤلاء هم خيار الناس من يفوزون بشرف في محضر الله.

هؤلاء هم خيار الناس من يُصبحون زيناً وجمالاً للديوان الملكي عند الملوك.

هؤلاء هم خيار الناس من لا يزالون منهمكين انهماكاً في ذكر الله.

فيما لو حاول أحد أن يتأمل ويفكّر تفكيراً في تحديد ذات الله أو يحيط بجبروت الله لن يكون في مستطاعه أن يعدّ

عدة لصفات الله الباري إطلاقاً.

على أنه هنالك من يزعم بين الناس أن ثوراً واحداً يحمل ثقل كل الأرض على قرنية فليس هو في الحقيقة الأعدل مولوداً من بطن الرحمة وبالبر متمثلاً في النظام المعين من دين الله وهو ذلك نفسه الذي يدعم الأرض بدلاً من الثور المزعوم.

أنما هو دين الله الذي ولد لصفة القناعة على حسب نظامه لو كان المرء استقصى حول الحقيقة إمعاناً فيه وإسناداً إلى نور الحق لكان قد تبين له الأمر جلياً واضحاً بأن إلى أي حد كان يمكن لهذا الثور المزعوم أن يحتمل هكذا ثقل الأرض الباهظ.

فلنفترض بأن هذا الثور يحمل ثقل الأرض على قرنيه لكن قد تكون هناك الأرض الأخرى سواها التي يقوم عليها هذا الثور فإذن أية هي قوة أخرى التي تدعم هذا الثور من تحت أرجله.

ما أكثر الرجال الذين ينتمون إلى الفرق والطبقات الشتى على اختلاق التسميات وهم سبق أن كتبوا بقلمهم المترشح بدون توقف صفة الله على التوالي لكن بالرغم من كل ذلك قلما يمكن تواجد أي شخص من يكون له جدارة تامة حقة بمعرفة الكتابة لهذه الصفة.

على أي حال فيما لو بدأ أي واحد في الكتابة بهذا الصدد فإذن كم أضخم وأطول سيصبح هذا تأليف الكتابة في نهاية الأمر.

هو عظيم جمال الله ومظهره.

وما أجزل عطاؤه.

من ذا الذي يمكن له أن يحرز أو يقيم نواله.

هو واسع هذا الكون الذي يسيطر عليه أمر الله الواحد.

أنها بفعل أمر الله فحسب تجرى آلاف الألوف من النهار

من ذا الذي يكون في مستطاعه أن يفكر في جبروته.

يالله كم أصغر وجودي مقابل جلالك بحيث لا أجدُ بنفسي جديراً بأن افتدي لك فدى حتى لو مرة واحدة.

إنما ذلك العمل هو أحسن الأعمال ما يكون مرغوباً فيه مرضياً عندك.

اللهم عديم الصورة أن ذاتك دائم الثبات وأنت مطلق الوجود.

السلم - ١٦ -

كم من عدد لا يحصى يرتل ترتيلاً ذكر الله، كم من عدد لا يحصى يحب غيره حباً جماً ويتعامل مع غيره معاملة حسنة.

كم من عدد لا يحصى يتعبد الله مخلصاً، كم من عدد لا يحصى يستغرق استغراقاً في الرياضة الألوهية.

كم من عدد لا يحصى يتفرغ تفرغاً لتلاوة كتب فيدات المقدسة بلسانه.

كم من عدد لا يحصى من «يوغيين» يمارسون الرياضة النفسية في داخل قلوبهم وهم حزانى زاهدين في الدنيا.

كم من عدد لا يحصى من الأتقياء الذين يتأملون في أوصاف الله تأملاً عرفانياً.

كم من عدد لا يحصى ينتهج سبيل الدين الحق القويم.

كم من عدد لا يحصى من المقاتلين الشجعان الذين يتلقون على وجوههم ضربات الأسلحة الحديدية.

كم من عدد لا يحصى من الأتقياء يمارسون السكوت والصمت متفرغين لحب الله.

من ذا الذي يكون في وسعه أن يفكر في جبروته...

يالله كم أصغر وجودي مقابل جلالك بحيث لا أعتبر بنفسي جديراً بأن افتدى لك فدى حتى لو مرة واحدة.

السلم - ١٧ -

كم من عدد لا يحصى من الرجال الحمقاء وهم غاية في الحمق.

كم من عدد لا يحصى من اللصوص الذين يأكلون مالاً سحتاً.

كم من عدد لا يحصى من الشخصيات التي تفرض سيادتها على الناس وفي آخر الأمر ترتحل عن هذه الدنيا التي هي عرضة لعدم الثبات.

كم من عدد لا يحصى من من قاطعي الرقاب الذين يقومون بعمليات الاغتيال.

كم من عدد لا يحصى من من المذنبين الذين يرحلون عن هذه الدنيا بعد ان كانوا قد اقترفوا الذنوب.

كم من عدد لا يحصى من الرجال الكَذَبة الذين لا يزالون يتيهون وسط قمامة الكذب.

كم من عدد لا يحصى من الرجال فاسدي العقل غير المرغوب فيهم إذ هم يأكلون الطعام بشراهة شديدة.

كم من عدد لا يحصى من الرجال المغتابين الذين يحملون أنفسهم تحميلاً أثقال الأثام.

على أنه هذه هي المستوحيات كأنها التي يفكر فيها «نانك» أحقر المخلوقات وأسفل السافلين مكانة.

ياالله كم أصغر وجودي مقابل جلالك بحيث لا اعتبر نفسي جديراً بأن أفتدي لك فدي حتى لو مرة واحدة.

إنما ذلك العمل هو احسن الأعمال الذي ترضى به أنت.

اللهم عديم الصورة سبحانك لا ريب فيك بأنك دائم الوجود إلى أبد الآبدين.

السلم - ١٨ -

كم من عدد لا يحصى من أسماء ذوي الأرواح في العالم وكذلك. كم من عدد لا يحصى من مساكنهم.

كم من عدد لا يحصى من بقاع على الأرض في العالم التي يتعذر على البشر الوصول إليها.

كم من عدد لا يحصى من الرجال الذين يصفونها بلسانهم لكن يلاقون الفشل في نهاية الأمر.

بمساعدة الكلمات نحن نسبح ذكر الله ونحمد الله حمداً.

بمساعدة الكلمات يأتي إيضاح العلوم ويُؤدَّى ترتيل الأغاريد في صفات الله.

بمساعدة الكلمات يحدث تركيب الكتابة وكذلك يقع تكوين نطق الكلام.

بمساعدة الكلمات نحن نوضح أقدار المرء مكتوباً على الجباه بصورة أسارير لكن فيما يتعلق الأمر بكاتب أقدر البشر ليست هناك أية كتابة على جبينه بحيث أنه هو المطلق القادر بنفسه. إنما يكتب البشر حظه بضبط جسمه حيث يكون الله قد صدر أمره في حقه.

إن كافة الكائنات التي قد تم تخليقها من قبل الله إنما تدلُّ بدون استثناء على مظهر من مظاهر الله بحيث لا يمكن تواجد أي مكان ما يكون خال من مظهر الله.

على أنه من ذا الذي يكون في وضعه يفكر في جبروته؟

يالله كم أصغر وجودي مقابل جلالك بحيث لا أعتبر بنفسي جديراً بأن افتدي لك فدى حتى لو مرة واحدة.

إنما ذلك العمل هو أحسن الأعمال الذي ترضى به أنت.

اللهم عديم الصورة سبحانك لا ريب بأنك دائم الوجود إلى أبد الآبدين.

السلم - ١٩ -

في حالة ما لو تلطخت يدان وقدمان وجسد بالتراب فيمكن إزالة التراب عنها عن طريق غسل تلك الأعضاء بالماء.

كذلك إذا تلوثت الثياب بالبول أو البراز فيمكن غسلها مستخدماً الصابون.

وعلى نفس الطريق إذا تنجس العقل البشري متلطخاً بالآثام فيمكن اغتساله عن طريق التفرغ لذكر الله.

انتبه جيداً بأن كلمة «الخير» وكلمة «الشر» ليست مجرد كلمتين على سبيل القول فحسب بل هما دلالة على تلك الأعمال التي أنت تؤديها كل يوم وسوف تصبح هي كلها مكتوبة إما عليك أو لك وتصحبك عندما ترحل عن هذا العالم.

بالإضافة إليه فمهما زرعت أنت البذور لابد أن تحصدها وبالتالي تأكل ثمرها.

يا نانك، تحفظ جيداً بأن الأمر في قدوم أو ذهاب البشر عن هذا العالم فهو مرهون بحكم وقضاء الله لوحده.

السلم - ٢٠ -

إن الشرف مما يفوز البشر بفعل القيام بزيارة إلى العتبات المقدسة وممارسة الرياضة النفسانية وبتأدية عملية الإحسان والبر لا يساوي هذا كله حتى مقدار حبة واحدة من خردل بالمقايسة إلى الشرف الذي يحصل عليه عن طريق ذكر الله.

على أن المرء الذي استمع إلى ذكر الله فآمن به وبالتالي استغرق في حبه فقد أصبح بذالك كما لو كان هو استحم ملء رغبته بفرك جسده فرحان مطمئناً في حوض المعبد الطاهر الذي هو موجود في داخل قلبه بالذات.

أيها مولاي لا ريب في الأمر بأن في حوزتك كافة الفضال، ها هو أنت ذا واهب الفضائل بحيث ليست عندي حتى لو فضيلة واحدة.

طالما لم تخلق أنت فضيلة ما في داخل باطني لا يمكن أن أصير متقياً متعبداً قط.

أيها ربي، هو ذا أنت الذي كيانه دائم الثبات وقائم بالذات أهو ذا أنت موجود في الكائنات كلها، هو أنت بنفسك الكلام الألوهي وهوذا أنت موجود في الإله «برهما» يعني الإله خالق العالم، هو ذا أنت مستقر الوجود وهو ذا أنت الذي فرحان دائماً قلبه.

متى كان ذلك الزمن؟ ماذا كان ذلك الحين؟ ماذا كان ذلك

التاريخ؟ أي كان ذلك اليوم؟ متى كان ذلك الفصل متى كان ذلك الشهر حيث كان تم فيه تشكيل هذا العالم؟

لم يتمكن أي من البراهمة الفلاسفة الذين وضعوا الصحائف «بورانات» المقدسة من تحديد ذلك وقت التكوين للعالم مثلما لم يقدر أي من القضاة الفقهاء شارحي القرآن والشرع من الكشف عن ذلك الوقت إطلاقاً.

كذلك هذا الأمر ينطبق على علماء الفلسفة «يوغا» بشأن تحقيق الفصل والشهر بشأن تكوين أو حدوث هذا العالم.

فيما لو يمكن في أي حال معرفة ذلك الوقت بضبط وبإتقان تام ليس هو أي آخر إلا الله واحده الذي خلق الكائنات بأسرها كيف أتكلم في عظمته؟ كيف أسبح حمده تسبيحاً؟ كيف أفسر جلاله تفسيراً؟ كيف يمكن لي أن أتقرب إليه؟

يا نانك، هأنذا أجد كل واحد ينافس الآخر على رواية عظمته على لسانه جاهداً ساعياً سعياً حثيثاً ومدعياً بأنه أذكى أو أعقل من غيره لكن لا يمكن له أن يصف له حق الصفة قط.

أن الله أكبر وأرفع شأناً وذلك هو الذي يحدث كل شيء بمقتضى أمره.

يا نانك، فيما لو ظن أي واحد بأنه على معرفة شيئاً وتحقق علماً تاماً إسناداً إلى إدعائه الكاذب فإنه بذلك لن يتلقى أي احترام أو ترحيب بمحضر الله إطلاقاً.

السلم -٢١-

توجد هناك آلاف الآلاف من طبقات الأراضي السفلى تقع الواحدة تحت الأخرى وكذلك آلاف الآلاف من السماوات التي تعلو كل واحدة فوق الأخرى بحيث يستحيل تصور الناس من استكشاف آخر طرف لنهايتها.

أما الصحائف «فيدات» المقدسة فتقول نفس الحديث بلسان واحد بالإجماع في هذا الصدد وتذكر الصحائف المقدسة مثل: توراة وزبور وإنجيل والقرآن عن وجود ثمانية عشر ألف عالَم وإن منبعها الوحيد الخالق الواحد لا غيره.

فيما لو كان بالإمكان إحصاء أوصاف الله على فرض، إذا حاولنا الكتابة في أي من أوصافه حال فهذا سوف يؤدي إلى انقراض نظام الحساب نفسه وسيترتب على استهلاك كل الأرقام العددية بشأن حصر صفات الله.

يانانك أنه نفسه الذي يدعوه الناس أكبر وأعظم وهو على أحق المعرفة بنفسه في هذا الصدد.

السلم - ٢٢ -

إن عباد الله قد طابت أنفسهم في تسبيح الله إلى الحد الذي لم يبق لهم الوعي لوجودهم بحيث أنهم صاروا متمثلين بالله روحياً تماماً على غذاء تلك الأنهر، مختلفة الينابيع التي ليس بالإمكان تحديد هيئتها السابقة بعد أن انحدرت في مياه البحر.

إن السلاطين من يسود حكمهم على البحار وعندهم المخازن التي تتكدس فيها الثروات لا ينزلون حتى إلى منزلة أدنى أو أحقر نملة لم يكن قد تغيب عن قلبها ذكر الله.

السلم -٢٣-

لا نهاية لحمد الله مطلقاً كما لا يمكن أن نحصر ذلك في حيز البيان! لا حول ولا قوة على الإحاطة بمنتهى صنع الخالق ولا قوة كذلك على المعرفة بمنتهى الله المعطى.

لا يمكن البلوغ من تلك النهاية لا عن طريق المشاهدة ولا عن طريق السماع.

لا يمكن المعرفة حول المنتهى المقصود الذي قد يكون في قلب الله، ولا يمكن التعرف على النمط في نحو ماذا يحلو له الثناء من جانبنا.

لا يمكن لأحد أن يعرف أو يحدس في تشكيل العالم من حيث ما أوسع مدى تكوين كائنات الله.

ليس بالإمكان تقدير منتهى قدرة الله من حيث ماهو دون وما هو عبر هذا العالم.

كم من رجال يتبلبلون رغبة في البحث عن آخر طرف المنتهى لكن لا يسهل عليهم إدراك منتهاه إطلاقاً.

أما هذا المنتهى الذي ليس بإمكان أحد أن يصبح متعرفاً عليه، فكلما يتحدث عنه بأقواله الكثيرة في مجال

التحديد كلما يأخذ بالظهور له أوسع فأوسع بمراحل عن ذي قبل بأن الله أكبر وأرفع منزلة ومكانة يكون.

إن الله أعلى الأعالي وكذالك أسمه أسمى وأعظم.

إنما في تلك الحالة نفسها يستطيع أحد أن يعرف ذلك الله الأكبر.

فيما لو كان يتيح له أن يصير أكبر من ذات الله، لكن ذلك الأمر متعذر عليه جداً.

لا أحد يستطيع أن يدرك عظمة الله ما عدا الله وحده الذي يعرف بنفسه شأن كبريائه.

يا نانك، لا ريب بأن الله هو الرحمن والمفضال والمعطي.

السلم - ٢٤ -

أما بشأن سعة كرم الله وفضله فلا يمكن تحريره بالقلم لأنه ليس بمستطاع احد الإحاطة به!

إذ الله هو الوهّاب والمعطى فليس لديه أي إطماع في أي شيء حتى على قدر حبة الخردل.

كم من عدد لا يحصى من المحاربين الشجعان سائلون الله على عتبته.

كم عدد لا يحصى من البشر الذين يمارسون الفحشاء والأعمال السيئة؟

كم من البشر يتلفون ويتلقون عطايا من الله تباعا بدون

انقطاع، ثم لم يلبثوا طويلاً حتى يكونوا منكري الجميل.

وما أكثر الحمقى الذين يأكلون ويأكلون وهم غير شاكرين لله على نواله.

على عكس ذلك ما أكثر عدد الرجال المساكين المعُسرين الذين يعانون معاناة تحت ثقل التعاسة والجوع.

أيها الوهاب المعطى، تلك حالهم، العسرة والتعاسة أيضاً تتكون من إحدى عطاياك في سبيل التمسك بالقناعة والأصطبار.

إنما يمكن التحرر من قيود المغريات المادية فقط بمرضاة الله فيما لو ظن أحد بأنه سيأمَنْ منها ويتحرر بأي طريق آخر فلن ينجح في محاولته أبداً.

كذلك فيما لو أوصى أي شخص أحمق بإتباع أي طريق آخر في التخلص من المغريات المادية، فسوف يستبين لهذا الأحمق الأمر بأن ما أكثر أن يصاب وجهه ضربات عملا بذلك فيما تصب على وجه من الضربات القاسية جزاء عمله.

أن الله يعلم الحاجة حق العلم وهو يسد بنفسه تلك الحاجة وهذا هو القول بالذات الذي يردده كثير من الرجال.

يا نانك، أيا مَنْ يرزقهُ الله الاستطاعة على تسبيح حمد الله أوصافه، فسوف يصبح ذلك الرجل فعلاً قيصر القياصرة.

مثلما لا يمكن تقدير القيمة من المكارم الإلهية هكذا لا يمكن تقدير التجارة في تلك مكارم الله أيضاً.

مثلما غير ممكن تخمين قيمة التجارة من فضائل الله هكذا لا يمكن تخمين قيمة فضائل الله ومخازنها أيضاً.

كذلك لا يمكن تقييم قيمة هؤلاء الرجال الذين يأتون إلى هذا العالم كيما يشترون هذه المكارم ومن ثم يذهبون عن هذا العالم بعد أن اشتروها، بينما لا يمكن تحديد قيمة هؤلاء الرجال الذين ولعوا بالله ولوعا بالغاً إذ لا يمكن كذلك تحديد قيمة أولئك الرجال الذين انجذبوا لذات الله أيضاً.

حيث لا يمكن تقدير قيمة دين الله، إذ لا يمكن أيضاً تقدير قيمة مقام الله الباري كذلك.

مثلما ميزان عدل الله ما وراء تقدير القيمة، هكذا المعايير والمقاييس في ذلك الميزان ما وراء تقدير قيمتها.

في حين ليس فيه إمكان تخمين قيمة عطايا الله، إذ ليس بالإمكان أيضاً تخمين كل تلك العلامات التي تدل على عطاياه على الإطلاق.

إن كرم الله لا يمكن تحديد قيمته وكذلك لا يمكن تحديد قيمة أحكام الله وشرائعه.

أما كرم الله فهو أثمن ما يكون من أثمن النفائس كلها

للحد الذي لا يمكن حصره في نطاق المنطق.

إنما ليعجز جميع الناس الذين يركّزون اهتمامهم تركيزاً عن تحديد صفاته وفي نهاية الأمر يصبحون منهمكين متعبين.

قد سبق أن فسَّرت صفاته دراسات لا تحصى وكتب «فيدات» «وصحائف» «بورانات المقدسة».

كما روى صفاته العلماء، الوعاظ تباعاً.

كذلك كم من أمثال الإله «برهما» والإله «اندر» والإله «كرشن» و«جوبي» كانوا قد أمعنوا إمعاناً في رواية أوصافه.

وإلى جانب ذلك من روى موعظته كان كذلك الإله «شيفا» و«يوغبون» أصحاب طاقة الكرامات.

كم من عدد أمثال الإله «بوذا» سبق أن أحصوا صفاته.

كان قد رتَّل صفاته ترتيلا الجان والملائكة كذلك قد وصفوا عظمته، كم العديد من الرجال ولهم خصائص الملائكة كما سبحوا فضائله أيضاً «ومنبون» القديسون وخادمو البشر.

كم من عدد الرجال يسبحون أوصافه في حين أن غيرهم على وشك القيام بمحاولتهم في ذلك.

كم عدد الرجال الذين كانوا حَدَسُوا أوصاف الله حدساً وبعد ذلك ارتحلوا عن هذا العالم الواحد تلو الآخر.

فيما لو خلق الله عدد الأحياء ضعفًا لما قد سبق أن خلقهم مع ذلك لن يستطيع أي واحد منهم أن يقيِّم أوصافه أبداً.

على قدر ما يشاء الله أن تصبح عظمته فهي تصير على نفس القدر بالضبط حسب مشيئته.

يا نانك أن الله المطلق دائم الوجود وفيما يتعلق الأمر بالأسرار التي في ذاته لا أحد يعرفها إلا الله وحده.

وعلى أي حال فيما لو أدعى أي واحد بمعرفة عظمته مستكبراً متباهياً في إدعائه، فليكتب اسم هذا الرجل في مقدمة الحمقى بحيث أنه أحمق ما يكون حمقاً بتصرفه ذلك.

مثل ماذا قد يكون ذلك الباب ونحو ماذا قد يكون ذلك البيت الذي يراعى منه جالساً من فوق حق المراعاة للعالم بأسره.

هناك لا يحصى من ضاربي آلات الموسيقى وما لا يحصى من الألحان والأنغام لهم.

ما أكثر عدد الأغاريد والأناشيد الملحنة وما أكثر عدد المغنيين الذين يغنون جميعاً بتسبيح الله.

أن الريح والنار والمياه كلها بدون استثناء تحمد صفاتك تحميداً.

وكذلك يغني فضائلك «دهرم رابح» وهو الإله محاسب أعمال البشر.

هذا ويسبح معه كل الملائكة كتبة أعمال الخير والشر للناس إذ سيقوم «دهم راج» بمراجعة حساب أعمالهم فيما بعد بقصد إصدار الحكم عليها.

إن يرتل حمدك كل الآلهة أجمل الوجود أمثال الإله «برهما» والإله «شيفا» وغيرهما جميعاً الذي زينت أنت وجودهم أحسن زينة.

كذلك يسبِّحك على عتبتك الإله «اندر» متربعاً على عرشه مع الآلهة الآخرين كما يغني أوصافك مرتاضو علم «سدهية» بمن فيهم الرجال المتفرغون للمراقبة وأولياء الله الذين يتأملون في الله دائماً.

أيضاً يسبِّح حمدك أسخياء وأعفة ومصطبرون وشجعان وأقوياء كلهم جميعاً.

كما يُجلل جلالك البراهمة القرّاء للصحائف «الفيدات» المقدسة وكذلك لا يزال أقطاب من «رشبين» يرددن نعماك منذ أزل الدهور.

حتى حور الجنة فاتنات القلوب تردد صفاتك في العالم الأسفل تحت دركات الأرض.

تغني فضائلك الجواهر التي خلقت كل منها أنت بنفسك وكذلك يغني بحمدك ثمانية وستين مقاماً مقدساً للحج.

إذ يرتل صفاتك ترتيلاً أبطال ذوو بأس والجبابرة مثلما ترتل أربعة معادن عنصرية من تكوين العالم.

يبجّل محيط العالم كله عظمتك وكذلك المناطق والطبقات التي تحيط بهذا العالم كله الذي جعلت كل منها ومن ثم استقرت جميعاً في موضعها المحدد لها.

إنما يسبح تسبيحاً أولئك الأتقياء فحسب الذين تحبهم أصبحوا بذاك مشربين في صبغة مشقتك صبغا غامقاً.

كم هو عدد غيرهم الذين لا يمكن استذكار أسمائهم بحيث قد غاب ذكرهم عن البال وهم أيضاً يسبحون جلالك، فعليه لا أي شأن لهذا نانك أحقر الوجود المغلوب على أمره أن يفكر في حصر عددهم بعدم استطاعته على ذلك.

إنما هو ذلك عينه وعين ربنا السرمدية فحسب الذي لاسمه دوام واستقرار إذ هو موجود في الحاضر وهكذا سيكون في المستقبل أن الله الذي خلق الكائنات بأسرها، ومثلما هو لم يولد بأحد لن يموت إطلاقاً هكذا.

ذلك هو الله الأوحد الذي أوجد العالم على اختلاف الألوان والأجناس وتلك ذاته العظمى التي أتمت خلق الكائنات كلها.

إن الله يحافظ على ما تم تخليقه بعد نشأته حق المحافظة عليه وفقاً لما يحلو له شأن كبريائه.

إنما يعمل الله كيفما يشاء ولا يستطيع أحد أن يأمره إذ هو سلطان السلاطين وملك الملوك فإذاً يا نانك يتوجب علينا بأن نلتزم كل منا بمشيئة دائماً.

السلم - ٢٧ -

أيهاً يوغي، إذا جعلت اصطباراً وقناعة قرط أذنيك وشرفا واجتهاداً طرف ذيلك، وهكذا جعلت قريحتك بكونك متفرغاً لله رماداً تطلي أنت به على جسدك كما جعلت صفة استذكار الموت لحافاً وإذا جعلت هيكل جسدك الذي هو مثل عذراء لأجلك حيلة في طلب الحق كما إيمانك بالله لا يزحزح جعلت عصاك إنما فحينئذ يمكن لك الحصول على النجاة فحسب.

إنما ذلك الرجل قد يكون المعتقد المخلص النزيه فحسب لطائفة «آيابنثي» الأولى من ضمن كل اثنتي عشرة طائفة منتسبة إلى مذهب (يوغين) الذي جعل كل أفراد العالم أصدقاء له بحيث أن من أخذ قلب البشر فاز بالعالم بأكمله.

سلاماً على الله، سلاماً على الله الذي ذاته بدون أي عيب وليس له أي منبع للنشأة كما هو غير عرضة للهلكة أو الاندثار ولا يزال قائماً مستقراً عصوراً بعد عصور بمظهره الوحيد.

السلم - ٢٨ -

أيهَا يوغي حبذا لو جلعت عرفان الله ثريدك.

حبذا لو اتخذت الرحمة والإحسان للبشر كموقفك على غرار طبيعة حسنة لتلك المرأة المعتقدة المتطوعة التي توزع

الطعام على المشاركين في تجميع المآدبة المشترك حيث ينفخ في البوق إعلاناً ببدء توزيع الطعام.

على أن «ناث» مولى اليوغيين الذي تعلق عليه أنت أهمية بالغة هو الله وحده المولى الحقيقي لا غير الذي خلق الكائنات كلها حبذا لو تفهم بأن القوة المكتسبة الروحانية بفضل علم «سدهية» وبممارسة «ردهية» ليست إلا باطلة وهي التي تصرفك عن الله.

إن الوصال والفراق الذين يجريان كلاهما أمور العالم كله إنما هو الله الذي يذود عمن ذادهما نصيباً محدداً للبشر حسبما يكون له مكتوباً مقدماً.

سلاماً على الله، سلاماً على الله الذي ذاته بدون أي عيب وليس له أي منبع للنشأة كما هو غير عرضة للهلاك أو الاندثار ولا يزال قائماً مستقراً عصوراً بعد عصور بمظهره الوحيد.

السلم - ٢٩ -

كما تداول هذه الفكرة بين الناس عامة قائلة بأن كانت الكائنات قد حملت وقتاً ما من هذا الوجه أو ذلك وبالتالي أنجبت ثلاثة بنين إذ كان أولهم الإله «برهما» الذي تولى مهمة في رعاية وتربية المخلوق والثاني كان الإله «وشنو» الذي صار خازن الأرزاق للخلق بينما الثالث كان الإله «شيفا» الذي يعقد ديوان القضاء.

لكن في واقع الأمر تجرى كل أمور الكائنات حسب أمر الله ومرضاته.

ياللعجب، يرى الله الخلق كله غير أنه لا يستطيع أحد من المخلوقات أن يراه.

سلاماً على الله، سلاماً على الله الذي ذاته بدون أي عيب وليس له أي منبع للنشأة كما هو غير عرضة للهلاك أو الاندثار ولا يزال قائماً مستقراً عصوراً بعد عصور بمظهره الوحيد.

السلم - ٣٠ -

هذا وقد زود الله مخازن الأرزاق منسقاً في كل عالم بصورة بحيث أن كان قد خصصها تخصيصاً مرة واحدة مهما كان مطلوباً على سبيل الاختزان في هذه المخازن.

على أن خالق الكائنات جمعاء يواصل مرعاة مخلوقه مراعاة تامة بعد أن استكمل تكوينه.

يا نانك، مثلما ذات الله دائم الوجود هكذا عمل الله في مراعاة المخلوق أيضاً هو ثابت الدوام.

سلاماً على الله، سلاماً على الله الذي ذاته بدون أي عيب وليس له أي منبع للنشأة كما هو غير عرضة للهلاك أو الاندثار ولا يزال قائماً مستقراً عصوراً بعد عصور بمظهره الوحيد.

السلم - ٣١ -

على فرض لو كان أتيح للبشر أن يمتلك بدلاً من لسان واحد ألف ألف لسان حتى يبلغ هذا العدد مثله بعشرين ضعفاً وبالتالي كان هو قد ردد ذكر رب العالم ألف ألف مرة بتلك الألسنة غير أن فيما لو هو أدعى مفاخراً بسعيه الذاتي ظناً منه بأنه بعمله ذلك قادراً على الوصال بالله لذهب سعيه هباءاً منثوراً عن إدعائه الباطل.

إنما لأجل الوصول إلى سبيل رب العالم يلزم على أحد الصعود إلى درجات المرقاة عن طريق نسيان وجوده مستغرقاً تاماً في ذات الله.

سرعان ما وقع هذا الحديث السماوي على أذن النمل فقد هاج شعورهن بالتنافس أيضاً على ذلك الأمر في قلوبهن للوصال بالله.

يانانك لا يمكن تحقق الوصال بالله إلا بفضل انعطاف أو نظرة عاطفة من الله بحيث لا يكون لدى رجل متباه كاذب ما عدا أقواله وادعاءاته الكاذبة قط.

السلم - ٣٢ -

إن الإنسان لا حول له على النطق ولا قوة له على الصمت.

لا حول له على الاستعطاف ولا قوة له على العطاء.

لا حول له على الحياة ولا قوة له على الممات.

لا حول له على نيل الحكومة ولا قوة له على حصول الثروات وكلتاهما تثير العجيج والاضطرابات في القلب.

لا حول له على الوعي ولا قوة على المعرفة أو التأمل.

لا حيلة له في أن يخلّص نفسه من الدنيا.

على أن من قد تكون في يده القدرة والجبروت على كل ذلك هو الله وحده الذي يسير كل الأمور مرتباً وبالتالي يراعيها حق المراعاة.

يانانك، فإن لم يكن أي إنسان نبيلا أو رذيلاً أفضل أو سافلا بتلقاء نفسه إطلاقاً.

السلم - ٣٣ -

إن الله قد خلق الفصول والتواريخ والأيام.

إن الله قد أوجد الماء والنار والأرض السفلى.

إذ من بين كل تلك الأمور أقر للأرض مبيتاً ومنزلاً للبشر حتى يكتسب الأعمال الحسنة الواجب عليه وهي تلك الأرض التي تقطن عليها كل أنواع المخلوقات على اختلاف أطوار وألوان مع تسميات شتى لا تحصى.

هذا إلى أن يتم بمحضر الله التفكير والاحتساب ومن ثم يتم البتّ فيها على حسب الأعمال بما يكون كل أحد من الخلق أدى بها تماماً.

إن مثلما الله صادق وعادل بنفسه هكذا يتسم ديوانه

ومحضره بصدق وعدل أيضاً إذ هناك في محضر الله يتجمل الأتقياء تجميلاً بما أنهم يقبلون كخيار الناس بحكم أعمالهم الخير.

تسطع جباه هؤلاء الأتقياء برسوم الشرف بفضل كرم ونظرة عاطفة من الله.

أما فيما إذا كانت أعمال البشر المكتسبة فجة أو ناضجة فسوف يتعرف عليها هناك في العقبى بالذات.

يانانك إنه القدوم إلى محضر الله فحسب عندئذ يمكن إدراك حقيقة المرء كله في نهاية الأمر.

السلم - ٣٤ -

من ضمن انقسام الحياة إلى خمس مراحل قد سبق الذكر عن مرحلة الفريضة الواجبة فلنذكر الآن حول مرحلة المعرفة.

ما أكثر الرياح والمياه والنار وما اكثر الإله «كرشن» والإله «مهيش».

ما أكثر عدد الإله «برهما» لمن يتم تخليق وجودهم على أشكال متعددة وعلى ألوان شتى في ثياب الصور المتباينة.

ما أكثر مضامير العمل على الأرض لتأدية العمل وما أكثر الجبل «ميرو» وما أكثر «دهر وبكت» ومواعظهم.

ما أكثر عدد الإله «اندر» وما أكثر القمر وما أكثر

الشمس وما أكثر عدد من المناطق والبلاد حولها.

ما أكثر عدد من العلماء في فلسفة «سدهية» وأمثال الإله «بوذا» وما أكثر عدد من «ناث» وما اكثر عدد من الآلهات على أشكالها الشتى.

كم أكثر عدد من الآلهة وعمالقة الطواغيت وكم أكثر عدد من «منيين» الروحانيين وكم أكثر عدد من الجواهر وكذلك كم أكثر عدد من الأبحار التي تستخرج الجواهر منها.

ما أكثر عدد المناجم وما أكثر عدد من الألسنة وما أكثر عدد الملوك وما أكثر عدد من أبناء الملوك.

ما أكثر عدد من الذين يخدمون على سبيل تلاوة الصحائف «سرتيات» المقدسة.

يا نانك، لا يمكن تحديد المنتهى ولا أحصاءاتها عدداً.

السلم - ٣٥ -

على أن مرحلة المعرفة هذه هي تلك المرحلة التي تكون الرغبة ملحة أشد ما يمكن في الإدراك والتعرف إذ تتوفر فيها أناشيد حافلة بمتعة ومناظر رائعة وأفراح وإسعاد.

أما بشأن مرحلة حالة الطرب النفسية فيتكون تركيبها من الجماليات وأروع الحسن الذي يصاغ الحسن فيها على أتم ما يكون جمالاً وعلى أي حال فيما لو حاول أي واحد

بيانها تفصيلاً لعجز عنه وأصبح نادماً على سعيه عبثاً.

بعبارة أخرى هذه هي الحالة نفسها التي يصبح مصاغاً فيها الوعي والإدراك والحدس والتعقل صياغة كاملة مثلما تكون قد تطورت خصائل الملائكة وعلماء الفلسفة «سدهية» متكاملة.

من جهة مرحلة امتنان الله وكرمه فهي تلك الحالة التي يتم فيها تكوين تلك الحالة متمثلاً في هكذا قوة بالتي لا تطيب نفس البشر لأي شيء آخر في العالم إلا لله الواحد بحيث يصبح فيها الرجال المتفرغون لله أصحاب أشد قوة بشكل لا تزال قلوبهم عامرة بذكر الله تاماً وهم يصبحون منتظمتين انتظاماً في حمد الله.

إنما لا يمكن وصف أو تفسير الحالة النفسية لهؤلاء الرجال إطلاقاً وبحكم ذلك الأمر فلا هم يموتون ولا هم يغترون أو يضلون من الملذات النفسانية.

يواصل الرجال الأتقياء من جميع ربوع العالم المختلفة يتمتعون وبأفراحهم وهم طلقاء الوجوه بما أنه قد ترسخ ذكر الله في قلوبهم خلال هذه المرحلة.

غير أن خلال مرحلة أبدية الوصال يحل ذات الله حلولاً كاملاً في قلب المرء يعني به ذات الله تعالى الذي يخلق فيخلق الكائنات على التوالي وثم يحافظ عليها بنظرته

العاطفة المفرحة حفاظاً تاماً.

حتى يتراءى في تلك المرحلة للمرء محيط الكائنات كلها مع طبقاتها ومناطقها وما يمتد حولها عيانا التي إذا حاول أي واحد تفسيرها لن يمكن له البلوغ إلى نهاية روايتها.

كما تتواجد فيها منازل وعوالم لا يحصى على اختلاف الأشكال.

ومجمل القول لا تزال تجري كل الأمور على مجراها تماماً على حسب أمر الله.

إذ هو يرى خلق الكائنات كلها فرحاناً ومسروراً.

يا نانك، متعذر على أحد أن يوضح على لسانه خلاصة تلك المرحلة أبدية الوصال بالله.

السلم - ٣٧ -

لو تصورت بأنك تملّكت نفسك بالورع فشبّه نفسك بحانوت صائغ فجعلت فيما إذا جعلت أنت صفة تمالك النفس وتمسك بالورع حانوتا لصائغ وبعد إذا اتصفت نفسك القناعة لها صائغاً وكذلك جعلت عقلك سندانا وبعده جعلت طلب العرفان مطرقة وثم سجيتك من مخافة الله منفاخاً كما اكتساب معيشتك بالمشقة وتصبب العرق جعله حمو للنار وبالتالي جعلت المحبة بوتقة وبعد ذلك أذبت وسكبت في تلك البوتقة ألفاظاً ذكر حيث في ذكر الله السرمدي فحينئذ

فقط يمكن صياغة العمل لذكر الله في مضرب العملاق الصادق.

على أنه يمكن تأدية ذلك العمل من قبل هؤلاء الرجال فحسب من يكون الله اختصهم بجرمه.

يا نانك لابد أن يصير هؤلاء الرجال فرحين بفضل نظر الله في خاتمة المطاف.

السلم - ٣٨ -

أما الريح فهي بمثابة المعلم والماء هو مثل الأب أما الأرض فهي بمثابة الأم الكبرى وكذلك تمثيل النهار والليل كلاهما شأنهما شأن المربية التي هي تربى وتهدهد وتجعل وليد هذا العالم يلعب.

أما أعمال الشر والخير فسوف تُقاس بها بمحضر الله وتحتسبها حقا من قبل «دهرم راج» وهو الملك المحاسب حيث يصبح بعض الناس بفضل كرم الله أقرب والبعض الآخر أبعد عن تقرب الله.

غير أن الرجال الذين سبق أن ردّدوا ذكر الله تباعاً وتحمّلوا مشقة الرياضة يا نانك، كلهم طلقاء الوجوه غداً وهم قد فازوا بنجاة من الدنيا الخسيسة.

شروح للمصطلحات الدينية الواردة في الصحيفة:

كرشنا: هو الإله لأهل الديانة الهندوسية وقد قام مهاريشي ويد فياس بتأليف ألفاظه السامية مطلقاً عليها صحيفة «بها غفد غيتا» المقدسة حافلة بالعظات والنصائح بما فيها الفلسفة الروحانية التي تتناول الموضوع الروحي الجسدي مفصلاً مستفيضاً إنما هي تحتل مقاماً ثانياً بعد «فيدات» الأربع المتضمنة لمقومات المذهب الاعتقادي.

غورك: هي كلمة سنسكريتية تدل على معنى «حامي البقر» أو «حامي الأرض» كما أيضاً تصطلح على احد أقطاب الطائفة لليوغيين.

ناث: كلمة سنسكريتية يراد بها «مولي» أو «مخدوما» أو مستخدماً حرفياً لكن العامة تطلق على الرجل الذي يكون قد تمكن من القوة الروحانية بأن يقوم ببعض الكرامات ومن المزعوم بأن كان هناك فيما مضى تسعة نواث حتى الآن في سلسلة طبقة النساك هذه.

رشى: الرجل الذي يكون قد اجتاز على مرحلة ما وراء المدركات والمحسوبات السطحية وأيضاً يكون حافظاً للفيدات المقدسة.

متى: حرفياً يراد به رجلاً يقوم بالصمت على سبيل الصيام لكي يركز مدراكه العقلية.

ردهية: كلمة سنسكريتية معناها ١ ـ النمو والازدياد ٢ ـ الرقي والتقدم ٣ ـ الثروات أو الرخاء ثم مجازاً تلك القوة فوق العادة الروحانية التي يحصل عليها من قبل اليوغيين عن طريق نيل هذا العلم.

سدهية: كلمة سنسكريتية معناها: ١ ـ تحقق الكمال أو الإتقان ٢ حالة التكامل ٣ ـ الفلاح والنجاح تاماً ٤ ـ ملكة الوجدان أو التعقل الباطني التي يمكن بذلك التنبؤ بأحداث المستقبل بدون الاستناد إلى أي

علة أو سبب ويراد بها كل أساليب ومبادئ الفلسفة «يوغا» بممارسة تمنح أهل مذهب «يوغا» القوة الكاملة في عمل الكرامات، التي تستدعي دهشة الناس وعجبهم.

بعبارة أخرى كلمة سدهية تدل على صنع الكرامات: إن سدهية لها ثمانية عشر نوعاً وهي:

١ ـ سدهية أنيما: تحويل الشكل إلى أصغر ما يمكن.

٢ ـ سدهية مهما: تحويل الجسد إما إلى حجم كبير أو حجم صغير.

٣ ـ سدهية لغما: جعل الجسد أخف ما يكون ثقلاً كالقطن.

٤ ـ سدهية برابتي: بممارستها وجدوا ملموساً على حسب المشيئة لكل تلك الأشياء التي يرغب ممارس هذه السدهية في الحصول عليها.

٥ ـ سدهية براكميا: الاستماع والرؤية والمعرفة لكل ما يكون مكنوناً في قلب شخص آخر من أبعد مدى البصر أو مدى السماع في حين يجلس ممارس هذه بعيداً بمراحل على بعد شاسع ساحق عن شخص آخر.

٦ ـ سدهية ايشفتا: قوة استمالة وافتتان وجلب كل الأشياء على حسب إرادته بغية ما.

٨ ـ سدهية غرما: القوة بما يصبح ممارس هذه السدهية أثقل ما يكون وزناً.

٩ ـ سدهية أنوبي: هي تلك القوة باكتساب لا يؤثر النوم والجوع والظمأ إطلاقاً على ممارس تلك السدهية.

١٠ ـ سدهية دور سراون: القوة بما تتطور صلاحية تامة في استماع

أي قول من بعد خارج مدى السماع أو مدى البصر.

١١ ـ القوة دوردشن: القوة التي يمكن بها رؤية أي مشهد أو شخص آخر عن بعد ما وراء مدى البصر وهو جالس بنفسه في مكانه بعيداً على مسافة شاسعة.

١٢ ـ سدهية منوبيغ: القوة الروحانية بما يذهب بنفسه ممارس تلك السدهية إلى حيثما يريد الذهاب إليه.

١٣ ـ سدهية كامروب: اتخاذ الشكل على أي نوع ما يريد اتخاذه صورة أو شكلاً.

١٤ ـ سدهية بركائي برويش: القوة التي بمساعدتها يحل ممارس تلك السدهية حلولاً في أي جسد آخر كجن أو جنية.

١٥ ـ سدهية سفى شند مرتيوف: بما يستطيع الرجل الذي يمارس هذه هذه السدهية أن يتخلى عن جسده على حسب رغبته.

١٦ ـ سدهية سركريرادرش: القوة بمساعدة الممارس لهذه السدهية يشاهد آلهة عيناً ويتماشى معهم عملاً بتلك الممارسة.

١٧ ـ سدهية سنكلب: يعني بذلك تحقق كلما يتوطد الممارس عزمه على الحصول عليه عن طريق ممارستها.

١٨ ـ سدهية ابراهت: القوة الروحانية المكتسبة عن طريق الرياضة تباعاً، والتي تجعله قادراً على الذهاب إلى أي مكان حيثما يريد مهما كان شاسعاً بعيداً.

السيخ
بين العنف والإيمان

مايكل كوفمان

ما أن تهبط الطائرة في مطار «بالام» في دلهي حتى يجد من يزور الهند لأول مرة، ثلاثة أشياء تتجاوز توقعاته وهي: الحرارة والفوضى والسيخ. نحن نعلم أن دلهي الجديدة، عاصمة لدولة أكثريتها الساحقة من الشعب الهندوسي. غير أن الذي يلفت الانتباه هو وجود العديد من السيخ ذوي اللحى الكثة، والعيون الرهيبة، وسرعان ما يلحظ أن السيخ منتشرون في كل مكان مما يكذّب الإحصاءات القائلة إنهم جماعة دينية صغيرة لا تشكل غير ٢٪ فقط من سكان الهند. إن ربان الطائرة نفسه قد يكون أحد ذوي اللحى هؤلاء ممن يعتمرون العمامة على رؤوسهم ويزينون معاصمهم بالأساور الفولاذية، وهي أي اللحية والعمامة والسوار، رموز ثلاثة من رموز السيخية. وإذا كانت شارات الأسماء المثبتة على صدور رجال الجمارك أو ضباط الأمن تنسبهم إلى «السينغ» التي تعني الأسد، فإن هؤلاء أيضاً من هذه الجماعة الدينية التي تحتفظ بهذه الكلمة لاسم الشهرة، فيما تحصر كلمة «كور» التي تعني الأميرة، بين الغالبية من النساء، حتى أن سائق السيارة الذي يطفئ أنوار سيارته العتيقة «المقرقعة»

السوداء والصفراء أثناء السير في الليل بغية المحافظة على طاقة البطارية، وهو في الأعم الأغلب سيخي أيضاً. ولعله يعلق صورة الداعية «غورو» نانك، مؤسس الديانة السيخية، في لوحة أجهزة السيارة الأمامية.

وإذا أجاد الزائر اقتناص الفرصة ولجأ إلى التشجيع والإيحاء، استطاع أن يحمل أي واحد من هؤلاء أو أي شخص آخر من أبناء الديانة السيخية على عرض أصول هذه الديانة السيخية والتنويه بمنجزات السيخ. وبمناسبة تصاعد الروح القومية السيخية، ومطالبة الكثيرين من النشء السيخي بالمزيد من الحكم الذاتي، حتى الاستقلال، ولجوء البعض إلى الإرهاب والعنف في سبيل هذا الهدف، يصر هؤلاء المتحدثون على أن هذه الإسهامات لا تحظى بأي تقدير أو اعتراف. وإذا ما ذكر المحدث السيخي أن جياني زايل سينغ السيخي هو الرئيس للهند (سنة ١٩٨٤)، بادر إلى مط شفتيه وأضاف إلى ذلك بأن المنصب شكلي، لا صلاحية له. وفي اعتقاده أن أنديرا غاندي، رئيسة الوزراء هي التي عينت هذا الرجل في هذا المنصب لتهدئة المشاعر السيخية الانفصالية. وكثيراً ما يلجأ سائقو سيارات الأجرة في دلهي، كالكثيرين من أبناء السيخ المتعجرفين، إلى المفاخرة أمام الركاب بأن نحو نصف ضباط القوات المسلحة الهندية وما يزيد عن نصف عدد الرياضيين في الفرق الأولمبية هم من السيخ. ثم يرددون باستمرار أن الفلاحين السيخ الماهرين في ولاية البنجاب في الشمال الغربي هم الذين حققوا «الثورة الخضراء» في الهند وأنتجوا الفائض الزراعي الضخم الذي مكّن الهند المنكوبة عبر الزمن بسوء التغذية، من تجنب انتشار المجاعة.

يبدو لأول وهلة، أن هذه الأقوال تعبر عن حماس وجزم يقيني ولكنها أقرب إلى الحقيقة ويمكن تصديقها، حتى في الهند التي تتسع فيها الهوة

بين الحقيقة والواقع، وهذه الأقوال شاهدة على منجزات السيخ الذين يشكلون الرافد الأحدث والأصغر في خضم الخبرة الدينية في الهند. في العالم في الوقت الحاضر، عدد السيخ لا يتجاوز ١٨ مليوناً، غير أن غالبيتهم تعيش في القسم الشمالي الغربي من الهند حيث قامت ديانتهم في أواخر القرن السادس عشر. هنا اصطدم أباطرة المغول بثقافة الهندوس المرنة القوية، ثم عمل الداعية «نانك» على التوفيق بين الأديان، بوضع أسس مذهب جديد ينبثق عن الاعتقاد بالإله الواحد. وقبل أن يضع مارتن لوثر مقالاته الخمس والتسعين في تحدي دور السلطة المركزية في العالم المسيحي، أعلن هذا الداعي أن السبيل الذي يدعو إلى نهجه هو سبيل الله، بعيداً عن سلطة الدين ورجالاته.

وعلى غرار نساك الهنود القدماء من بوذيين وهندوسيين وجائيين راح هذا الداعي المؤسس يتجول في أنحاء البلاد ويبشر بإله واحد يدركه جميع الناس بالتأمل والصلاة من غير أن تكون له صفات محددة مدركة. رفض عبادة الأصنام والطقوس والتقسيم الاجتماعي الهندوسي، وقال أن شخصية الفرد وخدمته للمجتمع أعظم أهمية من الفئة أو الطبقة أو التعبد الآلي. كذلك عارض قيام الكهنوتية في الدين ووضع أسس الطبيعة الانتقائية للسيخية بقوله أن جميع الأديان واحدة في الأساس.

واعتمد المؤسس نانك طريقة ناجحة في الدعوة لمذهبه، قامت على وضع الأناشيد الدينية وإنشاء مجموعات منفتحة على مختلف الفئات من الناس، تتحلى بمقاييس خلقية عالية. وكان نانك أو الدعاة العشرة الذين تمكنوا خلال قرنين من الزمن أن يواصلوا وضع أسس هذه العقيدة وتطويرها. وسرعان ما احترمهم الناس واعتبروهم نماذج للشجاعة والبطولة والسمو الأخلاقي من غير أن يعني ذلك عبادتهم أو تقديسهم ولو

أن فئة صغيرة انفصالية يزدريها السيخ عامة ويكرهونها فعلت ذلك.

وبوفاة الداعية العاشر سنة ١٧٠٨ انحصرت السلطة المطلقة في الصاحب الأكبر، أي الكتاب المقدس، ومجموعة من الأناشيد الدينية، وتعاليم ستة فقط من الدعاة العشرة.

قامت الممارسات الدينية السيخية منذ البداية على سلوك الفرد وشعوره بالمسؤولية. أي أن السيخية كانت ولا تزال عقيدة ديمقراطية ترفض التفريق الطبقي وتتيح للمرأة دوراً مساوياً لدور الرجل في المعبد. هنالك استراحة ملحقة بكل معبد، يستطيع فيها المسافر أن يحصل على السكن والطعام مجاناً. وفي رأي الكثيرين أن هذا التقليد الذي أقره الداعي الأول نانك، يعود إلى مفهوم الضيافة. غير أن الواقع هو أن الهدف منه هو مكافحة التفريق الطبقي الاجتماعي. إن جلوس المسافرين من فئات مختلفة جنباً إلى جنب حول مائدة واحدة للطعام ثم النوم في مبنى واحد للجميع يقضيان على حواجز باقية تمنع الحياة المشتركة من أكل وملبس بين الطبقات الاجتماعية المنغلقة على نفسها حتى الآن.

إن هذه الممارسات العملية أدت إلى نشوء ديانة واقعية، متصلة بحياة الناس اليومية، متميزة بخصائص معينة. فقد جاءت فكرة الإله الواحد مثيرة للتفكير المجرد عند الإنسان، كما جاءت اعتبار كتاب «الصاحب الأكبر» مقدساً، تشجيعاً على التعلم ومحو الأمية. ومن ناحية أخرى كان رفض استبعاد التعاليم الدينية في التعاليم الأخرى حثاً للسيخيه على التكيف في الأوضاع الجديدة. أما رفض القبول بالطبقة الكهنوتية فاستهدف تعزيز مفهوم المسؤولية الشخصية. وأخيراً أدت أجواء الصراعات الدينية في وقت لاحق إلى إقرار تنظيم السيخين على أسس عسكرية صارمة في عهد الداعي العاشر غوبند سينغ.

مثل هذه القيم والمقاييس هي التي يعتبرها الكثيرون حوافز أدت إلى نجاح السيخيين في ميدان الحياة العامة. غير أن هناك مؤرخين ثقافيين يرون أن السيخيين تمكنوا من أن ينموا ويقووا جسدياً، وأن يكونوا أوفر نشاطاً بفضل التخلي عن المحرمات الغذائية التي يمارسها الهندوس النباتيون لأن ذلك أتاح لهم المزيد من البروتينات. ثم أن تحررهم من الطقوس أتاح لهم مجالات واسعة للسفر إلى الخارج، إلى بلدان مختلفة كالولايات المتحدة وبريطانيا وكندا واستراليا وكينيا، والإقامة فيها والتزاوج مع سكانها والتأثر الحر بالثقافات الأجنبية.

وفي هذا الإطار لا يغفل آخرون أن يشيروا إلى ما يتحلى به السيخ من روح المغامرة والإقدام والقدرة على التكيف.

غير أن هذه النظرات والآراء التي تنطوي على الكثير من الصحة لا تكفي، في رأيي، لتفسير هذا النجاح. أن التفسير الأقوى الذي يفرض نفسه هنا يعود إلى تفكيرهم الخاص بالعلاقة الوثيقة القائمة بين الإنسان والخالق، وإلى ما يعززه هذا الاعتقاد فيهم من احترام للنفس وثقة بها.

لفت نظري إلى هذه الفكرة صديقي كوشوانت سينغ، الذي يجسد الكثير من صفات السيخ، هو قاص صحافي معروف وعضو في المجلس النيابي الهندي ومؤلف «تاريخ السيخ» في مجلدين، نشر مطبعة جامعة برنستون. وهو ميال إلى الحوار، واقعي متحرر، محب للنكتة والاستطلاع، طموح، كريم النفس، غير أن طابعه الاستقلالي الخاص كثيراً ما قطع عليه عمله السياسي والصحافي، يمارس رياضة كرة المضرب صباح كل يوم، ويصبغ لحيته تمويهاً لحقيقة سنة التي شارفت السبعين. جلست إليه ذات مساء فشرح لي وهو يصب لنفسه كأساً من

الويسكي، علاقة الإنسان بالإنسان. قال:

«نحن من هذه الناحية كاليهود. الحقيقة أننا يهود القارة الآسيوية، وأحدنا حر في مخاطبة الله بدون وسيط. لا قديسون، ولا كهنة، ولا أنبياء يشفعون لنا. هناك إله واحد. إن أقلّنا يستطيع أن يخاطبه، أي إنسان من الرعاع أو الفقراء الجياع أو السفهاء، يستطيع أن يتأمل، وأن يخاطب الله.

ثم مضى يشرح المضامين الاجتماعية لمثل هذا التصور متسائلاً: «إذا جاز للمرء أن يخاطب الله، وكان الله معنياً بنا وبرغباتنا، فلماذا نتذلل أمام أي مخلوق؟ إن ذات الإنسان في التفكير السيخي تنمو وتتطور بمقدار تقربه من الله. ومن هنا نشأت الكبرياء والثقة بالنفس كخاصتين مميزتين لأبناء السيخ، بأهمية الرموز الخمسة التي يتمسكون بها وهي: شعر مسبل غير مقصوص، ومشط، وسوار من فولاذ، وسيف أو خنجر، وبنطلون قصير. وهي كلمات تبدأ كلها بحرف الكاف في اللغة البنجابية. والجدير بالذكر هنا أن الداعي الأخير هو الذي جعل هذه الرموز أساساً في النظام العسكري لأنصاره..».

مثل هذه الثقة بالنفس تبلغ حد الغرور أو العدوان أحياناً. وكثيراً ما عمد البعض من غير السيخيين في الهند إلى رواية نكات عن أبناء السيخ للسخرية بهم وبروحهم العدوانية هذه. من هذه النكت أن السلطات اعتقلت أحد السيخيين لأنه دخل قطار ركاب على جواده وقام، بكل هدوء وبدون أن يقول أية كلمة، باقتطاع رأس أحد الركاب لأنه تجرأ على التدخين في حضوره. والمعروف أن التدابير التنظيمية العسكرية التي وضعها غوبند سينغ شملت الامتناع عن التدخين. وتشير هذه الحكاية إلى أن بطلها ينتمي إلى طبقة الفرسان عند السيخ، الذين يطلقون عليهم:

النيهانغ، وهم يرتدون الملابس الزرقاء ويحملون الرماح، والسيوف

الطويلة، ويجوبون البلاد طولاً وعرضاً وعليهم مسؤولية حماية المعابد.

منذ بعض الوقت التقيت في معبد امريتسار المذهب، أي أقدس معابد السيخ على الإطلاق، بشاب نحيل البنية من النيهانغ، قال لي أنه صرف السنوات الخمس والعشرين الأولى من حياته في شيكاغو، باسم نورمان غرينبرغ، ثم اعتنق السيخية وقضى سنتين مع مجموعة من النيهانغ. وصفهم بقوله:

«هم في الواقع مدجّنون ولا يضرّون أحداً، كالقطط البيتية. غالبيتهم مزارعون، يقتطعون لأنفسهم فترة شهرين للتدريب أثناءها على ركوب الخيل مع المجموعة. قائد مجموعتي يسوق سيارة «جيب» فيما يركب البقية منا الخيل أو يسيرون على الأقدام. يخطر لي أنهم ملائكة الشيطان يتصرفون بقسوة وخشونة أحياناً، وبلين ورق أحياناً أخرى. مهمتنا أن نحمي المعابد، ولكننا في الواقع نقتسم الطعام الذي يقدمه لنا الناس مع الفقراء».

والنيهانغ، في الواقع، ردة فعل حديثة لماض عسكري مجيد.

بعد تزايد انسلاخ الدعاة الأولين عن الهندوسية التي نشأوا في أحضانها بتحريم عبادة الأصنام وممارسة إحراق الأرملة عند وفاة زوجها، وجد الدعاة المتأخرون أنفسهم في صراع مع المغول، لاسيما في عهد الإمبراطور أورانغزيب إذ أحرق معابدهم واعتقل قادتهم بمن فيهم الداعي التاسع. وعانى عدد من المعتقلين عذاباً شديداً ورفضوا تغيير معتقداتهم الدينية وآثروا الموت. وفي متحف السيخ بجانب المعبد الذهبي رسوم ولوحات تمثل العشرات من الرجال والنساء في مواجهة الموت دون تراجع أو خوف.

وإزاء ذلك عمد الداعي العاشر غوبند سينغ إلى استحداث تنظيم عسكري رفع السيخ فيه إلى طبقة محاربة ودعاهم إلى حمل الرموز الخمسة المذكورة سابقاً تدليلاً على استعداد دائم للقتال، وحضّهم على الانتظام في وحدات قتالية والتغني بالشعر الملحمي، ونادى بفكرة اللامركزية والمسؤولية الشخصية، رافضاً تعيين خلف له، معلناً خضوعه التام «للصاحب الأكبر» الذي يعتبرونه كتاباً مقدساً وحياً، في آن، وأنه السلطة الكاملة في دينهم، ويخاطبونه على أنه الداعية الحي، وعند حلول المساء يغطونه بالكسوة. وفي أوائل القرن التاسع عشر أدى التنظيم العسكري إلى سيطرة الإقطاع السيخي على منطقة تمتد إلى ولاية كشمير ومدينة لاهور. ثم نجح المهراجا رنجيت سينغ الأعور في توطيد هذه المكاسب وأقام دولة مستنيرة عالمية الاتجاه مركزها لاهور، أسهم فيها أبناؤها جميعاً من المسلمين والهندوس والسيخ فازدهر الفن وساد السلام بوجه عام.

وفي أوائل العقد الخامس من القرن الماضي كانت هذه الدولة كبرى مناطق شبه القارة الهندية الباقية. مستقلة عن السيطرة البريطانية، والصامدة في مواجهة القوات البريطانية العاملة على استكمال احتلال شبه القارة. وفي سنة ١٨٤٣ عمدت هذه السلطات إلى شنّ سلسلة من الحملات العسكرية العنيفة طوال نحو عشرة أعوام قضت فيها على مقاومة السيخ واستقلالية هذه المناطق، ثم دمجت الوحدات العسكرية السيخية في قواتها النظامية الاستعمارية استغلالاً لطاقات السيخ العسكرية.

وفي الوقت الحاضر يعود السيخ إلى النشاط على أساس تلك المبادئ السابقة. هنالك حزب سياسي سيخي رئيسي باسم «أكالي دال»

أي جيش الله. وفي مبنى وراء المعبد الذهبي يقوم بالبهير سينغ ساندهو المدرس البالغ خمسين سنة من العمر بتحريض علني لإحياء دولة رنجيت.

سينغ، للسيخ. وفي غرفة أخرى من هذا المبنى ينشط الأعضاء الشباب في « خالصة دال » أي « جمعية الطاهرين » في تنظيم حملة معادية للحكومة يدعون فيها لمنع التدخين في أمريتسار. وهنالك مجموعة ثالثة تدعو إلى إعلان المدينة مركزاً مقدساً رسمياً، في حين أن سانت جارنا يل سينغ بهيندرانوايل، العسكري المتنسك يقوم من مقر إقامته في المعبد الذهبي بقيادة بضع مئات من السيخ الأتقياء والعسكريين في معاركهم مع السيخ المارقين الذين يقدسون قادتهم البشر، ويعبدونهم كما يقول، ويصطدم رجاله برجال الشرطة أحياناً[1].

وخلاصة القول إن الروح العسكرية والمسؤولية الشخصية غير المركزية على أساس العلاقة الوثيقة الحميمة بالخالق، لا تزالان العاملين اللذين يجددان حياة السيخ، بكثير من العنف أحياناً. وإذا كانت تعاليم الدعاة قد أكدت على المساواة والنمو الفردي فإنها أدت أيضاً إلى تشجيع تكاثر الفئات وتفرعاتها. هنالك العشرات من الفئات السياسية السيخية والعشرات من الاتجاهات الثقافية. والواقع، إن كل سيخي بارز يشكل فئة سياسية قائمة بذاتها وإلى جانب ما يتصف بها الجميع من إعتداد مشترك بمبادئهم الدينية وتقدير جماعي لها، نجد أن السيخ يتميزون بروح عسكرية فردية تقسمهم في الغالب إلى وحدات متنافسة في إطار هذه المبادئ المشتركة. وهنا يتساءل صديقي كوشوانت: هل يكون المتصلون بالله المتحدثون إليه بحاجة إلى توجيهات الآخرين؟

---

(١) كان هذا أثناء كتابة هذا التحقيق منتصف الثمانينات من القرن العشرين.

بــابــا نــانـــك...

مؤسس طائفة السيخ ومحجّ السيخ في بغداد

بقلم: صادق الجميلي

عرف المتتبعون لشؤون طائفة السيخ أنها من النحل الباطنية ذات المظهر الإسلامي على غرار نحلة القاديانية والبهائية، لبست هذه الطائفة لبوس الإسلام حتى عدها بعض باحثي الغرب فرقة إسلامية، وحتى قيل أن مؤسسها «بابا نانك» ١٤٦٩م - ١٥٣٩م كان مسلماً وحاول أن يأتي بالديانة السيخية حلاً وسطاً بين الإسلام والهندوسية.. وكما ورد في دائرة المعارف البستانية: «.. أنه كان يعتقد بوجود الله وينكر الوحي وأمر بعبادة الله عبادة مطلقة لا تتقيد بالطقوس، وجعل دينه مزيجاً من دين الإسلام والدين البوذي، أساسه التوحيد الخالص لله والإخاء بين البشر. وبعد موته خلفه ابنه «غورو انجاد» ومن ثم ابنه «أمرداس» الذي جمع تعاليم السيخ في كتاب دعاه باسم (أدي غرانته) ومعناه الكتاب الأول...».

وكانت تعاليم السيخ هذه على الأغلب مغايرة لتعاليم الإسلام والمعتقدات الأخرى في الهند لأنها جاءت مزيجاً من معتقدات صبت في قالب جديد لتضيف إلى النحل المتصارعة نحلة أخرى أشد عنفاً وتطرفاً لذلك كان الصراع مستمراً والصدام محتدماً على مر التاريخ وإلى يومنا هذا...

وفي مرحلة تجوال «بابا نانك» في بلاد العرب كان قد زار خلالها مكة وبغداد وأقام في بغداد ردحاً من الزمن واتخذ من رُبُط الصوفية وأضرحة الأولياء مقاماً له يجمع الأنصار ويجتمع بهم، واتخذ من قبر الصوفي الزاهد «بهلول دانا» بقرب ضريح الجنيد البغدادي في مقبرة «الشونيزي» قديماً مأوى له، وبعد رحيله عن بغداد كان هذا المكان مقدساً عند أتباعه السيخ إلى يومنا هذا.

وبزيارة لهذه المقبرة «مقبرة الجنيد البغدادي» في منطقة الشالجية وقبالة مطار بغداد القديم وتفحص ما في بناية المقام من الداخل نجد لوحاً من المرمر ثبتت عليه كتابة بارزة... إنها عبارة عن أربعة أشطر موزونة مقفاة وباللغة التركية وبخط الثلث العربي، يتفق الشطر الأول والثاني والرابع في قافية موحدة هي الدال، في حين أن الشطر الثالث سائب، وبترجمتها إلى العربية تعطي العبارة التالية: «ههنا حقق الأمنية الرب المجيد للشيخ الولي بابا نانك، إذ ما أن تم البنيان الجديد في سنة المصيبة التي جاء فيها لائذاً... حتى صار في هذا المكان المتواضع النزيل السعيد» (٩٢٧ هـ/ ١٥٢٠م).

كما نجد لوحاً آخر من معدن البرونز على جدار الطارمة الغربية سجلت عليه أسماء الذين تبرعوا لتجديد المقام من منتسبي الجيش البريطاني في بغداد سنة (١٩٤٢م) خلال فترة الحرب العالمية الثانية من طائفة السيخ باللغة الانكليزية والمبالغ المتبرع بها. وبجانبه لوح من المرمر يؤرخ تجديد المقام وقد كتب عليه باللغة العربية (هنا مقام بابا نانك عليه الرحمة جدد من قبل السيد شريف حسين الرضوي الباكستاني سنة ١٩٥٧ م).

وعلى أحد الجدران لوح من المرمر بطول المتر وعرض نصف المتر وقد

كتب عليه تأريخ بثلاث لغات، في الأعلى باللغة السنسكريتية (الهندية القديمة) وفي الوسط باللغة العربية وفي الجهة السفلى باللغة الانكليزية.. وهذا نص القسم العربي من الكتابة (إلى بغداد قصد بابا (نانك) مسافراً وعند أبوابها اتخذ لنفسه مسكناً (مقتبسة مما كتب بهائي كورو داس) ١٥٥١ ـ ١٦٣٩. وصادف وصول «بابك نانك» إلى هنا سنة ٩٢٧ هجرية ١٥٢٠ ميلادي، وعند قبر الشيخ بهلول دانا قابل أتباعه وتباحث معهم ثم وضع هذا النصب التذكاري بمناسبة الذكرى الخمسمائة لعيد ميلاد كورو نانك يوم ١٩٦٩/١١/٢٣ والمصادف لـ ١٤ ـ رمضان ـ ١٣٨٩ هجرية).

وفي داخل حجرة المقام كتب مقدسة لدى السيخ باللغة السنسكريتية ذات تجليد وأغلفة من النوع الجيد الثمين وبجانبها صور مؤطرة رائعة تمثل «بابا نانك» وبالألوان الزاهية وتصاوير أخرى مثل ضريحه الذي هو اليوم محج لطوائف السيخ في البنجاب... ومن الكتب المودعة في المقام كتاب السيخ المقدس «الغرانته» ويقع في مجلد واحد من قطع الربع وباللغة السنسكريتية وتبلغ صفحاته حوالي (١٢٠٠) صفحة، ويستخدم السيخ بعض فصوله في صلواتهم ومناجاتهم ويرددونه في أذكارهم ومجالسهم فيما بينهم وبين أنفسهم في الصباح والمساء وعند النوم، كما ويتعبدون في تلاوتها..

وأخيراً لي وقفة قصيرة متأملة على موضوع الدكتور صفاء خلوصي الذي نشر على صفحات جريدة الجمهورية البغدادية العدد (١٧١) بتاريخ ١ تموز ١٩٦٨ والذي حاول فيه أن يربط طائفة السيخ بأكثر من رباط تاريخي مع العالم الإسلامي والعربي من خلال زيارات «بابا نانك» لبلدانه داعياً لدينه الجديد.. وقد وقع الدكتور في وهم مبين حين أكد أنه مسلم وزار بغداد عند عودته من حج بيت الله الحرام.. وقال: (إنني قد توصلت

إلى حقيقة قد تجعل أرض العراق أرضاً مقدسة بالنسبة لطائفة السيخ، حيث زعم السيخ أن «بابا نانك» توفي في العراق وفي بغداد بالذات في الطاعون الذي اجتاح المدينة يومذاك ودفن في مقبرة الشيخ جنيد...).. وهكذا قال الدكتور عن السيخ ما لم تزعمه والصحيح ما ورد في دائرة المعارف الإسلامية ودائرة معارف البستاني: فقد زعم السيخ أنه رجع إلى الهند بعد تطوافه في بلدان الشرق ومات فيها ـ أي في الهند ـ لا في بغداد، فتنازعوا في أمر دفنه مع المسلمين، حتى قرروا في النهاية تقسيم جثته ليدفن شطر منها في مقابر المسلمين من أتباعه وشطر في مقابر السيخ، غير أنه في اليوم التالي عندما جاءوا لتنفيذ هذا القرار، وجدوا أن الجثة قد اختفت، فادعى السيخ أنها رفعت إلى السماء!! وسيظهر في آخر الزمان، فهو مهديهم المنتظر... لذا ليس له قبر ثابت عندهم معلوم وما وجد من قبور ونصب تذكارية ما هي إلا مقامات ومنها هذا الذي في بغداد عند قبر الجنيد.

ثم أوقع الدكتور خلوصي نفسه في وهم تاريخ آخر حين أكد إسلامية «بابا نانك» الوافد إلى بغداد وأنه مات ببغداد في الطاعون الذي حل بها ودفن بها في مقابر المتصوفة حيث كان شديد الإعجاب بهم... ويدلل على إسلاميته بقوله: (إن الرجل كان مسلماً بدليل أن الوالي العثماني المسلم المتعصب سمح له بالاعتكاف عند قبور الأولياء والمتصوفة وإلا لطرد شر طردة أو قتل لجرأته على التقرب من قبور المسلمين الصالحين)... ولا أدري كيف يجهل الدكتور تأريخ العراق ومن حكم بغداد في تلك الفترة الزمنية وهو أكثر الناس ارتباطاً بالتاريخ كما عهدناه!!؟ فأي والٍ عثماني هذا المسلم (المتعصب) الذي سمح له المقام في هذا المكان!؟ علماً أن هذا الرجل حين وفد بغداد كان في سنة ٩٢٧ هـ/ ١٥٢٠ م وفي عهد الشاه إسماعيل

الصفوي، أي كان قدومه في فترة النفوذ الصفوي على العراق الذي حكموه في الفترة (١٥٠٨ م - ١٥٢٣هـ) ولم يكن للدولة العثمانية سلطة في بغداد ولم تعين عليها والياً (متعصباً) بعد!!.

كما أنه في هذه الفترة بالذات لم يحل ببغداد مرض الطاعون.

وهناك التحريف الذي طرأ على تاريخ الوفاة الذي أورده الدكتور مغايراً للحقيقة ولما دون على شواهد المقام ولما ورد في المصادر التي تكلمت عن هذه الطائفة من كتب دوائر المعارف التي ذكرناها..

فدون تاريخ الوفاة سنة (١٥١١م) والصحيح هو (١٥٣٩م) وقد بلغ السبعين عاماً، كل ذلك ليجعل موته في بغداد ويستغفل فترة الثمانية والعشرين عاماً والتي قضاها في الهند بعد عودته إليها.. ودون تاريخ وصوله إلى بغداد سنة (٩١٧ هـ - ١٥١١م) والصحيح هو (٩٢٧ هـ - ١٥٢٠ م) وتشويه التاريخ بالقلم واضح على صورة الشاهد.

لمحة عن السيخ
ووضعهم الديني والاجتماعي

محمد إقبال

«السيخ مصطلحاً معناه لفظاً «العارف» أو «المريد»، وقد أطلق الاسم أول ما أطلق على أتباع نانك، منشئ المذهب السيخي في البنجاب في القرن الخامس عشر.

تاريخ السيخ:

قامت السيخية، كما قامت البوذية، احتجاجاً على استبداد البراهمة الروحي، وثورة على نظام الطبقات وما تتسم به الشعائر الهندوسية من مبالغة وتهويل؛ وكان هدف السيخية هو الدعوة إلى المساواة الاجتماعية والأخوة بين الناس وإبطال التشيع لفرقة من الفرق، والتنديد بالخرافات وقد ولد نانك صاحب هذا المذهب، سنة ١٤٦٩ من أبوين كهاتريين في تلوندى (ثم نسبت إليه فأصبحت الآن تسمى باسم نانكانه)، وهي بلدة صغيرة بالقرب من لاهور؛ ولم يتلق من العلم في المدارس إلا القليل؛ على أنه كان منصرفاً منذ فجر شبابه إلى التأمل والتفكير في أصول الأشياء، وكان مثل النبي العربي عليه السلام، قد

رزق الفطرة السليمة، عزوفاً عن مطالب الدنيا جميعاً؛ وقد أقنعه أبوه، في شيء من المشقة، بالمضي إلى سلطانيور (وهي الآن من أعمال ولاية كابورتهالا) ليلتحق بخدمة نواب دولت خان لودي حاكم هذه الولاية فعينه النواب قيماً على مخازن بيته، وقام بمهام منصبه الرسمية عدة سنوات فاز خلالها برضا ولي نعمته، وكان يلوذ بالأدغال في ساعات راحته مخلداً إلى التأمل. وتذكر الروايات أنه خرج إلى الغابات مرة متفكراً فرأى رؤيا حملته إلى الخضرة الإلهية، فتلقى الرسالة بأن يبشر الناس: «بأن الله لا إله إلا هو، وأن أسمه هو الحق والخالق، تعالى عن الخوف والبغضاء، وهو الباقي، لم يولد، يقوم بذاته، عظيم، كريم، جواد» وعندئذ ترك نانك خدمة النواب وأصبح وهو في الثلاثين من عمره واعظاً يعظ الناس جميعاً، وشرع في سلسلة من الرحلات زار خلالها أرجاء الهند جميعاً وخاصة مثابات الهندوس المقدسة وأضرحة أولياء المسلمين، وكان أينما حل يعقد المناظرات مع الكهنة والشيوخ ويثبت لهم فساد إيمانهم بالعقائد والشعائر، ويدعوهم إلى وجوب إنكار الذات والتمسك بأهداب الفضيلة والحق؛ ويقال أيضاً إنه طاف بأنحاء فارس وزار مكة وبغداد؛ واجتذب إليه الأنصار في فارس وأفغانستان، بل أقام بعض المثابات الدينية (منجيس) وخاصة في بوشهر وكابل (سورام سنغ: **Life of Guru Nanak** ص ٧٣)، على أنه لم يصل إلينا خبر نتبين منه: هل كان نانك يعرف من الفارسية أو العربية ما يسمح له بأن يعظ أهل هاتين الدولتين الإسلاميتين؟ أما قول صاحب كتاب «سير المتأخرين» من أن نانك تلقى أصول علم الكلام الفارسي والإسلامي على رجل يسمى سيد حسن فقول أنكره النقاد الهندوسيون والسيخ المحدثون، فقد ذكر واحد منهم: «أن هذه فيما يظهر محاولة من أحد الكتاب المسلمين لنسبة علو مكانة نانك

إلى تعاليم الإسلام في لاحق أيامه».

(The Transformation of: G.C.Narang)، Sikhism ص٩.

على أن ماكوليف Macauliffe يميل إلى القول بأن نانك كان «عالماً بالفارسية علماً لا بأس به» (The Sikh eligion، ج١، ص ١٥)، ولكنه لم يذكر المصدر الذي أخذ عنه نانك العلم بهذه اللغة.

واستقر نانك في السنوات العشر الأخيرة من حياته في كرتاربور، وهي قرية أنشأها أحد أصحاب الملايين تكريماً له على ضفة نهر راوى، حيث مضى يبشر بدينه الجديد بين الخلق الكثيرين الذين استهوتهم تقواه فأقبلوا عليه من كل حدب وصوب.

وتوفى نانك في سنة ١٥٣٩ وقد بلغ السبعين، تاركاً جماعة لا يستهان بها من المريدين (السيخ) ومخلّفاً ابنين أنشأ أحدهما، وهو يدعى سرى جند، فرقة أوداسي.

وأقام نانك، قبيل وفاته، تابعاً من أتباعه المخلصين اسمه أنكد (وهو كهاتري مثله) خليفة (كورو) له على السيخ. ذلك أنه أعلن عقب إقامته شعائر توليته أن أنكد كشخصه وأن روحه ستحل فيه. وكان نانك قد قال من قبل بمذهب التناسخ، على أن إعلانه ذاك كان هو السبب في نشأة الاعتقاد بين السيخ بأن روحه تحل في كل من يخلفه من سلسلة الأئمة (الكورو)، ومن ثم اتخذ كل منهم لقب نانك فيما يصدر عنه من أقوال. وتولى كورو أنكد إمامة السيخ ثلاثة عشر عاماً حتى أدركته المنية سنة ١٥٥٢م وتزعم الروايات أنه هو الذي وضع حروف الكورمهوكي التي كتبت بها كتب السيخ المقدسة، على أن بعض العلماء، ونخص بالذكر منهم كريرسن Grierson وروز Rose

يذكرون أن الكتابة الكورموكهية ترجع إلى أصول قديمة لا تمت إلى أنكد بصلة Journal of The Royal Asiatic Society ١٩١٦ م، ص ٦٧٧، A Glossary Of The Tribes and Castes of The Punjab جـ ١، ص ٦٧٧). ولعل السبب في نشأة هذه الروايات هو أن كورو أنكد اصطنع هذه الكتابة في تسجيل سيرة نانك وأقواله.

وقام أنكد نفسه بتولية عمر داس الإمام الثالث للسيخ، وقد دامت ولايته اثنتين وعشرين سنة (١٥٥٢ - ١٥٧٤م)، وتميزت بأنه اتخذ خلالها الخطوات الأولى لإقامة صرح البناء الديني والاجتماعي للسيخ. وقد تولى أمرداس الدعوة إلى المذهب بشكل منتظم، فأقام نيفاً وعشرين مثابة (منجيس) في شتى أرجاء البلاد حيث مضى أتباعه المخلصون في التبشير بإنجيل السيخية. وأراد عمر داس أن يبذر في قلوب السيخ الشعور بالمساواة والأخوة فأقام مطاعم عامة (لنكر) يأكل فيها الناس جماعة لا تفرق بينهم طائفة ولا عقيدة. ونمّى أمرداس أواصر المحبة والود بينه وبين الإمبراطور أكبر، فزاره الإمبراطور في مقره بكويندوال على نهر بياس ووهب له ضيعة كبيرة. وزاد ذلك من مكانته وهيبته زيادة كبيرة أكسبته عدداً جديداً من الأنصار وقد استلهم عمر داس في أعماله روح نانك، فأنكر سنن الهندوس الخرافية وخاصة حرق الأرامل (ساتى) وشرّع سنة البناء بهن.

وخلف عمر داس مريده وصفيه وزوج ابنته رام داس، فزاد على يديه انتشار المذهب السيخي. وقد لازم رام داس حسن التوفيق إذ وجد في شخص الإمبراطور أكبر معجباً متحمساً له لايني عن غمره بفضله، فقد وهب له قطعة كبيرة من الأرض شرع يحفر فيها حوضاً مقدساً (لإقامة فرائض الغسل عند السيخ) وسمى هذا الحوض من بعد باسم أمرِ تسار أي

حوض الرحيق القدسي. وأقام كورو رام داس حوله بلدة صغيرة نسبها إليه، وهي بلدة رامداسبور التي نمت من بعد فأصبحت هي مدينة أمرتسار الزاهرة وتم إنشاء الحوض على يد ابنه أرجان الكورو الخامس للسيخ الذي أقام في وسطه معبداً نذره لله (هار مندر) يؤدي فيه السيخ شعائر عبادتهم، ويسميه الأوربيون الآن: «معبد أمرتسار الذهبي» وقد أعلن الكورو أن «الاستحمام في حوض رام داس يمحو ذنوب المرء جميعاً، ويتم تطهره بالاغتسال فيه»،(Macauliffe، كتابه المذكور، جـ٣، ص١٣). وهكذا وجد السيخ مثابة لهم يحجون إليها، ومركزاً لحياتهم القومية.

وخلف أرجان أباه سنة ١٥٨١، وأصبح منصب الكورو وراثياً، واتخذ أرجن خطوات أخرى لتنظيم جماعة السيخ، على أن أعظم خدمة أداها للسيخية هو تأليفه كتاب «كرانته»، إنجيل السيخ وكان كورو أنكد قد كتب من قبل سيرة نانك وأقواله؛ وتوسع أرجان فيما كتبه أنكد، وأضاف إليه تراتيل الأئمة الثلاثة الذين أتوا بعد نانك وبذل في جمعها عناية كبيرة، وزاد عليها أقوالاً له كثيرة وطائفة كبيرة من مقتطفات أخذها من كتابات عدد من أولياء الهندوس والمسلمين الذين سبقوا نانك «ومن الأهداف التي رمى إليها هذا الكورو أن يبين للعالم أن عقيدة السيخ قد برئت من الخرافات، وأن كل امرئ صالح جدير بالتقدير والاحترام بصرف النظر عن طبقته أو عقيدته» (Macauliffe، المصدر المذكور، جـ ٣، ص ٦١) وقد سمى الكتاب الذي صنفه الكورو أرجان وأئمه سنة ١٦٠٤ بعد أن أنفق في جمعه عدة سنين «آدى كرانته» أي «السفر القديم» تمييزاً له عن السفر المسمى «دسم كرانته» أي «كرانته الكورو العاشر».

وكان أرجان إماماً طموحاً مجداً اجتمعت له المقدرة العملية والقوة الروحية الهادية، وقد ندب وكلاء عنه (مسند) بعث بهم إلى نواحي البلاد المختلفة ليجمعوا له النذور المستحقة للإمام، وكان الأتباع حتى ذلك الحين يؤدونها طواعية، فاجتمت له ثروة حققت له العظمة والأبهة، مما حدا به إلى اتخاذ لقب «ساجا بادشاه» أي الملك الحق، ويدل هذا بوضوح على طموحه أو سلطانه السياسي، وشجع أرجان أتباعه على النهوض بالمشروعات التجارية، ولم يكتف بإرسالهم إلى أنحاء الهند المختلفة فحسب، بل أرسلهم أيضاً إلى أفغانستان وآسيا الوسطى للمتاجرة ونشر الدعوة للمذهب السيخي. وفي سنة ١٦٠٦م مد بالمال الأمير خسرو الذي انتفض على أبيه الإمبراطور جهانكير، فلما حلت الهزيمة بالأمير أمر الإمبراطور بسجن الإمام في لاهور ولم يلبث أن توفى.

وأحرزت السيخية نجاحاً عظيماً في إمامة ابن أرجان وخليفته هرغوبند وقد كان الأئمة الأربعة الأولون للسيخ هداة مسالمين يدعون إلى الزهد في نعيم الدنيا وإنكار الذات، على أن أرجان شرع سنة الإقبال على متاع الدنيا، وجاهر هرغوبند باتخاذ مبدأ المقاومة الفعالة، وكان هذا إيذاناً باصطناع السيخ سياسة امتشاق الحسام. وكان هركوبند بفطرته جندياً مقاتلاً أقبل في حماسة على الصيد وألعاب الفروسية، ومضى يجمع بانتظام العشور والنذور فأثرى ثراء فاحشاً جعله يبادر باتخاذ سمت الملوك وسلطانهم وكان يطوي بين جوانحه الكراهية لجهانكير (الامبراطور المسلم)، إذ رأى فيه الرجل الذي قتل أباه ولا شك أن رغبته في الانتقام كانت من أسباب التجائه إلى السيف فقد جند طائفة من الخارجين على القانون والساخطين وقطاع الطريق، «وشيد حصن هرغوبندبور على نهر بياس وراح يعبث في السهول سلباً ونهباً؛

وكان له اصطبل به ثمانمائة جواد، وحاشية من ثلثمائة فارس من أتباعه يلتفون به دائماً، وحرس من ثلاثمائة رجل من حملة البنادق يسهرون على حياته» (History of The SIkhs :Cunningham، ص٥٦). وبلغت الإمبراطور الأنباء المزعجة عن تدابير الإمام العسكرية فاستدعاه إلى بلاطه وأمر باعتقاله في حصن كواليار، ثم أطلق سراحه بعد حين، ولكن اعتقاله زاده موجدة. وما إن توفي جهانكير وخلفه على العرش الإمبراطور شاه جهان، حتى اتخذ هرغوبند موقف التحدي وامتشق الحسام في وجه الحكومة، وأنزل الهزيمة بالجيوش التي أنفذها إليه حاكم لاهور ثلاث مرات في ستة أعوام. ولكنه خشى انتقام شاه جهان فاعتصم بالجبال وعاش فيها آمناً حتى أدركته المنية سنة ١٦٤٥م.

وطرأ تغير عظيم على عقيدة السيخ في عهد هرغوبند فابتعدوا عن النسك وأصبح إمامهم يجمع في برديه صفة الهادي وصفة القائد العسكري في آن واحد، وشعر القوم ببأسهم ورأوا مجال السلطان السياسي ميسراً أمامهم.

وخلف هرغوبند حفيده هارراي وكان على خلاف جده مفطوراً على حب العزلة، وثيق الصداقة بدارا شكوه أكبر أبناء الامبراطور شاه جهان. وبينما كان دار شكوه يهيم في منفاه سنة ١٦١٨ م تطارده جيوش أخيه الأصغر أورنكزيب إذ أخذ هار راي يساعده على عبور نهر بياس حتى يبلغ مكاناً يشعر فيه بمزيد من الأمن على حياته، فأثار بذلك حفيظة أورنكزيب فاستدعاه إلى دلهي ليبرر مسلكه العدائي. على أنه أناب عنه ابنه رام راي فاستبقى في البلاط الإمبراطوري رهينة حتى يجنح أبوه إلى السلم. توفي هارراي سنة ١٦٦١، فخلفه ابنه الأصغر هاركِشَن، وكان في الربيع السادس من عمره، ونازعه على الإمامة رام راي

واحتكم في ذلك إلى أور نكزيب فاستدعى الإمام الطفل إلى دلهي لتصفية النزاع بينه وبين أخيه فأصابه الجدري وتوفي هناك سنة ١٦٦٤م.

واحتدم النزاع حول الإمامة بعد وفاة هاركشن، وبويع بالإمامة تكه بهادر بن هرغوبند بعد معارضة شديدة انتهت باختياره من بين عشرين مرشحاً. وظل خصومه ينادون بأحقيتهم في الإمامة، بل أقيم بعضهم منافسين للكورو، فلاذ نكه بهادر بالسوالكية وهو يحس في نفس المرارة، وشيد هنالك أنندبور، وهي مدينة كان لها بعض الشأن في حوليات السيخ من بعد، ثم شرع في رحلة واسعة النطاق طاف بها أرجاء الهند ومضى يزور الدكن وشرقي البنغال حيث كانت تقوم بالفعل مثابات للعقيدة السيخية.

وفي أثناء هذه الرحلة أقام ردحاً من الزمن في بيته مقر مثابة من مثابات السيخ (تخت) حيث ولد ابنه كرفند راي الذي ولى الإمامة من بعد سنة ١٦٦٦م، وهو المنشئ الحقيقي لسلطان السيخ السياسي، وانتشر نفوذ نكه بهادر بوصفه إمام السيخ حتى بلغ سيلان في الجنوب وآسام في الشرق. وعاد تكه بهادر بعد حين إلى البنجاب حيث «وطد سلطانه وسلطان أتباعه بالسلب والنهب» وقد «آوى عن طيب خاطر جميع المتشردين الآبقين وتم خلال سلطانه ازدهار البلاد ورخاءها» (Cunningham المصدر المذكور، ص٦٤) وسيّرت إليه جنود الإمبراطورية واعتقلته وحمل إلى دلهي حيث قتل بأمر من أور نكزيب. وقد ورد في الأخبار الكورمكهية قصة تقول إنه لما مثل في حضرة الإمبراطور تنبأ الكورو بمجيء الإنكليز وتدمير سلطان المغول على يدهم. وهذا القول الذي فاه به في هذه المناسبة «أصبح هو صيحة الحرب التي تنادي بها السيخ في الهجوم الذي شنوه على دلهي سنة ١٨٥٧ بقيادة اللواء جون

نيكلسون، وبذلك تحققت هذه النبوءة على أروع وجه، (Macauliffe، جـ٤، ص ٣٨١).

ولعل شخصية غوبندا بن تكه بهادر بن كوبند راى الذي حيَّاه السيخ بتحية الإمام بعد مقتل أبيه سنة ١٦٧٥، هي أبرز شخصية في تاريخ السيخ، وقد تولى تكه الإمامة وهو بعد صبي، ولكنه ختم حياته بتغيير شامل أحال به السيخ من جماعة قوامها الأتباع المخلصون إلى أمة من المحاربين قدر لهم أن يحكموا إقليم البنجاب نحواً من قرن. ويظهر أن مقتل أبيه على هذا النحو العنيف قد ترك في نفسه الشابة أثراً لا يمحى، فطوى جوانحه على الكراهية المرة لأور نكزيب، ولكن قوة هذا الإمبراطور كانت أعظم من أن تسمح لتكه بالتفكير في الانتقام. ومن ثم لم يجد مناصاً من الاعتصام بالجبال يأمن فيها على حياته ويعد نفسه للاضطلاع بمهمة الإمامة، ولبث فيها عشرين سنة منصرفاً إلى الصيد ودراسة لغة المسلمين والهندوس المقدسة ودينهم، وراح يذكي نار رغبته في الانتقام ويرسم الخطط للمستقبل مستهدفاً القضاء على سلطان المغول، ومضى يوحد أمة السيخ متوسلاً إلى ذلك بتنمية مشاعر المساواة الديمقراطية بينهم، وأدخل في حظيرته الرفيع والحقير، وشن حرباً شعواء على نظام الطبقات. وأراد تكه أن يحقق للسيخ الوحدة شكلاً وموضوعاً فسن شعيرة الدخول في الملة أو التعميد، وهي المعرفة باسم «باهول» على أن تجري بحسب المراسم التالية:

«يجلس المريد بعد الغسل ولبس الثياب النظيفة وسط جماعة تعقد بصفة عامة لهذا الغرض، ثم يؤتى بشيء من السكر يذاب في الماء في حوض من الحديد، ويتعاقب على تحريكه بخنجر ذي حدين خمسة من السيخ مرتلين آيات من الكرانته. ثم ينضح بهذا المحلول شعر المريد

وجسده، ويعطى شيئاً منه يشربه، وتشرح له قواعد (رهت) السلوك السيخي. ويسمى المحلول أمرت (الرحيق القدسي) ويعتقد السيخ أنه يهب للمريد الخلود ويجعل منه «سنغ» أي أسداً وكشترياً حقاً».

(Tribes and Castes of the Punjab: Rose جـ١، ص٦٩٦) ويجب على كل سيخي بعد تلقي «الباهول» أن يترك شعره مرسلاً، وأن يلبس اللباس الموحد الذي يرمز إليه بالكافات الخمس، بمعنى أنه يتزود بخمسة أشياء تبدأ بحرف الكاف وهي(١) الـ«كجه» أي السروال القصير، (٢) والـ «كربان» أي الخنجر؛ (٣) والـ «كرا»، وهو سوار من الحديد (٤) والـ «كش) أي الشعر المرسل، (٥) والـ «كنغا» أي المشط ويضاف المقطع الأخير «سنغ» إلى اسم كل سيخي يدخل في الطريقة، على أن يلحق هذا المقطع نفسه باسم الإمام في المستقبل بحيث يسمى كوبند سنغ وأطلق الإمام على مريديه المعمدين اسم الـ «خالصة» (ومعناه المطهرون أو الصفوة، أو المحررون، أو الـ«خالصة» (وهو مشتق من الأصل العربي خَصَ أو خَلُص) وقد أصاب كربند صميم السياسة التي رسمها بالخطاب الذي وجهه إلى السيخ قائلاً:

«لقد أصبحت عشيرة الحر نباهول سنّة منذ أيام بابا نانك. وجرى الناس على شرب الماء الذي غسل فيه الأئمة أقدامهم، وهي عادة أدت إلى كثير من الإذلال. أما الخالصة فلا يمكن أن تكون من بعد إلا أمة تقوم على الشجاعة والبراعة في القتال ولهذا فإني أشترع الآن سنة التعميد بالماء يحركه الخنجر وأغير أتباعي فأجعلهم يتقلبون من سيخ إلى سنغوات (أسود) فمن تقبل الرحيق القدسي للباهول انقلب أمام أعينكم من ثعلب إلى أسد ونال السلطان الأكبر في هذه الدنيا وأدرك النعيم في الآخرة» (Macauliffe جـ٥، ص ٩٣) «إن إبطال الطبقات. ومساواة الناس بعضهم

بعض في الحقوق، وتساويهم حيال الإمام، واشتراك الطبقات جميعاً في التعميد، ثم اشتراكهم في المظهر، علاوة على وحدة القيادة ووحدة الأماني، كل أولئك كان الوسائل التي توسل بها كوبند لإشاعة الوحدة بين أتباعه وضم صفوفهم في كتلة متجانسة قبل أن يرمي بهم في وجه الكتائب المغلية (نارنكت، المصدر المذكور، ص٨٢).

وقد رمى كوبند سنغ بإقامته الطويلة في الجبال إلى المضي آمناً في بث الدعوة لعقيدته لا يزعجه أحد، بل إلى كسب معونة زعماء الجبال الكثيرين ليواجه ما سماه بطغيان الحكم الإسلامي ولكنه باء بالخذلان المبين في ذلك لأن الراجاوات الجبليين الذين ظلت أسرهم منذ عهد عريق في القدم تتولى الحكم مستقلة بلا شريك قد استنكروا بصفة عامة أن يلقن رعاياهم مبادئ الديمقراطية، وأجمعوا على مقاومة الدعوة الدينية التي كان كوبند يبشر بها. فلما رأى أنه عجز عن كسب معونتهم بالود والحسنى حاول أن يحقق أغراضه بالقوة، فأخذ يشن من معقله في أنندبور حملات سلب ونهب على أراضيهم، حاملاً معه كل ما يقع في يده. فاتحد زعماء الراجيوت أصحاب بلاسبور، وكتوج، وهندور، وجسروتا، ونالكره، واجتمع رأيهم على مهاجمة الكورو بجيش عدته عشرة آلاف مقاتل وواجه الكورو هذا الجيش على رأس ألفي مقاتل من أتباعه ومنهم ٥٠٠ مقاتل من البطهان الذين أبقاهم في خدمته، وانتصر عليه في بهناكني بفضل المعونة التي بذلها له خاصة سيد بدهو شاه زعيم سادهرا وازداد كوبند قوة على قوة، وأصبح له عدة معاقل في الجبال، وكثرت غاراته على الأراضي المجاورة له وعنفت. فاستنجد الراجاوات جميعاً بأور نكزيت، فأرسل إلى وإلى سرهند يأمره بأن يتحالف معهم في الهجوم على الكورو، وهزموه في الواقعة التي أعقبت ذلك فاعتصم بحصن أنندبور (١٧٠١م).

وحاصرته فيه الجيوش الإمبراطورية وطال الحصار، فشحت المؤن عنده وانصرف عنه أتباعه. وتسللت أسرته وفيها أمه وزوجاته وابناه الصغيران هاربين إلى سرهند حيث وشى الوشاة بهم فأمر بأبنيه فقتلا.

وفركوبند نفسه متخفياً والتجأ في نفر من أتباعه المخلصين إلى حصن جمكاور (في ناحية أمبلاً الحالية) يطارده أعداؤه أحر طراد، فلم يجد بداً من الفرار مرة أخرى، وترك جمكاور لينجو بحياته، وهام على وجهه متنقلاً من مكان إلى مكان، حتى بلغ قفار بهتنده في منتصف الطريق بين فيروز بور ودلهي. وعاد مريدوه فالتفوا حوله ونجح في رد مطارديه عند مكان يقال له «مُكتَسر» أي حوض الخلاص الذي أقيم إحياءً لذكرى السيخ الذين سقطوا في القتال. واستقر ردحاً من الزمن في مكان يعرف باسم دمدمه (في منتصف الطريق بين هنسي وفيروز بور) حيث انصرف إلى الوعظ وتأليف «دستور كرانته» الذي يعده السيخ تكملة لـ «آدى كرانته» الذي صنفه الكورو أرجان وفي هذه الأثناء توفى أورنكزيب وخلفه ابنه بهادر شاه الذي خالف أباه في سياسته فسعى إلى استرضاء الكورو، وولاه القيادة العسكرية على الدكن فمضى إليها للقيام بمهمته هذه، وما إن بلغها حتى طعنه خادم من خدامه الأفغان لأمر خاص أثار نقمته عليه، وتوفي الإمام في ناندر على ضفاف نهر كداوري (أكتوبر ١٧٠٨م). وقد أبى وهو على فراش الموت أن يولي أحداً يخلفه، واكتفى بأن أوصى مريديه بأن يتخذوا من الكرانته هادياً لهم وألا يطلبوا الحماية إلا من الله وحده، فأنهى بذلك سلسلة الأئمة.

وقضى كوبند قبل أن يبلغ الهدف الذي كان يسعى إليه «ولكن روحه ظلت تذكى في قلوب السيخ الشجاعة».

وخلف كوبند في القيادة العسكرية على السيخ، وليس في إمامتهم،

بندا، وهو رجل من راجبوت كشمير ينتمي إلى طائفة بيراكي كان قد لقي كوبند في الدكن فدخل في السيخية واتخذ لقب «بندا» أي العبد (عبد الكورو). وكلفه كوبند بالعودة إلى البنجاب واستحثاث السيخ على الانتقام لمقتل ابنيه والاتحاد للقضاء على طغيان المسلمين. وما كان من السيخ إلا «أن التفوا حوله مستعدين للقتال والموت تحت رايته». وكان بندا في أعماقه رجلاً واسع الأطماع فتذرع بتنفيذ أوامر الكورو ساعياً إلى الحصول على السلطان السياسي، وبدأ أعماله في البنجاب بقطع الطرق وتوزيع الغنائم بسخاء بين أتباعه فانجذب إليه كثير من المجرمين «كناسين ودباغين ومن هم على شاكلتهم من الناس الذين يكثرون بين السيخ كثرة عظيمة». وكان سلطان المغول آخذاً في الاضمحلال السريع بعد وفاة أورنكزيب؛ فقد اتصلت أسباب النزاع على العرش بين أبنائه وأحفاده فخلا الجو للسيخ لتعزيز سطوتهم، وراح بندا يمعن في جرائمه وشروره بلا رادع. ومضى بجيشه المؤلف من قطاع الطرق ينتقل من بلد إلى بلد في أرباض دلهي نفسها يسلب المسلمين ويذبحهم بالألوف.

وزادت أعمال السلب والنهوض بالواجب المقدس، ألا وهو الانتقام لمقتل ابني الكورو، وكثر عدد أتباعه كثرة على كثرة، فاقتحموا في مايو سنة ١٧١٠ مدينة سرهند، تلك المدينة المشؤومة التي لقي فيها ابناه مصرعهما، واستباحوها، وساموا أهلها المسلمين أشد العذاب والنكال، وانطلقوا يذبحونهم بلا تمييز لا يرحمون طفلاً أو امرأة ولجوا في فعالهم المدمرة حتى بلغوا أسوار دلهي نفسها. وكان الإمبراطور بهادر شاه في الدكن إذ ذاك، فروّعه ما بلغه من أنباء هذه الفظائع وبادر بالعودة إلى البنجاب لإصلاح الحال. وأنزلت الجيوش الإمبراطورية الهزيمة ببندا، ففر إلى الجبال المجاورة واعتصم بها، وتوفي بهادر شاه سنة ١٧١٢ فاقتتل

أبناؤه على العرش حتى فاز به جهاندار شاه على أنه لقي مصرعه بعد مدة قصير من ولاية العرش دامت أحد عشر شهراً، فقد قتله ابن أخيه فرّخ سير واعتلى عرش دلهي المستباح «وكانت هذه الاضطرابات في مصلحة السيخ» فمضوا مرة أخرى يعملون يد السلب والتخريب في البلاد بقيادة بندا فكلف فرّخ سير عبد الصمد خان حاكم البنجاب بوضع حد لمظالم السيخ وفظائعهم، فراح يطارد بندا بجيش لجب حتى حاصره في حصن كرداسبور على الرواي. وانتهى الأمر بوقوعه في يد عبد الصمد وأسره ثم حمل إلى دلهي حيث عذب حتى الموت (١٧١٦م).

ولم يكن بندا رضى الخلق بحال، ولا أدل على ذلك من أن السيخ أنفسهم كانوا لا يوقرونه، فقد كانت فعاله تتسم بالأنانية لا يرعى في تصرفه ألا ولا ذمة ولم يكتف الرجل باتخاذ سمت الملوك وسلطانهم بل سعى إلى إقامة فرقة دينية يتزعمها، وخالف أوامر الإمام كوبند سنغ التي أوصى بها وهو على فراش الموت. وعمل على أن ينادى به الإمام الحادي عشر على السيخ، بل عدّل بعض عقائد السيخ وشعائرهم. مما حدا بالغيورين من أتباع كوبند إلى الانتفاض عليه ومع ذلك فما من شك في أن الحياة العاصفة التي عاشها السيخ تحت لوائه قد جعلتهم يتمرسون بالحرب وضروب القتال.

وأعقبت هزيمة بندا ووفاته فترة ارتكاس لقي فيها السيخ اضطهاداً شديداً في عهد فرّخ سير. فقد وصموه علناً بالخروج على القانون، وارتد كثير منهم من عقيدته، ولم يجد الغيورون منهم على ملّتهم بداً من الاعتصام بالجبال والغابات. وقد نفذ الولاة المتعاقبون على البنجاب، وبخاصة معين الملك الذي اشتهر بميرمنو، سياسة القمع التي أشار بها فرّخ سير، حتى بدا أن أمة السيخ مهددة بالفناء. على أن سلطان المغول كان

آخذاً في الانهيار السريع، وقد تجلى ذلك بصفة خاصة في البنجاب نتيجة لغزوات أحمد شاه أبدالي الكثيرة. وأفاد السيخ من هذا التقلقل الذي أصاب ولاية البنجاب فبدأوا بظهرون ويعيدون تنظيم صفوفهم، وأقاموا عدة حصون وجمعوا ثروة بنهب المدن العزلاء نهب السماح. وكان مركز نشاطهم القومي مدينة أمرتسار التي أغنوها غنى عظيماً وحصنوها تحصيناً منيعاً وكان الأمير تيمور الذي يحكم البنجاب نيابة عن أبيه أحمد شاه دراني عدواً للسيخ. وقد هاجم أمرتسار سنة ١٧٥٢م ودبر هارمندر وملأ الحوض المقدس بالأنقاض. وتحرك السيخ في جموع كثيفة للانتقام مما حل بهم من نكال ونجحوا في طرد الأمير من لاهور واحتلوها إلى حين. وضرب قائدهم الحربي جسا سنغ كلال (أي الخمّار) سكة باسمه عليها كتابة فارسية. غير أن ظهور المراطها بقيادة كهوبا (سنة ١٧٥٨) جعل السيخ يرتدون عن لاهور، وتسبب في قدوم أحمد شاه الغليظ القلب إلى البنجاب للمرة الخامسة وقد أنزل أحمد هزيمة ماحقة بالمراطها في معركة بانيبت (بانيبات) المشهورة سنة ١٧٦١.

وما إن غادر البنجاب حتى نشط السيخ واستعادوا سلطانهم المفقود مما حمله على العودة وليس له من همٍّ إلاّ فل سلطانهم واستعادة أراضيه. ودارت بين الفريقين معركة شرسة سنة ١٧٦٢ بالقرب من لدهيانه أنزل بها أحمد هزيمة حاطمة بالسيخ وأمعن فيهم القتل والتذبيح، إلا أنه سرعان ما اضطر إلى ترك البنجاب ليقمع فتنة شبّت في قندهار.

ولم يلبث السيخ أن لمّوا شعثهم وهزموا سنة ١٧٦٣ زين خان الحاكم الأفغاني لسرهند ونهبوا هذه البلدة وخربوها، ثم استولوا على لاهور مرة أخرى، وطال بقاؤهم فيها هذه المرة. واجتمعوا في أمريسار وأعلنوا السيادة

التامة لنظام الخالصة في البنجاب (١٧٦٣م) وجعلوا السلطان الأعلى في يد مجلس وطني عرف باسم «كوروما»، وقد نقش على سكة هذه الحكومة الشعبية الكلمات الفارسية الآتية:

ديك وتيغ وفتح نصرت بي درنكث

يافت أزنانك كورو كوبند سنغ

ومعناها: «تلقى كوبند سنغ من نانك السيف والكأس والنصر المؤزر» (خزان سنغ: **History of The Sikh Religion** ص ٢٦٤).

أما وقد ذهب الخطر الذي كان يتهدد السيخ، فقد تفرقوا شيعاً وانقسموا عدة دول وأحلاف تعرف بالمسلات (المفرد مِسَل).

وكانت هذه المسلات اثنتي عشرة مسلاً يحكم كلاً منها زعيمها مستقلاً عن الزعماء الآخرين، وكان هؤلاء الزعماء لا يخضعون لسلطان أعلى ولا يجمع بينهم إلا العقيدة التي يدينون بها «وكانوا لا يكادون ينفكون عن الاقتتال فيما بينهم، يتحالفون ويتفرقون مناضلين في سبيل السيادة»، كما كانوا «مفككين يتفاوت سلطانهم من حين إلى حين بل تختلف أهدافهم في الفينة بعد الفينة». واستمر هذا الحكم المتقلب يسود البنجاب ثلاثين سنة، ثم ظهر على مسرح الحوادث رجل قوي وحدّ هذه الأحلاف المتفرقة وجمعها في سلطان واحد متماسك، وكان هذا الرجل هو رنجيت سنغ.

وكان رنجيت سنغ أو مها سنغ زعيم حلف سكر جاكيا، وقد اتخذ مقره في كجزانولا على مسيرة أربعين ميلاً شمالي لاهور. وخلف رنجيت أباه في إمارته وهو في سن الثانية عشرة (١٧٩٢م)، وقبض على مقاليد السلطة شيئاً فشيئاً بفضل صفاته الشخصية وما فطر عليه من عبقرية.

وفي سنة ١٧٩٩ نال حكم لاهور، إذ تسلم براءة تقلده أمورها من زمان شاه حفيد أحمد شاه أبدالي الذي كان لا يزال من حيث العرف صاحب البنجاب،ثم غلب رنجيت سنغ على أمرتسار سنة ١٨٠٢. وزادت مكانته وعلت هيبته باستيلائه على لاهور وأمرتسار أهم مدينتين في البنجاب. واتخذ لنفسه لقب المهاراجا ومضى يمد في حدود أملاكه حتى ضم جميع أحلاف السيخ إلى ملكه، وكانت تربطه بالإنكليز الذي كانوا قد بسطوا آنئذ رقعة أملاكهم حتى بلغت نهر ستلج، علاقات ودية. وقد عقدت بين الفريقين معاهدة تحالف سنة ١٨٠٩ نفذها رنجيت بكل أمانة وإخلاص. وجند رنجيت جيشاً قوياً تولى تدريبه قواد أوربيون معظمهم من الفرنسيين الذين حاربوا تحت إمرة نابليون، فلما هزم نابليون في معركة ووترلو رحلوا إلى البنجاب ليلتحقوا بخدمة المهاراجا.

واستطاع بفضل هذا الجيش أن يخضع البنجاب كلها، ويضم كشمير (١٨١٩) وبيشارو (١٨٤٣) إلى أملاكه. وتوفي رنجيت سنة ١٨٣٩، تاركاً وراءه مملكة موحدة تمتد من ستلج إلى هندوكُش، ولكن خلفاءه جميعاً كانوا أعجز من أن ينهضوا بأعباء هذه المملكة. وتعاقب على العرش ثلاثة من أبنائه في أمد وجيز، وتفشت المؤامرات مما أدى إلى كثير من الاغتيالات وقيام الفتن وإراقة الدماء..

وفك زمام الجيش وأخذ ينشر الرعب في أرجاء البلاد، ثم وجد البلاط أخيراً منفذاً له في غمرة هذه الأزمة إذ أغرى قراد الجيش بعبور نهر ستلج وغزو أملاك الإنكليز. وأدى ذلك إلى قيام حرب السيخ الأولى (ديسمبر ١٨٤٥) التي أنزل فيها القائد الانكليزي السير (اللورد فيما بعد) هوكوف **Sir Hugh Gough** الهزيمة بالسيخ في أربع معارك متعاقبة دارت في فيروز شاه، ومدكي (في إقليم فيروز بور الحالي) وعليلوال،

وسبراون بالقرب من لدهيانه (يناير ـ فبراير ١٨٤٦)، «وقد فتح هذا النصر الطريق إلى لاهور، وسرعان ما احتلها الحاكم العام» (السير هنري هاردنكت Sir Henry Hardinge).

وقبل دربار (زعيم) السيخ أن يتولى المقيم البريطاني (السير هنري لورنس Sir Henry Lawrence) رئاسة مجلس الوصاية على المهاراجا القاصر دليب سنغ بن رنجيت سنغ.

وقد أعزى انتفاض ديران موبراج حاكم ملتان على حكومة لاهور (١٨٤٨) السيخ بامتشاق الحسام في وجه الإنكليز مرة أخرى، ولم تلبث الحرب أن أُعلنت بين الفريقين، وأنزل اللورد كوف هزيمتين منكرتين بالجيش السيخي، الأولى في جليا نواله والثانية في كجرات (في أوائل سنة ١٨٤٩). ثم أعلن ضم البنجاب إلى ممتلكات التاج البريطاني وانتهى بذلك حكم السيخ.

مذهب السيخ

ترمي السيخية إلى تطهير عقائد الهندوس، ومن ثم اتسمت تعاليم صاحب المذهب السيخي بالسلبية. فقد أنكر أشد الإنكار قيود الطبقات والمعتقدات الخرافية، ودعا إلى المساواة بين الناس جميعاً، وقال إن الصلاة والحج بالجسم دور القلب لا تسمو بروح الإنسان، ذلك أن روح العبادة لا صورتها هي الجوهر ولا خلاص يدركه المرء. إلا أذا أحب الله حباً خالصاً وعمل في هذه الدنيا عملاً صالحاً. والسيخية كالإسلام، تستنكر الأصنام وتستمسك بالتوحيد، وربها هو رب الخلق جميعاً ورب الديانات وأسرارها: «اسمه هو الحق، وهو الخالق، الباقي، الذي لم يلد ولم يولد، القائم بذاته، العظيم، البَرُّ» (هو الجانجي عند الكورو نانك).

وتبجيل الكورو من أركان السيخة، ذلك أنه مع كون «الله مع الإنسان فإنه لا يتجلى إلا بتوسل الكورو» (Macauliffe، جـ ٢، ص ٣٤٧). وتؤمن السيخية أيضاً بمذهب الكارما والتناسخ.

ولا يقوم دين نانك على صورة العبادة، وإنما كان نانك يستهدف الإصلاح الاجتماعي والخلقي، وقد ظلت السيخية شريعة سلام وتسامح حتى تحولت بفعل طغيان الهندوس الاجتماعي واحتكاك السيخ بالمسلمين إلى شريعة تقوم على الحرب والقتال. وقد جعلها كوبند أقرب إلى الاستمساك بصورة العبادة، وسن قواعد لهداية المرء في شؤونه الخاصة ومعاملاته مع الناس. وقد حرم التدخين والخمر، وإن كان السيخ يقبلون الآن على شربها.

وكتاب السيخ المقدس هو الكرانته، وهم يبجلونه تبجيلاً عظيماً. وقد صنف الجزء الأول منه، ويعرف باسم «أدى كرانته» الكورو الخامس أرجان كما أسلفنا البيان، وهو يشمل تراتيل الأئمة الخمسة الأولين ومختارات من أقوال القديسين والمصلحين السابقين لنانك. وبخاصة كبير، ونامديف، وجاي ديف، ورامانند، والشيخ فريد. وقد كتبت الكرانته جميعها بالشعر المختلف الأوزان، ومعظمها بالهندية المهجورة مكتوبة بالحروف الكورمكهية، وفيها أجزاء غير ذلك كتبت بلهجات ولغات هندية مختلفة أخرى منها السنسكريتية، كما تضمنت أيضاً أبياتاً قلائل وحكايات بالفارسية (مكتوبة بالحروف الكورمكهية). وقد صنف الجزء الثاني من الكرانته ويعرف باسم «رسم كرانته» (أي كرانته الكورو العاشر) كوبند سنغ، وهو يشمل في معظم أقواله، جلها تراتيل في تمجيد الله، شأنها في ذلك شأن آدي كرانته، ولكنها تشمل أيضاً سيرة له كتبها بقلبه، وتعرف باسم

«قشتريا نانك» أي القصة العجيبة، وأبياتاً شتى نظمها الشعراء الهنود الذين كانوا في خدمته.

والكرانته برمتها تقع عادة في مجلد واحد من قطع الربع تبلغ صفحاته حوالي ١٢٠٠ صفحة. ويستخدم السيخ بعض فصولها في صلواتهم، ويرددونها فيما بينهم وبين أنفسهم في الصباح والمساء وعند النوم وهذه الفصول هي:

(١) جب جي لكورو نانك (انظر **Macauliffe** جـ١، ص ١٩٥ ـ ٢١٧).

(٢) آساكي فار لنانك أيضاً (انظر المصدر نفسه جـ٥، ص ٢٦١).

(٣) الجابجي للكورو كوبند (المصدر المذكور، جـ١، ص ٢٥٠ ـ ٢٥٧).

(٤) الرهيرا (المصدر نفسه، جـ ١، ص ٢٥٠ ـ ٢٥٧) (٥) سهيلا (المصدر نفسه، ص ٢٥٨ ـ ٢٦٠) ثم (٦) السكهماني للكورو أرجان (المصدر نفسه، جـ٣، ص ١٩٧ وما بعدها) وتتلى هذه الفصول أيضاً عند إقامة شعيرة الباهول أو التعميد.

وقد تقبل الهندوس والمسلمون أقوال نانك لأنها لا تتعصب لأمة أو ملة، فضلاً عن أنه لا ينادي فيها باتخاذ صورة معينة من صور العبادة، ومن ثم فليس بعجيب أنه اجتذب أتباعاً من هذين الدينين جميعاً. على أننا لا نشك في أنه كان يريد أن يصلح النظام الاجتماعي للهندوسية، دين أجداده، ولذلك نجد أنه خاطب بتعاليمه الهندوس أكثر مما خاطب بها المسلمين. وكان معظم مريديه من طبقات الجاط والأروره والكهاتريه. وكان أئمة السيخ جميعاً ينتمون إلى الطبقة الأخيرة بما فيهم نانك نفسه. وقل إقبال البراهمة والراجبوب على تعاليم المذهب السيخي الديمقراطي، لأن مستواهم كان أرفع من السيخ بكثير.

وفرق السيخ وشيعهم كثيرة، وأهمها اثنتان (١) الكشدهارية، ويعرفون أيضاً باسم آخر هو السنغوات، (٢) والسلجدهارية وتمثل الفرقة الأولى السيخ المعمدين، أي المستمسكين بسنة الكورو كوبند سنغ القويمة، أما الفرقة الأخرى فهم أولئك الذين رفضوا في الأصل ما قال به من تعميد وانحازوا إلى الخالصة المؤمنين بالقتال. ومن الفرق الأخرى المهمة: (١) النانكباتهيه «ويعرفون عامة بأنهم السيخ من غير السنغوات أتباع الأئمة الأولين الذين لا يؤمنون بوجوب أتباع الشعائر والسنن الاجتماعية التي شرعها الكورو كوبند سنغ، وهم لذلك يتصفون في عامة خلقهم بالسلبية؛ «فهم لا يحرمون التدخين، ولا يستمسكون بسنة إرسال الشعور. ولا يعمدون بالباهول وما إلى ذلك» أي أنهم لا يتبعون شيعة السلجدهارية (٢) الأداسية (المنكرون)، وهم كالنانكنتهيه أيضاً، يدخلون في شيعة السلجدهاريه وهم يمثلون طائفة الزهاد التي أسسها سرى جند بن نانك، ويضربون عن الزواج ويتسم مذهبهم بصبغة قوية من المعتقدات الهندية في الزهد (٣) الأكاليه (عبدة أكال الباقي القديم) وهم يختلفون اختلافاً جوهرياً عن سائر طوائف السيخ، ذلك أنهم يتبعون النظام الحربي الذي أبدعه كوبند سنغ، ويستمسكون بالسنة الصحيحة أكثر من بقية السيخ جميعاً، ولا يزالون يحتفظون بنزعتهم الحربية (٤) البندائيه أو البندايتهيه، وهم أولئك الذين قالوا بأن بندا هو الكورو الحادي عشر، أما جاط الخالصة فهم الذين يستمسكون بتعاليم كوبند معارضين بذلك بدع بندا (٥) المزهبيه (وننطق المزبية) وهم يمثلون طبقة الكناسين الذين اعتنقوا السيخية بتلقيهم الباهول، على حين، يطلق اسم الرامداسية (أتباع الكورو رام داس الذي هو أول من أدخلهم في السيخية) على الجماز (الدباغين) الذين تلقوا الباهول. ومزارات السيخ متفرقة في معظم أنحاء البنجاب، ولكننا نجد أكثرها شهرة في نواحي أمرتسار

وكوردا سبور، أما أعظمها مقاماً وتقديساً، فهو المعبد الذهبي في أمرتسار، ونانكانه صاحب (بالقرب من لاهور) مسقط رأس نانك، حيث تقام أسواق سنوية يغشاها عدد عظيم من السيخ.

ويتبين من التعداد الذي أجرى سنة ١٩٢١ أن عدد السيخ جميعاً بلغ ٣,٢٣٨,٨٠٢ نفساً، يقطن منهم في البنجاب ٣,١١٠,٠٠٠ (أي جميع السيخ إلا ٤٪ منهم)، وأهم النواحي التي يسكنها السيخ هي أمرتسار، ولدهيانه وفيروزبور، وكذلك في الولايات الوطنية[1]: يتباله، وناهيه، وجند وفريدكوت. وفيما يلي بيان بعدد من ينتمون إلى فرق السيخ الدينية:

الكشدهارية	٢,٨٧٦,٣٢٠
السلجدهارية	٢٢٨,٦٠٠
جاط الخالصه	٥٣١,٣٠٠
النانكينتهيه	٢٢,٥٠٠

وقد ظل السيخ منذ غزو الإنكليز للبنجاب (١٨٤٩م) موالين للتاج البريطاني؛ وهم أمة زاهرة ناجحة، يفوق أفرادها من حيث قوة بنيانهم بقية أهل البنجاب؛ والخدمة العسكرية من أحب الأمور إلى قلوبهم، وهم يعدون بحق من أحسن جنود الشرق. وقد أدت الكتائب السيخية خدمة جليلة لقضية الحلفاء في الحرب العالمية الأولى.

وتقدم السيخ تقدماً كبيراً بعيداً ذلك. وتقوم بينهم الآن جماعات منظمة تعمل بإطراد في سبيل الرقي بحالتهم الاجتماعية والتعليمية وقد

---

(١)- كانت هذه التسمية قبل تقسيم شبه القارة الهندية إلى باكستان والهند واستقلال كل منهما في سنة ١٩٤٧.

أنشئت جماعة السنغ سبه منذ فترة طويلة للدعوة إلى تعاليم الخالصة الدينية متخذة مقرها في أمرتسار.

وثمة هيئة أخرى تعرف باسم «ديوان الخالصه الكبير»، وقد اضطلعت هذه الهيئة بالإصلاح الاجتماعي ونشر التعليم، ولها فروع في جميع نواحي الولايات السيخية. أما جمعية «سهارماني كورود وارا بربندهاك» فمؤسسة أخرى أنشئت أخيراً لتولي إدارة مزارات السيخ التي كان يتوارث القيام عليها الماهانية الهندوس؛ «وتمثل هذه الجمعية فرق الأكالية الدينية، ولكنها تلقت المعونة من السيخ في حملتها الرامية إلى الهيمنة على المزارات، وهي الحملة التي أصابت قدراً ملحوظاً من النجاح».

والسيخ في الوقت الحاضر أمة متميزة عام التميز عن الهندوس. وقد كف البراهمة عن الإشراف على الشعائر التي يقيمونها في الميلاد والزواج والوفاة، وتولى ذلك الكيانية وهم المفسرون المحترفون للكرانته والسيخ يحرقون موتاهم كالهندوس، ولكنهم يختلفون عنهم في كونهم يتزوجون في سن متأخرة ويبيحون زواج الأرامل ويزداد عدد السيخ أيضاً، وبعض السبب في ذلك راجع إلى إقبال كثير من أفراد الطبقة الهندوسية المستضعفة على الدخول في السيخية.

وأمرتسار هي مركز النشاط الاجتماعي والديني للسيخ جميعاً، وفيها مؤسسة تعليمية كبيرة تعرف بكلية الخالصة، وهي تنتمي إلى جامعة لاهور وثمة مؤسسة أخرى من هذا القبيل تقوم في كجرانوالا، أما مدارس النواحي فمتفرقة في جميع أرجاء الولاية[1].

(١) دائرة المعارف الإسلامية ١٢/ ٤١١ ـ ٤٢٧.

الفكر السيخي

تحرير: جفري بارندر

السيخ، على نحو ما نعرفهم اليوم، هم حصيلة ثلاثة عناصر أولية:

أولاً: النظام الديني الذي علمه للناس المعلم الروحي نانك **Nanak** في البنجاب خلال العقود المبكرة من القرن السادس عشر.

ثانياً: بنية المجتمع في البنجاب لاسيما المجتمع الريفي البنجابي.

ثالثاً: حقبة التاريخ البنجابي التي تمتد من زمن المعلم الروحي «نانك» حتى يومنا الراهن. ولا يمكننا أن نفهم السيخ بغير الإشارة إلى هذه العناصر الثلاثة مجتمعة. لقد أضافت الأنماط الاجتماعية وضغط الظروف التاريخية إلى القاعدة الأساسية التي أقامتها تعاليم المعلم نانك ـ معتقدات وأعرافاً وسلوكاً اجتماعياً، شكلت جميعها طريقاً متميزاً في الحياة. كما وجد هذا المجتمع تعبيراً دينياً متماسكاً في المذهب الذي عُرف عند السيخ أنفسهم باسم الجورمات **Gurmat** والذي عرف عند الغرب باسم مذهب السيخ.

ولابد لنا أن نسوق هنا كلمة تحذير قبل أن نقوم بأية محاولة لوصف هذا المذهب:

فمن الأهمية بمكان ألا نحدد الخطوط بدقة مبالغ فيها، لأن

التقسيمات الواضحة الحادة سوف تكون مضللة في فهم الطبيعة الحقة لديانة السيخ ومجتمعهم. ولا شك أن هناك منطقة للعقيدة وللطقوس يتميز بها السيخ غير أن الحدود الأبعد من ذلك لمذهبهم تلقى ظلالاً لا تدركها العين في المدى الفسيح للتراث الديني في شمال الهند.

ويتضح ذلك لأول وهلة من الناحية الاجتماعية حيث نجد خيوطاً طبقية، مشتركة تجري أفقياً خلال مجتمعي الهندوس و السيخ، ويصدق الأمر نفسه من الناحية العقائدية.

بيد أن مناطق المعتقدات والممارسات المشتركة، لا ينبغي أن تعمل على الخلط بين التميزات وتشويشها، فمذهب السيخ لا يتوحد تماماً مع التراث الهندوسي، ولا يتميز تماماً عنه. وثمة مقياس للتوحد يعتد به ويمكن أن نجده في مقدمات فكر المعلم نانك في القبول العام لتصورات مثل عقيدة التناسخ، وفي مراعاة أعراف مرتبطة بها ارتباطاً وثيقاً. أما التميزات فنجدها في رفض بعض المواصفات الهندوسية العامة مثل الدلالة الدينية لتقسيمات الطبقات المغلقة، وفي عقيدة الأخوة بين السيخ أو «الخالصة **Khalsa**»[1]، وإصرار السيخ أنفسهم على التميز.

١ ـ حياة المعلم نانك:

تتوافر مادة غزيرة حول حياة المعلم الروحي «نانك»، ولا تزال أعظم أشكال النثر البنجابي شعبية حتى الآن في القرن العشرين هي تلك التي تسمى «جنام ساخي **Janam - Sakhi**» أي «شواهد الميلاد» للمعلم، غير أن شواهد الميلاد هذه إنما هي أقرب إلى سير حياة القديسين، وروايات

(١) تعني حرفياً الطاهر أو النقي.

تفيض بالورع وتُضفي المثالية على «نانك» ولكنها لا تنقل لنا إلا النزر اليسير عن حياته الفعلية ولا نستطيع من هذه الكتابات ومن الإشارات العارضة في كتب أخرى. إلا أن نعيد كتابة موجز بسيط.

ولد المعلم الروحي نانك Nanak عام ١٤٦٩م، والمكان الحقيقي الذي ولد فيه موضع خلاف، ولكن لا يمكن أن يكون هناك شك في أن والديه ينتميان إلى قرية تلفاندي Talvandi التي تبعد أربعين ميلاً جنوب غربي «لاهور»، وتعرف الآن باسم ننكانا ـ صاحب Nankana – Sahib. ولقد قضى نانك طفولته، وشبابه في هذه القرية ولم يتركها إلا بعد أن تزوج وأنجب غلامين.

ثم انتقل نانك، وهو لا يزال شاباً، إلى مدينة «سلطانبور Sultanpur» وهناك دخل في خدمة «النواب» المحلي. وفي أواخر عام ١٥٠٠ غادر هذه المدينة وتبنى حياة الزهاد المتجولين. ويصف كتاب «شواهد الميلاد»، تنقلاته وصفاً مسهباً، ولكنه لا يقدم إلا أقل القليل مما يمكن الاعتماد عليه. ومن الواضح على كل حال أن المعلم لابد أن يكون قد أنفق عدة سنوات وهو يتجول داخل الهند بهذه الطريقة. ومن الممكن أن تكون تنقلاته وأسفاره قد ذهبت به إلى مسافات نائية خارج حدود الهند.

ويتضح من الإشارات التي ذكرها في كتبه أنه شهد جانباً من غزوات إمبراطور المغول بابر Babur، كما يبدو أن سفرياته توقفت، إبان غزوات بابر Babur، وأن شخصاً ما تبرع له بقطعة أرض تقع على ضفاف نهر رافي Ravi فأقام عليها قريته المسماه «كارتربور Kartur pur». ومن الواضح أنه قضى معظم سنوات حياته المتبقية في هذه القرية إلى أن مات هناك قرب نهاية العقد الرابع من القرن السادس عشر حوالي شهر سبتمبر ١٥٣٩.

٢ . مقدمات فكر المعلم نانك

تعرض تعاليم المعلم الروحي «نانك» في العادة، على أنها مزيج ملفق من تراث الهندوس وإيمان المسلمين، وتلك مبالغة مسرفة في التبسيط ينبغي رفضها رفضاً تاماً حين يعبر عنها بأنها «خليط من الهندوسية والإسلام». صحيح أن تعاليم «نانك» تمثل بالفعل مركباً، غير أن العناصر التي يتألف منها هذا المركب لا يمكن تعريفها أبداً بأنها جمع بين الهندوسية والإسلام، مهما يكن هذا التعريف مرناً فضفاضاً.

لقد كان المركب الذي عبر عنه المعلم «نانك»، مثل هذا التعبير الواضح، مذهباً System تطورت عناصره الجوهرية من قبل. فقد وجدت على عهده مجموعة متنوعة من الإيمان الديني يشار إليها الآن باسم «نرجونا سمبراديا ـ Nirguna Sam Pradaye» أو باسم «تراث سانت Sent Tradition» للهند الشمالية، وكان «كبير Kabir» هو أعظم شراح هذا التراث قبل نانك. ويتم الخلط في العادة بين هذا التراث وبين تراث «فشنافا بختي Vaisnava Bhakti» (المخصص لعبادة تجسيدات فشنو) ولا شك أن الأخير تقدم بعض المكونات الرئيسية «للتراث سانت» لكن الاثنين ليسا شيئاً واحداً على الإطلاق.

لقد أضيفت إلى تراث فشنافا، عنصر أساسي، رغم تغيير شكله من عناصر اليوجا التنترية Tantric Yoga، بجانب قدر ضئيل من تأثير التصوف (الصوفية الإسلامية). وكانت النتيجة نمطاً من الإيمان يؤكد أهمية الخصائص الفشنافية Vais – nava في عبادة المحبة، ولكنه يختلف عن «الفشنافية بختى» في نقاط هامة. فقد رفضت نظرية الأفتار Avatar (التجسيد) الإلهي، واستخفت بعبادة الأصنام وذكرت أهمية

التمسك بدقة بالعبادة الباطنية، وأعلن أن هذا النمط من التأمل الباطني ليس هو الطريق السهل للبختى التقليدية، وإنما هو طريق ضيق لا يمكن أن يأمل في السير عليه سوى القلة.

كان هذا المركب هو الذي ورثه المعلم «نانك» ونقله إلى أتباعه، لكن هذا الاعتراف ينبغي ألا يوحي بأن تعاليم «نانك» تنقصها الأصالة أو أنها لا تمثل نقطة تحول جديدة. إذ الواقع أن أصالة المعلم «نانك» تكمن في طرحه الجديد لمركب «سانت» على ضوء خبرته وبصيرته الخاصة، وفي عبقريته في تعبيره عنه بجمال ووضوح.

٣. تعاليم المعلم نانك:

مع بداية أول مؤلف تم تسجيله من كتب السيخ المقدسة نجد الرقم (١) الذي يمثل وحدانية الله، وهو مفهوم فسره المعلم «نانك» تفسيراً واحدياً. فالله عند المعلم «نانك» شخصي وواحد، وهو الخالق، المفارق المتعالي الذي يجب أن يرتبط به ارتباطاً وثيقاً أولئك الذين يبحثون عن الخلاص. وهذا السعي من أجل الخلاص هو الذي يهم «نانك» الذي يكرر القول بأن طريق الخلاص هو الذي يشكل فحوى تعاليمه.

ويعبر المعلم «نانك» عن فهمه لله بعدد من المصطلحات المكررة من قبل. المصطلح الأول هو نرنكر **Nirankar** أي «مالا شكل له» ومن أبرز ما يوصف به الله أنه هو «الواحد الذي لا شكل له». والصفة الثانية لله هي أكال **Akal** أي «الأزلي»، والثالثة هي ألخ **Alakh** أي «مالا يوصف». وهناك تأكيد خاص على أهمية هذه الصفة الأخيرة. ولقد استخدم المعلم كلمات لا حصر لها للتعبير عنها: فكيف يمكن للمرء أن يعرف الله؟ الجواب الأول للمعلم «نانك» أن المرء لا يستطيع أن يعرف الله، لأن الله

في تمامه يجاوز كثيراً فهم الموجودات الفانية.

غير أن هناك إجابة ثانية تقول: إذ كان الله في تمامه «لا يمكن معرفته» عدم إمكان معرفته «تماماً»، ذلك لأنه أيضاً هو إله النعمة الذي بعث بوحي يمكن للإنسان العادي محدود العقل فهمه، وهو الوحي الذي يتجلى في الخلق. فالله «حاضر في كل مكان» (ساراب فياباك Sarab Viapak)، وهو محايث في كل مخلوقاته، ويمكن لعين الشخص اليقظ روحياً أن تراه في كل مكان. ولهذا الوحي العام بؤرة مركزية معينة هي القلب البشري. ولابد للمرء أن يكون قادراً على الرؤية بعينه الخارجية، ولابد له كذلك، أولها، أن يكون قادراً على الرؤية بعينه الداخلية. ولابد للتأمل أن يتم في الباطن، وسوف تتاح للشخص المتأمل بهذه الطريقة استنارة تدريجية تؤدي في النهاية إلى الخلاص. وللوحي المتجلي في الخلق أهمية بالغة عند المعلم «نانك» إذ يمكن عند هذه النقطة أن يتم الاتصال بين الله وبين الموجودات البشرية. ولا يمكن لطريق الخلاص الذي يهبه الله أن يوجد إلا إذا فهم هذا الاستبصار وطبق بصرامة.

٤ . طريق الخلاص:

إن العقبة الرئيسية التي تعوق عملية السعي إلى الخلاص هي الوضع البشري، فالناس في ضلالهم واقعون في عبودية العالم، لأن ولاءهم للعالم ولقيمه، وهذا التعلق بالعالم يسجنهم داخل دورة تناسخ لا نهاية لها من الميلاد والموت. إن العدو العظيم هو «المايا - Maya»(اللاواقع)، و«المايا» عند المعلم نانك لا تعني نظرية عن اللاواقعية المطلقة عن العالم ذاته، بل هي بالأحرى عن لا واقعية القيم التي تمثلها. إن العالم لم يقدم كيفيات يقبلها الناس على أنها خيّرة ومرغوبة في آن معاً، مع أنها وهم و«خداع»

وأولئك الذين يقبلون العالم على هذا النحو، ويسعون بالتالي إلى تحقيق الخلاص عن طريق التعلق بالقيم الدنيوية هو ضحايا «المايا»، ضحايا الوهم الذي يصور لهم أن هذه التعلقات، إن لم تكن هي الحقيقة ذاتها، فهي على الأقل ليست معادية للحقيقة. ونتيجة هذا التعلق أو الولع بالعالم هي التناسخ أو عذاب الموت بعد الموت، بدلاً من الفرح الأزلي بالرؤية السعيدة، ذلك لأن مصير الضال الذي لا يتوب ولا يندم هو الانفصال الدائم عن الله.

إن وضع الضال (الجاحد) وضع يائس، ولكنه لا يعدم الأمل. ذلك لأن الله بفضله ونعمته قد كشف عن نفسه في خلقه، ويمكننا أن نظفر بالخلاص عندما نحوز على هذا الكشف. والمصطلحات الرئيسية التي يستخدمها نانك ليعبر بها عن هذا الكشف الإلهي هي: نام **Nam**، سهاباد **Shabad**، وجورو **Guru** وحكام **Hukam** وأول مصطلحين، وهما **Nam** «الاسم الإلهي» و**Shabad** الكلمة الإلهية ـ مترادفان، وكل مصطلح منهما يصلح لتلخيص الكشف أو التجلي الإلهي في شموله. وكل ما يقال عن الله هو جانب من الاسم الإلهي أو الكلمة الإلهية. لكن الناس، في حالة الضلال وعدم التوبة، تفشل في إدراك تجليات الحضور الإلهي. وهذه التجليات هي التي يوضحها لهم المعلم الروحي **Guru** (المصطلح الثالث)، أو المرشد الإلهي الذي يدل في استخدام نانك على صوت الله الذي ينطق بطريقة غامضة داخل الجانب الباطن من فهم الساعي اليقظ المتهيئ للخلاص. أما لفظ حكام **Hukam** أو النظام الإلهي، فهو يعبر عن طبيعة الكشف الإلهي أو التجلي. ويتحتم على الناس أن تفهم النظام الإلهي للكون، مادياً ونفسياً، وأن تكافح لكي تصل

بأنفسها إلى الانسجام معه، وبلوغ هذا الانسجام معناه الخلاص.

٥ . نظام العبادات:

لكي يحقق الساعي إلى الخلاص هذه الغاية عليه أن يدخل في نظام للعبادة، وأن يثابر على تطبيقه بانتظام حتى يبلغ الانسجام النهائي. وهذا النظام كما أوضحه نانك لا علاقة له بالشعائر الخارجية: كطقوس المعبد أو صلاة المسجد أو الحج أو الزهد. إن المقصد الوحيد المقبول للحج «والبيت الوحيد الذي يمكن قبوله للعبادة هو القلب البشري الذي ينطق فيه المعلم الروحي بالكلمة الإلهية».

والمصطلح الذي يستخدم، في الغالب، للتعبير عن النظام الذي يعلمه المعلم «نانك» هونام سمرام **Nam – Simram** (تذكر الاسم الإلهي). وقد كان التكرار الآلي لكلمة معينة أو لمقطع من كلمة مقدسة يعني ممارسة محددة للعبادة، لكن المعنى الذي يضيفه المعلم نانك إلى المصطلح يتجاوز ذلك بكثير. فهناك أولاً إصرار على الجانب الباطني المطلق للنظام. ثم توسع في الكلمة الواحدة لتصبح نظرية متطورة عن التأمل. وحتى هذا التأمل لا يكفي وصفاً للممارسة، فالمثل الأعلى هو التعرض الكامل لكيان المرء أمام الاسم الإلهي، والتطابق الشامل لكل ما يكونه المرء ويعمله مع النظام الإلهي الذي يجد التعبير عنه في الاسم الإلهي.

٦ . النمو في اتجاه الله:

ونتيجة التطبيق المنظم لمصطلح «تذكر اسم الله» (نام سيمران) هو

النمو نحو الله، والنمو في الله. وهي عملية متدرجة شبهها المعلم نانك بسلسلة من المراحل الصاعدة، وخامس هذه المراحل وآخرها هي المسماه «عالم الحقيقة» (ساخ كهاند Sach Khand) وهي الإتمام النهائي أو الإنجاز الأخير حيث تجد الروح اتحادها الصوفي بالله. وفي هذا الوضع الذي تشعر فيه بسعادة لا يمكن وصفها تتنسخ أغلال التناسخ وتبلغ الروح مرحلة الانعتاق المطلق باندماجها في الله.

٧. أول خلفاء المعلم نانك:

عيّن المعلم نانك قبل وفاته تلميذاً يخلفه وانعقد لواء القيادة في الجماعة الجديدة لأكثر من قرن ونصف قرن لسلسلة من المعلمين الروحيين. وانتهت هذه السلسلة بموت المعلم العاشر وهو «جوبند سنج Gobind Singh) عام ١٧٠٨. وكان أتباع المعلم يسمون في البداية «نانك بانتيز Nanak – Panthis) (المتحدون مع نانك) ثم سرعان ما حملوا اسم «السيخ» Sikh وهي كلمة تعني بالمعنى الحرفي «المتعلم» أو «التلميذ».

لم تكن لفترة المعلم الثاني «أنجاد Angad» أية أهمية نسبياً، ولكن بعض التطورات الهامة طبعت عهد خليفته المباشر المعلم «عمر داس Amar - Das» ففي خلال عهده نجد علامات لا يخطئها البصر على مجموعة دينية متحررة من الأتباع تتبلور في جماعة متميزة، والظاهر أن تأكيدات المعلم «نانك» قد انحصرت تقريباً في السعي إلى الخلاص وأساليب الحصول عليه. ومن الواضح أن «المعلم أنجاد» قد حافظ على هذه التأكيدات، ولكن في عصر المعلم «عمر داس» تزايد الشعور بالحاجة إلى قدر أكبر من التماسك، ولقد لبى المعلم «عمار» هذه الحاجة بإقامة احتفالات متميزة للميلاد، والزواج والموت، وبتأسيس نظام مبدئي

للرقابة الرعوية (وهو نظام مانجي Manji) وحددت ثلاثة احتفالات هندوسية باعتبارها كذلك احتفالات للسيخ، كما أن إقامة المعلم في مدينة جونافال Goindval جعل من المدينة مركزاً لحج السيخ.

وهناك عامل آخر له أهمية أولية ويبدو أنه ظهر في عهد المعلم «عمر» وذلك هو الأساس الريفي لتطور جماعة السيخ، فالمعلمون الروحيون أنفسهم كانوا جميعاً ينتمون إلى طائفة الخاتري Khatri المتمركزة في المدينة (والتي تشتغل بالتجارة والإدارة والكهانة) وكان كثير من تلاميذ المعلمين الروحيين (الكورو) من «الخاترية». ولكن خلال الفترة نفسها بدأ أتباعهم القادمون من «الجاط Jats» أو المناطق الزراعية يتزايدون، وفي النهاية صارت الغلبة للفلاحين داخل الجماعة. وعند هذه النقطة أصبحت سيادة النماذج الاجتماعية الريفية لاسيما النماذج الثقافية المتميزة للمزارعين واضحة للغاية، ولقد كانت التطورات السياسية والعسكرية التي جرت بعد ذلك داخل الجماعة، في جانب منها استجابة لهذه العوامل الأساسية، ووجدت هذه التطورات إبان القرن الثامن عشر التعبير النظري عنها في معتقدات السيخ المتطورة.

أما المعلم «عمر داس» فقد خلفه زوج ابنته « رام داس Ram - Das» مؤسس مدينة «أمراتسر Amristar»، وقد خلفه هو نفسه أصغر أبنائه «أراجان Arjan» وسار هذا التسلسل في خط ذكور أسرة معينة (هي سوذي خاتري Sodhi Khatri) فكان جميع المعلمين الذين تولوا الخلافة من نسل هؤلاء المعلمين الثلاثة. أما فترة المعلم «أراجان» فكانت هامة لسببين: فالمعلم أرجان هو المسؤول عن جمع كتاب مقدس بعينه وهو المسمى (أدي جرانت Adi-Granth أو جرانت صاحب Grant-Sahib) وفي عهده لفت تزايد قوة الحركة أنظار السلطات المغولية

المتمرة لأول مرة.

وفي خلال حكم الإمبراطور «جهانكير» قُبض على المعلم الروحي ومات في السجن عام ١٦٠٦[1].

٨. التورط السياسي والعسكري:

كان مطلع القرن السابع عشر هو حقبة الرجعة النقشبندية [2] في الهند المغولية التي تصدت للقوة المتنامية لجماعة السيخ، ومن الطبيعي أن يؤدي ذلك إلى اهتمام رسمي متزايد بهم، وتدهور مناظر في العلاقات بين معلمي السيخ والدولة. وكان موت المعلم الروحي أراجان، ووقوع سلسلة صغيرة من ثلاث مناوشات مع القوات المغولية - هي الأسباب التي دفعت المعلم الروحي السادس «هرغوبند **Hargobind**» إلى ممارسة قدر من السلطة السياسية والعسكرية، وبذلك طرأت على جماعة السيخ تغيرات هامة في الاتجاه السياسي والعسكري، ولكن هذه التغيرات لم تكن على حساب التخلي عن النظام الديني، الذي وضعه المعلم الأول. ولقد أدت التغيرات التي جاءت نتيجة لزيادة التورط العسكري والسياسي للجماعة - إلى توسعات ذات مغزى في مذهب السيخ، وإن لم تؤد إلى تخليه عن أسسه الأصلية.

---

(١) الإمبراطور جهانكير **Jahangir**١٥٦٩ - ١٦٢٧ الملقب «بقاهر العالم» إمبراطور هندوستان ورابع إمبراطور مغولي وهو ابن الامبراطور أكبر.

(٢) النقشبندية طريقة من طرق الصوفية أسسها بهاء الدين النقشبندي (١٣٦٧ - ١٣٨٩) في فارس وألف فيها مجموعة من الكتب «كالانوار البهائية» و«سلك الأنوار» و«هدية السالكين» واهتمت بالذكر وكان لها وما يزال تكايا منتشرة في أكثر بلدان العالم.

وتجدد الصراع بين السيخ والسلطات المغولية خلال فترة تولي المعلم التاسع تيغ بهادور Teg Bahadur ثم تزايدت شدته خلال فترة المعلم العاشر والأخير «غوبند سنغ Gobind Singh»[1] . وفي فترة هذا المعلم الأخير امتد الصراع أيضاً إلى أمراء Rajahs تلال شفاليك، وهي مشهورة بسيادة الآلهة شاكتي Shakti وتصورات القوة المرتبطة بها، ولقد قضى المعلم غوبند سنغ معظم حياته في هذه المنطقة كما اتخذ داخل إطار هذه الأحداث قرارات بالغة الخطورة.

٩ . الخالصة Khalsa[2]

كان قرار المعلم الروحي «غوبند سنغ» نتيجة واضحة لاقتناعه بأن أتباعه يحتاجون إلى تنظيم أكثر قوة ورسوخاً، وكان من بين القرارات التي اتخذها تأسيس الخالصة Khalsa عام ١٦٩٩. وأفضل وصف للخالصة هو أنها نظام من الأخوة - تندمج فيه الواجبات الدينية والعسكرية مع الواجبات الاجتماعية في نظام واحد، ونحن لا نعرف ماذا حدث بالضبط عند تأسيس هذا النظام بالفعل في عام ١٦٦٩، وإن كانت بعض الكتابات المتأخرة تسهب في وصف الاحتفال. لكن ليس لذلك سوى أهمية ثانوية، أما الأهمية الأولى فهي أن جماعة الخالصة أو الأخوة في القرن الثامن عشر، أصبحت بالنسبة لمجتمع السيخ هي بؤرة الحاجات

---

(١) أسس غوبند سنغ (١٦٦٦ - ١٧٠٨) قوة عسكرية وأصبح قائداً عسكرياً وأضاف إلى اسمه سنغ أو أسد وكون قوة أخوية تحمل اسم الخالصة.

(٢) كلمة خالصة تعني حرفياً الطاهر أو النقي، والمقصود بها هنا «جماعة الأبرار الأنقياء» وتلك صورة جماعة السيخ في أواخر القرن السابع عشر على يد المعلم العاشر الذي أسس من ناحية أخرى قوة عسكرية للجماعة.

والمثل العليا والطموحات التي تطورت سريعاً خلال ذلك القرن.

وكان القرن الثامن عشر المضطرب بالنسبة لجماعة السيخ حقبة تميزت باتساع الآمال والتوقعات، فقوة المغول في البنجاب تنهار تحت تأثير الضربات المتلاحقة من قائد جماعة السيخ «بنده بهادر Banda Bahadur» (توفي عام ١٧١٦) ومن نادر شاه في فارس، وأحمد شاه عبد الله الأفغانستاني، وتحت وقع هذه الضربات المتلاحقة، تداعب قوة المغول في النهاية، وقامت على حكامها القوة العسكرية للسيخ، وظهر السيخ في أواسط القرن كجماعة مهلهلة من المحاربين غير النظامين تسمى «مسلس Misls» وقرب نهاية القرن تمكن واحد من قادتهم اسمه «رانجيت سنغ Ranjit Singh» من السيطرة الشاملة على الفرق الأخرى، وأسس مملكة للسيخ شملت معظم البنجاب.

وخلال هذا القرن المضطرب الممتد من عام ١٦٩٩ حتى ظهور «رانجيت سنج» وقع التحول الرئيسي، فمن الأحداث الأساسية التي تعزى لهذه الفترة ظهور مصطلح السيخ Sikhism ودخول جماعة السيخ في هذه الفترة بتنظيم مهلهل ونظام بدائي ثم خروجها منه بتنظيم محكم ونظام متميز للخالصة Khalsa (أو نظام الأبرار).

ومن السمات الرئيسية في هذا النظام ظهور عدد من المحرّمات وبخاصة تحريم «تدخين الغليون» والإصرار على الالتزام «بالكافات» الخمس[1] وهي: ١ ـ كيش Kesh أي عدم قص الشعر. (٢) وكانجا Kangha مشط لتصفيف الشعر. (٣) وكيربان Kirpan خنجر أو مدية.

---

(١) المقصود أنها كلها تبدأ بحرف «ك» بحسب اللغة البنجابية مما يصعب نقله إلى اللغة العربية على هذا النحو.

(٤) وكارا Kara سوار من الصلب أو خلخال من الفولاذ. (٥) والكاخ Kachh سروال قصير لا يتجاوز تحت الركبة. ولم يكن لبس العمامة مطلوباً بصراحة، لكنه أصبح ضرورياً بعد الإصرار على عدم قص الشعر. وعلى جميع السيخ الذكور الذين انتظموا في جماعة الخالصة (الأبرار) أن يحملوا اسم سنغ Singh[1] واسم كور Kaur في حالة النساء. أما السيخ الذين تطهروا «بالخالصة» وانضموا إليها ثم هجروا طقوسها، فأولئك يشير إليهم إخوانهم أعضاء الجماعة على أنهم باتت Patit(أي الساقطين). والآخرون الذين لم يتطهروا قط وإن أعلنوا أنهم من أتباع المعلم يسمون «السيخ بطيء التبني».

أما إلى أي حد كانت هذه التطورات قائمة في نية المعلم الروحي «غوبند سنغ»، فذلك موضوع لم يسبر غوره بعمق، ولاشك من وجود سمات معينة قام هو نفسه بإذاعتها ونشرها، ولكن لا شك أيضاً في أن هناك سمات أخرى ظهرت استجابة للأحداث التي وقعت عقب وفاته. وقد أصبح النموذج واضحاً مع نهاية القرن الثامن عشر، وسيطر منذ ذلك الوقت على تاريخ السيخ وديانتهم. وكان هناك عدد كبير من «بطيء التبني» الذين يدعون أنهم من السيخ دون أن يقبلوا الانضمام إلى نظام «الخالصة». غير أن المثل الأعلى للخالصة قد زعم منذ ذلك الحين أنه هو الصورة الحقة للإيمان عند السيخ.

١٠. كتب السيخ المقدسة:

هناك مجموعتان من الكتابات التي ترتفع إلى مرتبة الكتب المقدسة

---

(١) يتخذ كل سيخي ينتمي إلى جماعة المحاربين أو ينتسب إلى طائفة الخالصة لقب سنغ أو أسد.

لجماعة السيخ، رغم أن إحدى هاتين المجموعتين واسمها «آدي جرانت Adi - Granth» هي التي تتمتع بوضع تشريعي لا خلاف عليه، أما الأخرى اللاحقة لها «داسام جرانت Dasam -Granth» فلها أهمية متميزة.

والمجموعة الأولى آدي جرانت Adi – Granth والاسم يعني حرفياً المجلد الأول، جُمعت خلال عامي ١٦٠٣ و ١٦٠٤ بواسطة المعلم الروحي «أرجان Arjan» ويستخدم المعلم الروحي في هذه المجموعة تصنيفاً آخر كان قد تم إعداده في فترة مبكرة تلبية لوصية المعلم «عمر داس» ثم أضاف إليه مؤلفاته الخاصة ومؤلفات والده المعلم «رام داس»، وبعد ذلك لم تضم للمجموعة سوى أعمال قليلة أضافها المعلم الروحي «تاج بها دوره»، ثم اكتمل التشريع أثناء فترة المعلم الروحي «غوبند سنغ» أو بعدها بقليل. وفضلاً عن ترنيمات المعلمين، فقد أضيف عدد من مؤلفات شخصيات مبكرة في «تراث سانت Sant». وقد اشتهر من بينهم كبير Kabir، ونامديف Namdev، ورافيداس Ravidas، كما أضيفت مجموعة من المقاطع الشعرية المزدوجة (الكوبلية أو الدويت) تعزى إلى الشيخ فريد الباك بتاني Pak Pattan.

ويصنف المجلد كله تبعاً للوزن الشعري (راج) وداخل كل وزن أو بحر تقسيمات فرعية أخرى تبعاً للمؤلف ووفقاً لحجم القصيدة. ومعظم المادة تتألف من الترانيم التي استخدمها المعلمون من قبل في إرشادهم الديني، وهي كلها ـ تقريباً ـ مكتوبة بلغة «سانت بهاشا» Sant Bhasha وهي لغة مرتبطة ارتباطاً وثيقاً بكل من اللغتين الهندوسية والبنجابية. كما أنها لغة استخدمها أصحاب الديانة الشعبية على نطاق واسع في أواخر العصر الوسيط في شمال الهند كلغة مشتركة عامة والنص المكتوب هو «جالكورميكهيه Gurmukhi» الذي لا يستخدمه اليوم إلا أهل البنجاب.

ويمثل الوضع الحالي لـ «آدي جرانت **Adi-Granth**» (أي المجلد الأول) ـ الوضع الأخير ـ في تطور عقيدة السيخ على يد «الجورو» أو المعلمين الروحيين. فقد كان المعلم الروحي ـ في التراث الهندي معلماً إنسانياً على الأصالة، ثم أصبح ـ في «تراث سانت **Sant**» وعند نانك **Nanak** هو صوت الرب أو كلمة الله، وسرعان ما تحول دوره داخل جماعة السيخ إلى الرجال الذين قدموا التعبير عن تلك الكلمة الإلهية، وهكذا اكتسب مرة أخرى مفهوماً شخصياً. ولقد أعلن المعلم الروحي «غوبند سنغ» قبل وفاته كما يقول تراث السيخ أن خط الجورو (المعلم الروحي) الشخصي قد انتهى، وأن وظائفه تتمثل ـ في جانبين معاً هما جانب الجماعة المتماسكة وجانب الكتب المقدسة.

ويبدو أن هذا التفسير قد استمر فترة من الزمن، لأننا نجد عنه إشارات قبل المعلم «جوبند سنغ» كما أن الفراغ من القيادة (أو الفراغ القيادي) الذي أعقب موته شجع تشجيعاً قوياً على إيجاد صيغة محددة لهذا المذهب. غير أنه لا يمكن أن يكون ثمة شك ـ في أنه اكتسب أهمية أساسية إبان القرن الثامن عشر، ومع ظهور «رنجيت سنغ» **Ranjit Singh** أهمل جانب الجماعة المتماسكة وارتفع جانب الكتاب المقدس فاحتل مكانة السلطة المطلقة التي احتفظ بها منذ ذلك الوقت. ونحن نجد لـ «آدي جرانت» (أو المجلد الأول) دلالة مركزية مطلقة ـ في الحياة اليومية للسيخ المؤمنين، و ـ في احتفالات السيخ جميعاً حيث يعرف بصفة عامة باسم «كورو جرانت صاحب **Guru Granth Sahib**».

و ـ في مقابل ذلك نجد أن رفيقه الذي جاء بعده لا يقرأ إلا قليلاً ـ في يومنا الراهن. ولقد جمع هذا الرفيق وهو «داسام جرانت **Dasam-Granth**» ـ في القرن الثامن عشر من أعمال متنوعة تنتسب إلى المعلم

«غوبند سنغ»، وظهرت صحة هذه النسبة في بضع مؤلفات قليلة، لكن الجانب الأكبر من المجموعة يتألف من حكايات هندوسية، وروايات عن حيل النساء، ولا يمكن أن يكون مما كتبه هذا المعلم. غير أن أهمية «داسام جرانت» الخاصة تكمن في الشهادة التي تقدمها عن المثل العليا عند السيخ في القرنين السابع عشر والثامن عشر، كما ترجع كذلك إلى أنها مصدر ذو قيمة كبرى لتاريخ السيخ في هذه الفترة.

١١ ـ عبادة السيخ:

تعبّر العبادة المنتظمة للسيخي المخلص عن نفسها في ثلاثة طقوس:

أولاً: التلاوة اليومية لفقرات معينة من كتاب العلم «جرانت صاحب» خصوصاً الجب جي **Japji** للمعلم نانك الذي ينبغي تلاوته من الذاكرة بعد النهوض من النوم والاغتسال مباشرة.

ثانياً: الطقوس اليومية للأسرة رغم أنها ليست عامة على الإطلاق فتتجمع كثير من الأسر كل صباح ومعهم نصوص المعلم «جرانت صاحب» ويقرأون فقرات يتم اختيارها عشوائياً.

ثالثاً: هناك لقاء مع الأسرة الأكبر وهي أسرة الخالصة (الأخوة الأبرار) في الكوردوارا **Gurdwara** أو المعبد.

ومنذ أيام المعلم الروحي نانك و«الكردوارا» ـ أو البناء المناظر له ـ يشغل مكانة ذات أهمية ملحوظة في حياة جماعة السيخ. ونمط العبادة المتبع في «الكوردوارا» يعتمد أساساً على إنشاد فقرات من نصوص «المعلم جرانت صاحب». وعندما يدخل السيخي هذا البناء لأول مرة فإنه يتجه نحو الكتاب المقدس وهو الكورو جرانت صاحب، ويلمس الأرض بجبهته ويقدم قرباناً. وفي أوقات معينة يشترك جميع الحاضرين في تلاوة

الأرداس Ardas أي صلاة السيخ، وهي شكل معين من الابتهالات للنعمة الإلهية، وتذكر الآلام الماضية التي مرت بها الجماعة وكذلك أمجادها. وقد نشأت هذه الصلاة إبان القرن الثامن عشر ولم يطرأ عليها منذ ذلك التاريخ سوى تعديلات عرضية طفيفة، وهي تختتم بالإشارة إلى «كورو جرانت صاحب» بوصفها التجلي الجسدي للمعلم؛ بالإعلان الشهير بأن: «الخالصة سوف تحكم»! («راج كاريجا خالسا Raj Karega Khalsa»).

١٢ ـ السيخ اليوم:

يبلغ تعداد السيخ الذين يعيشون اليوم في الهند حوالي ١٢ مليون نسمة، وهم يمثلون بنسبة ٢٪ من سكان البلاد، وحوالي ٩٠٪ من هذا العدد الإجمالي يعيشون في مقاطعة البنجاب التي تركت للهند بناء على تقسيم عام ١٩٤٧ (أعني المنطقة التي تشمل الآن ولاية البنجاب Punjab وهارايانا Harayana)، وحوالي ٤٪ يعيشون في المنطقة المتاخمة لشمال راجستان ودلهي، ولا يبقى سوى ٦٪ فقط ينتشرون في بقية أنحاء الهند. ولقد هاجر عدد كبير منهم إلى بلاد أخرى، ولكن لا تتوافر لدينا إحصاءات عن عدد هؤلاء المهاجرين.

لم ترجح كفة السيخ العددية في أي مكان من الهند فهم حتى في ولاية البنجاب يشكلون حوالي ٥٠٪ من السكان، وإن كان لهم تأثير كبير يزيد عن حجم تعدادهم لا داخل ولاية البنجاب وحدها، بل كذلك داخل ميادين واسعة من الحياة الهندية. وهذا التأثير يشمل القوات المسلحة، والنقل والمواصلات، والنشاط السياسي، والنشاط الرياضي. وتتعم جماعة السيخ أيضاً بوضع اقتصادي ممتاز نسبياً، وهم يبلغون في

التعليم درجة أعلى من المتوسط في كل أنحاء الهند.

وهناك أسباب متعددة يمكن أن تفسر هذا الوضع المميز وأحد هذه الأسباب وأكثرها أهمية، هو أن الغالبية العظمى من السيخ يعيشون في مناطق عالية الخصوبة. وقد تحالفت البيئة مع وسائل التقنية الزراعية المتقدمة فأنتجت الكفاية الاقتصادية وجلبت في حالات كثيرة رخاء ملموساً إلى طبقة المزارعين من السيخ الجاط **Jat**. وليس في عقيدة السيخ أو إيمانهم ما يعوق هذا التقدم، بل إن تحررهم بصفة عامة من العادات والتقاليد المعوقة قد أعطاهم على العكس من ذلك ميزة كبرى لم يتوانوا عن استغلالها.

أما طائفتا الخاتري **Khatri** والأرورا **Arora** (وهما من الطوائف الدنيا في المدينة) فهما تنعمان كذلك بقدر وافر من النجاح الاقتصادي في الصناعة والحرف والمهن المختلفة. ويمكن أن نفسر ذلك من ناحية، بأنه يرجع إلى المهارة التجارية الموروثة، كما يرجع، من ناحية أخرى، إلى تأكيد السيخ على أهمية التعليم. والسيخ في أيامنا هذه هم وحدهم الذين ينتمون إلى الجماعات المنبوذة التي تعاني من عدم الأمان الاقتصادي الواسع النطاق، وإن كان وضعهم، بصفة عامة، أفضل من وضع الهندوس أو الطبقات المسيحية المقهورة.

وقد ظلت العلاقات المتواصلة بين السيخ والهندوس، عموماً، علاقات صداقة وزواج متبادل عبر خط حدود الطبقات المغلقة - وهي علاقات ليست مجهولة على الإطلاق. صحيح أن قادة السيخ يعلنون بين الحين والحين عن وجود نوايا سيئة عند الهندوس، غير أن هذه التصريحات تكون عادة لأغراض سياسية ولا تؤثر في العلاقات إلا قليلاً. غير أن خلافاً أكثر خطورة نشب في مجتمع البنجاب أدى إلى تصدع الجماعة والانشقاق

بين«الجاط **Jats**» (الفلاحين والمزارعين) وبين بعض الطبقات المدنية. ولقد كان هذا الخلاف في أساسه خلافاً اقتصادياً كما كان ارتباطه بالتميزات الدينية ثانوياً.

ومن أهم مظاهر تحرر السيخ من العادات والتقاليد المعوقة استعدادهم للهجرة إلى بلاد أخرى. ويمكن أن نجد السيخ اليوم في كل ركن من أركان المعمورة، لاسيما في المملكة المتحدة، وشرق أفريقيا وماليزيا، والساحل الغربي لكندا، والولايات المتحدة الأمريكية. وقد كان عدد كبير من المهاجرين الهنود الذين جاءوا إلى المملكة المتحدة من السيخ، وفي إنجلترا اليوم خمسون كوردوارا **Gurdiwara** (معبداً للسيخ). أما القول بأن عدداً كبيراً من هؤلاء المهاجرين أصبح من الصعب التعرف عليهم بوصفهم أعضاء في مذهب السيخ، فإنه يشير إلى لون من ألوان القلق الذي تعاني منه هذه الجماعة. ولقد أظهرت السنوات الأخيرة استعداداً لدى شباب السيخ للتخلي عن الرموز الخارجية لعقيدتهم عندما يعيشون خارج الهند، بل إننا نجد علامات مميزة لهذا الاتجاه داخل البنجاب نفسها[1].

---

(١) المعتقدات الدينية لدى الشعوب، المشرف على التحرير: جفري بارندر، ترجمة: د. إمام عبد الفتاح إمام، مراجعة د. عبد الغفار مكاوي، الكويت، عالم المعرفة (١٧٣) سنة ١٩٩٣.

جـب جـي

أذكـــار ديـنية ســـيخية

اختيار وتقديم: محمد أجمل خان

تعريـــــب: دلاور سنك سدها

المقدمـــة:

« الله أحد. الله الصمد. لم يلد ولم يولد وهو خالق الكائنات وسارٍ فيها. لا خوف ولا بغض ولا حسد فيه وهو حي وقيوم بنفسه وهو الذي لا يموت أبداً ويحصل وصاله بفضل المرشد».

الآيات التي تلي الآية المزكورة تسمى جب (ذكر) وهي تشتمل على ثمانية وثلاثين معراجاً.

سبح وذكره يا نانك! « إن الله كائن من الأزل وكائن في الحال وكائن إلى الأبد».

المعراج الأول

لا تغسل الروح ولو غسلت الجسم آلاف المرات، ولا تحصل على سكون القلب ولو جلست دوماً في الاعتكاف، ولا تزيل الطمع لو ملكت كثيراً من الكائنات، ولا تصل ربك

لو امتلكت آلاف عقول العالم، فكيف تنير قلبك يا نانك. بأنوار الحق استمع يا نانك! أنت تقتبس نور الحق أن تسلك على سبيل رضاء الحق.

المعراج الثاني

كل شيء كائن من أمره وحكمه لا يوصف وتحصل العظمة والإعزاز طبقاً لحكه وجميع الحسنات والسيئات تحت أمره وتتعذب الأرواح تطبيقاً لأعمالها وتحصل الأرواح النجاة من التناسخ على أمره ويحتوي حكمه على جميع الكائنات ولا يخرج كائن ما منه ومن يدرك حكمه يترك أنانيته.

المعراج الثالث

من يستطيع أن يصف قدرته؟ ومن يستطيع أن يذكر بالتمام رحمته؟ ومن يستطيع أن يمدح عظمته التامة وحكمته التي تزين الأجسام أولاً وتحولها إلى التراب بعد ذلك؟ من يستطيع أن يمتدح الخالق الذي هو قريب وبعيد منا في نفس الوقت إن الذين ينالون إنعامه يتعبون لكن المعطى يا نانك! لا يتعب أبداً. كل آكل يأكل أرزاقه لكن الرزاق يبقى غير مهتم بأرزاقه.

المعراج الرابع

إن الله حق وقوانينه حقة. لسانه حب ونحن عندما نطالب منه

نعمة وهو لا يتأخر عن إعطائه وماذا نعطيه لكي نتشرف برؤيته وماذا نتكلم أن ننال حبه يجب علينا أن نفكر عن عظمة الحق صباحاً ونعزز طبقاً لأعمالنا وننجى من التناسخ وهكذا يظهر علينا أن الله حق.

المعراج الخامس

إن الله هو الذي لا يصور ولا يولد وهو كائن بنفسه ومن عبده حصل على كرامة يا نانك حَمِّد وسَبِّح الحق الذي هو خزينة جميع الصفات وهو الذي يذكر ويسمع صفات الخالق ويضع حبه في قلبه يسخر مصائبه ويحصل على سلوى وأنت تحصل على علمه بوساطة المرشد الحق الذي هو (شو) وهو كوركو وهو برهما. وهذه الأسماء هي أسماء المعبودين في السنسكريتية لأننا نستطيع أن نرى الحق بتوسط المرشد فقط وأن أعرف الحق لا أستطيع أن أصف حكمه بالتمام. بناء على هذا أرجو الحق أن لا أنساه أبداً.

المعراج السادس

لا ينفعني الحج ولا تنفعني الزيارة والغسل في الحياض المقدسة بدون رضاء الحق. رضاء الحق هو حجي وغسلي فقط، وأنت لا تنال الثواب إلا بعناية الرب وأن تسمع وتعمل على موعظة مرشدك وهي أن الله معط لا بديل له وأن لا تنساه تجد لآلى وجواهر في عقلك.

المعراج السابع

لا يعتد به الرجل الذي لا يحصل على حب الخالق ولو يعيش إلى الآباد ولو يملك الكائنات ولو يقود الناس وهو مثل الحشرة في الكائنات لا قيمة له. يا نانك إن الله يعطي الصفات لعديم الصفات ويحصل ذو أوصاف صفات كثيرة منه.

المعراج الثامن

يصبح ذاكر الحق زاهداً وولياً لله ومقرباً إليه وتتكشف عليه أسرار الأرض والسماء وتتجلي على الذاكر أحوال جميع الكائنات والذاكر لا يخاف أبداً من الممات. يا نانك! اذكر الحق لأن ذكره يزيل جنايات صغيرة وكبائرها ويبقى حسن الذاكرين والمحبين لله.

المعراج التاسع

ذكر الحق هذا هو الذي يحول الإنسان إلى الملك ويبعد الذلة ويقرب الكرامة وأنت يا ذاكر الحق! تحصل على أسرار الزهد والعالم والجسم وتدرك أسرار ويد وشاستر وسمرتي (هي كتب مقدسة للهنود) من ذكره.

المعراج العاشر

ذكر الحق هذا هو الذي يسلي القلوب ويعطي الصداقة

والعرفان للذاكر وتجد ذكر الحق هو أحسن من أن تغسل في ثمانية وستين حياض مقدسة وهو يعزز الذاكر والسامع ويزيل الآثام وتبقى يا نانك مسرات الذاكرين باقية إلى الآباد.

المعراج الحادي عشر

إن تسمع ذكر الحق تحصل على الصفات الحسنة ويحولك هذا الذكر رأي ذي حكمة وعاهل وبسعادة هذا الذكر يستطيع الأعمى أن يرى الصراط المستقيم وتتغيب الجنايات والأحزان للذين يسمعون ذكر الحق.

المعراج الثاني عشر

أنت لا تستطيع أن تصف جميع صفات المؤمن الذي يعبد الحق ومن يحاول ذكر الصفات كما حقها يفشل في مساعيه. لا قرطاس ولا قلم ولا محرر في هذا العالم يستطيع أن يحرر صفات العابدين بالتمام. ذكر الحق هذا هو طاهر والمؤمن فقط لا غيره يحس مسرات الذكر.

المعراج الثالث عشر

عبادة الخالق هذه هي التي تخلق عقلاً وفطنة وتنير أسرار الكائنات على العابدين ومن يعبد الخالق لا ينال خسائر ولا يقتله ملك الموت وذكر الحق طاهر والمؤمن فقط لا غيره يحس مسرات ذكر الحق.

المعراج الرابع عشر

عبادة الخالق هذه هي التي تزيل العوائق في مسلك العابدين وتهدي العابد علانية والعابد يحصل الحياة المملوءة بالمسرات وهذه العبادة تمتن علاقة العابد بالدين المتين والمؤمن فقط لا غيره يحس مسرات ذكر الحق.

المعراج الخامس عشر

العبادة هي التي تفتح باب النجاة أمام العابد وأمام عائلته والعابد لا يتسول أبداً والمؤمن فقط لا غيره يحس مسرات ذكر الحق.

المعراج السادس عشر

من يقبلهم الخالق هم يكرمون في العالم وفي قصر الخالق أيضاً وهم دوماً يعتكفون في عبادة الله ولا يستطيع أحد أن يعد صنائع الرب الرحيم وعباد الخالق يقودون الناس في العالم وهم دائماً منهمكون في عبادة الخالق. وقدرة الله التي تحمل الأرض مثل الثور وهذه القدرة هي التي وليدة الخالق الذي لا يموت ومن يعرف هذه الحقيقة كما حقها ينال نور الحق في قلبه.

لا يستطيع أحد أن يحصي ما خلق الخالق من الحيوانات ومن الكائنات الأخرى ولا يستطيع أحد أن يقدر عظمة الخالق الذي خلق الكائنات عندما نبس ببنت شفة لفظة «كن»

خلق مئات من الجداول والأنهار وأنا لا أقدر أن أحصي صفة واحدة من صفات الخالق كما هو حقها وأحسن الأمور لي هو رضاء الخالق ويا خالق أنت تبقي إلى الآباد.

المعراج السابع عشر

يا خالق! لا يقدر أحد أن يحصي عبادك محبوك والذين يدرسون الكتب المقدسة ويحفظون الكتب المنزلة منك والذين يتركون العالم لكي يعبدوك ويذكروك يا خالق وهناك في هذا العالم أبطال يقاومون في وجه الأعداء بالسيوف وهناك ناس لا تحصى يسكتون في ذكرك وأنا ضعيف جداً ولا أقدر أن أصف صفة واحدة من صفاتك وأحسن الأمور لي هو رضاء الحق.

المعراج الثامن عشر

في هذه الكائنات يوجد الآلاف صم بكم عمي، لا يفهمون شيئاً، ويوجد أيضاً الآلاف من السارقين الذين يأكلون المحرمات ويكذبون ليلاً ونهاراً ويسيرون على أقدام المذنبين، ويوجد الآلاف من النمامين الذين يغتابون دائما الناس لكنني يا نانك! أنا ضعيف جداً، بناء على هذا لا يليق لي أن أقدم ذبيحة الله.

المعراج التاسع عشر

اللهم أسماءك لا تحصى والألفاظ لا تقدر أن توضح أسماءك وأوصافك عوالمك تخرج من تصورنا. اللهم أنت كل الوجود وأنا ضعيف جداً وحائر فيما أهدي إليك لأنك تعطي جميع الهدايا. وبناء على هذا يكفي بي أن أقول أن رضاء الحق أحسن من كل شيء.

المعراج العشرون

الماء يغسل الأيدي القذرة والأرجل الوسخة والصابون ينظف اللباس الملوث بالبول واسم الحق ينقي القلوب المتلوثة بالآثام وجميع الناس يحصدون ما يزرعون بأعمالهم.

المعراج الحادي والعشرون

من سمع اسم الله وآمن به وأحبه من قلبه زال وسخ آثامه من الماء الطاهر الذي يجده في قلبه والشرف الذي يحصل عليه الإنسان في هذا السبيل هو أحسن بآلاف المرات من الحج والزهد والتبرع. اللهم جميع الصفات لك فقط لا حسن في ولا ولى كالإنسان بدون الأعمال الحسنة أسجد لله الذي خلق الكلام والملائكة وهو الذي حق وجميل ومسرور بالدوام ولا يعلم أحد من المنجمين والمؤرخين والقضاة في أي زمان وأي يوم خلقت هذه الكائنات إن الله فقط يعلم هذا الأمر. أنت يا نانك! أنت لا تقدر أن تحمد وتعرفه بالتمام. وبناء على

هذا يكفي بك أن تقول إن الله كبير جداً واسمه عظيم وهو يفعل ما يشاء.

المعراج الثاني عشر

الأراضي تحت الأرض لا تحصى والسموات فوق السموات لا تعد وعجز الإنسان من إدراكها وهكذا يقول الويد (الكتاب المقدس عند الهندوس) اللهم كل ما سواك يعني يا نانك! أن الله فقط يعرف نهاية كائناته.

المعراج الثالث والعشرون

جميع الأنهار تسقط في البحر لكنها لا تعرف نهاية البحر والناس الذين يحمدون الله لا يعرفون نهاية الخالق. السلاطين الذين يملكون جبالاً من الأموال وهم مثل النملة أمام الذين يزرعون حباً لله في حقول قلوبهم.

المعراج الرابع والعشرون

لا نهاية لصفات الخالق لا تنفد أن توصف ولا نهاية لبصره ولا نهاية لسمعه ولا يعرف أحد ما في قلب الخالق ولا نهاية لكائناته ويحاول الناس أن يعرفوا لا متناهية الخالق لكن جميعهم يفشلون لأن الله أرفع الرافعين وأكبر المتكبرين يا نانك! إن الله يتبارك برحمته فقط.

المعراج الخامس والعشرون

جود الخالق خارج من التحرير ولا طمع فيه ولا غرض فيه. الأبطال هم فقراء على باب الخالق. الناس الذين يتلوثون في الآثام وينكرون وجود الخالق بعد أن حصلوا على أنعامه لا نهاية لهم ويوجد أيضاً حمقاء كثيرون في هذا العالم وهم يملكون أموالاً لا تحصى وأيضاً يوجد مفلسون كثيرون يبتلون في الآثام والجوع ورضاءك فقط اللهم ينجي الذين يجوعون ويفقرون إن الله فقط لمن يعطي وممن يوخذ يانانك! إن الحامد لله فقط هو سلطان السلاطين.

المعراج السادس والعشرون

اللهم لا يستطيع أحد أن يثمن أوصافك وأفعالك وعطاءك وحبك والذين هم سكارى في حبك وانصافك وجودك وكرمك وأحكامك وجميع الكتب المنزلة تقول هكذا وجميع الملائكة والأولياء والرسل يقولون هكذا. اللهم ما أكبرك وهو الذي يقبل هذه الحقيقة هو حق.

المعراج السابع والعشرون

اللهم ما أعجب البيت والباب الذي تنظر الجميع من هناك وكم من أدوات الموسيقى والمغنيين الذي يغنون في حمدك. اللهم يحمدونك الملائكة (المنكر والنكير) والأبطال والحور الساحرات والماء والنار وأنا لا أستطيع أن أحصي

الذي يحمدون الخالق الذي هو حق وقائم بذاته وهو كائن إلى الآباد لا ممات له وهو يفعل ما يشاء وهو لا محكوم للأمر لكنه يحكم على جميع الكائنات.

المعراج الثامن والعشرون

اللهم أنت سبحان وأزلي وأبدي وأنت لا تتغير أبداً وأنت يا ساجد تتقرب إليه أن تلبس أقراط القناعة في أذنيك وأن تجتهد وأن تجلس في مراقبته ولا تنس الموت وأن تكن عفيفاً مثل البكر ولا تفرق بين الناس ومن غلب على نفسه غلب على العالم وسلام عليه.

المعراج التاسع والعشرون

أنت يا ساجد! اصنع العلم غذاء ورحمته طباخاً واسم الخالق أنشودة أن الله مالك جميع الكائنات بذاته، بناء على هذا لا قيمة لجميع الكرامات والقوة والمال عند الله الذي يولد الوصل والفصل وسلام عليه وهو سبحانه.

المعراج الثلاثون

يقال أن هناك ثلاثة ملائك وواحد منهم يخلق العالم والثاني يرزق الأرزاق والثالث يحاكم الأعمال لكنها ليست حقيقة والحقيقة الأساسية هي أن الله أحد لا مثيل له وهو يدبّر جميع الكائنات لكنه يخفي من الكائنات.

المعراج الحادي والثلاثون

إن الله كلي الوجود وخزائنه في جميع الأمكنة وهو عَمَّرَ هذه الخزائن في مدة واحدة (كن فيكون) وهو يلقي نظرة كريمة على جميع الكائنات وهو حق وسبحان وأزلي وأبدي لا يتغير أبداً وسلام عليه.

المعراج الثاني والثلاثون

أن أحصل على مليون من الألسنة أشتاق أن أذكر اسم الله من كل لسان عشرين مليون مرة، هكذا يمكن أن أتشرف بوصل الخالق لأن الفراشة عندما تسمع أشياء عن السماء تتوق أن تطير وتبلغ هناك يا نانك! يمكن لك أن تتقرب إلى الله إذ يكرم الخالق عليك لكن أعمالك الأخرى كاذبة.

المعراج الثالث والثلاثون

اللهم ما سواك لا يقدر أحد أن يتكلم أو يملك قدرة الطلب أو قدرة العطاء ولا قدرة على الحياة أو الممات ولا قدرة أيضاً على تحصيل المال أو السلطة ولا قدرة لفهم الوحي ولا قدرة للخروج من سلسلة التناسخ يا نانك! تجد جميع الكائنات متساوية في نظر الخالق لا أعلى ولا أدنى في عيونه.

المعراج الرابع والثلاثون

إن الله خلق الليالي والأيام والماء والأرض والهواء والكائنات الأخرى التي لا تحصى وكلهم يحصد ما يزرع إن الله حق بذاته وهو يعرف جميع الكائنات طبقاً لأعمالها.

من المعراج الخامس والثلاثين

إلى المعراج الثامن والثلاثين

في هذه المعاريج يوصف عالم العرفان وكيف يحصل المريد عليه والمرشد يقول إن الله خلق أنواعاً كثيرة من الماء والهواء وخلق أيضاً كثيرين من المرسلين والملائك ويوجد هذه الأنبياء والأولياء في أشكال متفاوتة وألوان مختلفة. إن الله خلق أيضاً الأراضي الكثيرة وجبالاً غير معتدة وآلاف من نجوم وكثيرة من الأقمار والشموس والملائكة والشياطين والجواهر واللآلئ والسلاطين والألسنة والخدام ويجد الإنسان في هذه المنازل العلمية لذة من علمه وهي لا توضح، لكن في عالم الاجتهاد يحصل الذهن على زينة معجبة يوماً فيوماً ولا يستطيع أحد أن يصف هذا العالم بالتمام ومن يحاول في توصيفه يندم على عجزه وفي هذا العالم يصقل عقله وذهنه ويرفع منزلته وينحصر تأسيس عالم الكرم والرحمة على قوة ويخرج كل شيء ما سوى من ذهن المريد الذي يمارس أن يبلغ معراج الكرم والرحمة ولا تجذبه المشتهيات أو المرغبات الشهوانية ويجد المريد السرور الباقي

وفي عالم الحق يجد الإنسان وجوده مخمراً بوجود الحق، والإنسان يقول أنا الحق في هذا العالم ويتصور آلافاً من الأراضي والشهوات والنجوم والكرامات أمام نظره ويحس الناظر أن الله يخلق جميع الكائنات وبعداً يحفظ عليها ولا يستطيع أحد يا نانك أن يصف هذا العالم ويستحيل على الإنسان أن يقول ما ينظر الله وما يفكر وما يشاء.
يا طالب الحق! اصنع كورا من تقوى وصائغاً من انكسار وسنداناً من عقل وأدوات من علم وعرفان ومنفاخاً من مخافة الله وناراً من ضبط النفس وظرفاً من حب الخالق وأذب فيه اسم الحق وهكذا تصوغ حلية رحمته الخالق والذين يرحم الخالق عليهم يعملون على هذا النمط يا نانك أنت تحصل على مسرات باقية من رحمة الرب.

السورة الآتية هي السورة النهائية وهي تتعلق بالنجاة

الهواء مرشد والماء أب والأرض أم والليل والنهار هما مرضعتان وجميع الكائنات تلعب في أحجارهما وتحك أعمالنا في حضور الخالق والإنسان يبعد من أو يتقرب إلى الخالق طبقاً لأعماله والذين دوماً يذكرون اسم الخالق تثمر جهودهم يا نانك! أنت تجد نوراً على وجوه هؤلاء الناس فقط وأصحابهم وهؤلاء فقط ينجون من الولادة والممات.

البنجاب أو أرض الأنهار الخمسة

سلة الهند، ومهد الديانة السيخية وقبلتها الأسطورية

كوللن ديفر

«البنجاب» أو أرض الأنهار الخمسة: ولاية من ولايات الهند الحديثة، تشغل مع ولاية الحدود الشمالية الغربية وكشمير الركن الشمالي الغربي الأقصى من إمبراطورية الهند. وهي تضم إذا استثنينا ولاية دهلي المنشأة حديثاً في الهند البريطانية شمالي السند وراجبوتانه غربي نهر جَمّنه.

وعلى هذا فإن هذه الولاية تجمع بين طرفيها أكثر مما يدل عليه اسمها من الناحية الجغرافية لأنها تشمل إلى جانب الإقليم الذي ترويه أنهار جهلم وجناب وراي وبياس وستلج هضبة سرهند بين ستلج وجمنه كما تشمل أيضاً سند ساكر دوآب بين ستلج ونهر السند وإقليم ديره غازي خان.

وتتقسم هذه الولاية من الناحية الإدارية إلى قسمين: المنطقة البريطانية وولايات البنجاب، وتتقسم المنطقة البريطانية التي تبلغ مساحتها ٩٩,٢٦٥ ميلاً مربعاً والتي يبلغ عدد سكانها ٢٣,٥٨٠,٨٥٢ نسمة إلى تسع وعشرين ناحية يحكم كل واحدة منها نائب للمندوب. وتجمع هذه النواحي خمسة أقسام هي: أمباله وجُلندر ولاهور وراوليندي وملتان،

ويحكم كل قسم مندوب.

أما مساحة الولاية البنجابية فتبلغ ٣٧,٦٩٩ ميلاً مربعاً ويبلغ عدد سكانها ٤,٩١٠,٠٠٥ نسمة. وتهيمن حكومة البنجاب على العلاقات السياسية القائمة بين ولايات البنجاب ودُجانا وبتودى وكلسيه وولايات سملا السبع والعشرين. أما الولايات الباقية وهي لهارو وسرمور وبلسبور ومندى وسكت وكابرثالا ومالير كوتله وفريد كوت وجمبا وبهاولبور وولايات بتيالا الفولكية وجيذ ونبها فإنها تابعة الحكومة الهند مباشرة.

وقد تأثر تأريخ هذه البقعة تأثراً عميقاً بكون الممرات الجبلية في الحدود الشمالية الغربية تؤدي إلى سهول البنجاب. وعلى هذا فإن سكان هذه البقعة أقرب إلى سكان أواسط آسيا منهم إلى الهنود. والحق إن الحفريات الحديثة في هريه بناحية مُنتجمري لشاهد على حضارة ازدهرت في وادي السند حوالي عام ٣٠٠٠ قبل الميلاد، وهذه الحضارة تشبه في جملتها حضارة عيلام وأرض الجزيرة (Sir John Marshall Mohenjo – Daro & The Indus Civilisation) في ثلاث مجلدات، عام ١٩٣١م). غير أن أول هجرة لدينا عنها بعض الدلائل هي هجرة الناطقين بالآرية الذين وطدوا أقدامهم في سهول البنجاب فيما قبل التاريخ. وتعاقبت موجات الغزاة في القرون التالية فتدفقت كالسيول الجارفة في الممرات الجبلية في الشمال الغربي، فالفرس واليونان والأفغانين وجيوش الإسكندر وقوات محمود الغزنوي وجموع تيمور وبابر ونادرشاه وجند أحمد شاه دُراني كل هؤلاء تقدموا مخترقين هذه الممرات مخربين سهول البنجاب الخصبة. وزادت كل هذه الهجرات والغزوات في تباين السكان الحاليين الذين يسكنون أرض الأنهار الخمسة. وتاريخ الغزوات التي هبت من آسية الوسطى شاهد على أن البنجاب ومنطقة

الحدود من شواطئ السند إلى المنحدرات الأفغانية لجبال سليمان لم تكن في يوم ما حائلاً أمام قائد حربي مقدام. ثم إن سلسلة جبال سليمان قلما كانت حداً من الحدود السياسية لأن الفرس والموريه واليونان والبلخيين والساكا والبهلويين وفرع كوشان من يوه جي والهونه، كل أولئك قد تخطوا هذه الجبال.

وبسطت غزوة محمد بن القاسم لملتان عام ٧١٣م سلطان العرب حتى مجرى السند الأعلى والبنجاب الأسفل، غير أن الخطر الحقيقي على بلاد الهند أتى من ناحية أفغانستان الحديثة. فوجد الغزاة من الأسرة الغزنوية بيت هندو شاهية ويهند القوى يحكم ما بين لمغان وجناب. وأطاح السلطان محمود الغزنوي بهذه الدولة الهندية وضم البنجاب إلى ملكه، وأصبحت هذه الولاية حداً لملكه المترامي الأطراف، والملجأ الوحيد لخلفائه كلما طردهم من غزنة سلاطين شنسباني من الغورية. وظلت ملتان والإقليم الذي يحيط بها في أيدي المسلمين منذ الفتح العربي، ولكن اعتناق حكامه لمذهب القرامطة كان من الأسباب التي حملت محموداً على غزوها عام ١٠٠٦م، وضم محمود الغوري البنجاب إلى ملكه عام ١١٨٦م، وأضحت بعد موته عام ١٢٠٦م إحدى ولايات سلطنة دهلي تحت حكم قطب الدين آيبك. وكانت الفتن تقوم فيها أحياناً كما كانت تهددها الغارات من ناحية آسية الوسطى إلا أنها فيما خلا ذلك ظلت في يد سلاطين دهلي إلى أن هزم بابر إبراهيم لودي عند بانييت عام ١٥٢٦م، ومهد بذلك الطريق لتأسيس إمبراطورية المغول ودخلت ولاية البنجاب الحديثة في عهد أكبر في ولايات (صوبه) لاهور وملتان دهلي. وإنا لنجد وصفاً مفصلاً لهذه الولايات في آيني أكبرى (ترجمة **Jarrett**، جـ ٢، ص ٢٧٨ ـ ٣٤١).

وأدت السياسة الغاشمة التي اتبعها الحكام الذين خلفوا أكبر

مباشرة إلى نماء قوة السيخ السياسية في البنجاب، وحولت تلك العصبة من الأتباع الدينيين المخلصين التي كونها كرو نانك في النصف الثاني من القرن الخامس عشر الميلادي إلى دولة عسكرية (خالصة) تعتلج في صدور أبنائها نار البغضاء للمسلمين. وقد تعرضت بلاد الهند من جراء ضعف الحكومة المركزية وعدم حماية ولايات الحدود في عهد أباطرة المغول المتأخرين لغزوات نادر شاه وأحمد شاه دراني وأوقع الغازي الأفغاني بالمرهتة الذين كانوا يطمحون إلى بسط سلطانهم هزيمة منكرة عام ١٧٦١ م في ميدان بانييت الذي تخضبت أرضه بالدماء. وفي العام الثاني هزم أحمد شاه السيخ هزيمة شنيعة عند برناله بالقرب من لدهيانه، وكان هؤلاء قد انتهزوا فرصة غيبته في كابل وحاولوا أن يستولوا على الأراضي التي حول لاهور. ومع ذلك فقد بسط السيخ سلطانهم سريعاً على جنوبي ستلج وخربوا البلاد حتى أبواب دهلي، ولكن المرهتة الذين كانوا قد أفاقوا من هزيمتهم عند بانيبت صدوا تقدمهم. وكانت هزيمة المرهتة على يد لورد ليك **Lake** عام ١٨٠٣ هي التي عبدت الطريق لظهور رنجيت سنغ ومكنته من إنشاء مملكة سيخية في البنجاب. غير أن محاولاته في بسط سلطانه على إخوانه في الدين، أي سيخ الجانب الآخر من ستلج، جعلته يصطدم هو والإنجليز، وأقر في معاهد سنة ١٨٠٩ بأن ستلج هي الحد الشمالي الغربي لأملاك الإنجليز في الهند (**Aitchison**: جـ ٨، رقم ٥٣). وتوفى رنجيت سنغ عام ١٨٣٩م فتشتت شمل مملكته سريعاً في عهد خلفائه، وأخذت الفتن تشب واحدة إثر أخرى وأصبح جنود الخالصة الحكام الحقيقيين للبلاد في عهد دليب سنغ الذي كان قاصراً. وأدى اعتداء السيخ على الأملاك البريطانية دون مبرر إلى نشوب حرب بين السيخ والإنجليز انتهت بضم

البنجاب إلى الأملاك البريطانية عام ١٨٤٩م.

ووضعت هذه البلاد التي فتحت حديثاً تحت حكم لجنة إدارية، ثم ألغى هذا النظام عام ١٨٥٣م، وركزت سلطات هذه اللجنة ووظائفها في شخص مندوب سام، وفي عام ١٨٥٩م كانت مناطق دهلي قد انفصلت عن الولايات الشمالية الغربية وأصبح يحكم البنجاب ونواحيها نائب من قبل الحاكم الانجليزي.

ولما امتدت حدود الإنجليز الإدارية عبر السند بضم البنجاب زاد احتكاك حكومة الهند بقبائل البطهان في الحدود الشمالية الغربية وبأمير أفغانستان. وكانت هذه الحدود طويلة جداً تغشاها الجبال، فكان من الصعب أن تحميها القوة الحربية وحدها، لذلك اعتمد الإنجليز في معالجة هذه القبائل على السياسة؛ ولم تكن هناك أول الأمر وكالة خاصة تباشر شؤون المناطق القبلية، ولذلك كان يدير دفة العلاقات مع القبائل نواب مندوبي النواحي الست وهي يشاور وكوهات وبنو وديره إسماعيل خان وديره غازي خان.

وفي عام ١٨٦٧م أضحت النواحي الشمالية الثلاث تؤلف مندوبية بيشاور كما ألفت النواحي الثلاث الجنوبية مندوبية ديره جات.

ولم يتبع نظام الوكالات السياسية حتى عام ١٨٧٨م عندما عين ضابط خاص لخيبر خلال الحرب الأفغانية الثانية، وأصبحت كُرّم وكالة عام ١٨٩٢م بينما أنشئت وكالة ملكند وتتشى ووانه ما بين عامي ١٨٩٥ و ١٨٩٦م. ووضعت ملكند تحت رقابة حكومة الهند مباشرة منذ أول الأمر، وظلت كل الوكالات الأخرى تحت سيطرة حكومة البنجاب. و ظل هذا النظام متبعاً إلى أن أنشئت ولاية الحدود الشمالية الغربية عام ١٩٠١م.

ووصلت ولاية البنجاب إلى حدودها الحالية عام ١٩١١م عندما أصبحت دهلي ولاية قائمة بذاتها. ولم يرتفع شأنها بإقامة حاكم عليها إلا عام ١٩٢١م؛ وفيها اليوم[1] ١٤,٩٣٠,٠٠٠ مسلم و٨,٦٠٠,٠٠٠ من الهندوس و٤,٠٧٢,٠٠٠ من السيخ. ومن سوء الحظ أن روح العداء بين هذه الشعوب جميعاً قد استفحل في هذه الولاية بسبب نشاط «التنظيم» و«إشاعت إسلام» و«تبليغ» وهي حركات نظمها المسلمون لمحاربة الدعوة التي كان يقوم بها الهندوس للتبشير بمعتقداتهم، وهي الحركة المعروفة؛ «شد هي». وفي عام ١٩٢٦ قتل سومي شردهنند زعيم الحركة الشدهية في دهلي بيد واحد من المسلمين، وعادت الخصومة بين الأجناس إلى حدتها من جراء قتل وراق هندوسي في لاهور نشر طعناً جارحاً في نبي الإسلام في كتاب سماه «رنكله رسول» وكانت الفتن السياسية التي انتهت بحادث جلينواله باغ عام ١٩١٩م أكثر شدة من هذه الخلافات الدينية (**India As I Knew It**، ١٨٨٥-١٩٢٥ **Sir M. O'dwyer**)، ويعيش تسعون في المائة من السكان على الأقل في القرى، ويعتمد ستون في المائة منهم على الزراعة لأن البنجاب بلاد ملاك الأراضي، غير أن معظم الزارعين ولدوا وهم غارقون في الديون ويعيشون وهم على الدين ويموتون كذلك. ومعظم هذه الأموال أقرضها لهم الهندوس والسيخ الذين لم يحرم عليهم دينهم الربا، ولكن من المؤسف حقاً أن ما يربو على نصف هذا الدين قد جره المسلمون على أنفسهم. ولا يمكن جماعة من الناس أن تطمع في التقدم وفي سبيلها هذه العقبة الكأداء، وعلى هذا فلابد من إيجاد نظام لمحاربة هذا الشر إذا أريد لهذه الجماعة الإسلامية التقدم والرخاء...[2]

---

(١) سلسلة ١٩٢٧.

(٢) المعلومات والإحصاءات الواردة في المقال تعود إلى أوائل القرن العشرين الميلادي.

البنجاب في واقعها المعاصر

دائرة المعارف الهندية

الأرض الأسطورية، منبع الأنهار الخمسة، التي قيل فيها أنها «سيف الهند البتار» و«سلة الحبوب»... الأرض الخصبة، أرض الأفراح الزاهية، والشعب ذي الحيوية المتدفقة، يحيل الأرض اليباب إلى خصوبة وعطاء.

ومع ذلك فقد ارتبط اسمها في الفترة الأخيرة بالعنف والإرهاب، ولكن ذلك لم يدم طويلاً، فتحولت أعمال الإرهاب إلى حوادث منعزلة ومتفرقة حتى تلاشت تقريباً. ومن يشهد النشاط والحيوية في البنجاب كله يتأكد له أن ما كان بالأمس لا مكان له اليوم: إنه ذكرى من ماض.

البنجاب اليوم مفتوحة أمام الزوار بلا حدود أو قيود، ليروا فيها آثار البنجابيين الخارقة في حراثة الأرض والإبداع العلمي، وآيات الفنون تجتذب السواح من كل أرجاء العالم.

يتردد هذا الاسم منذ فترة طويلة برنين غريب: اسم ساحر ارتبط في أذهان الناس بأقدس موقع ديني عند طائفة السيخ وتوسل الإرهابيين به واستغلال قدسيته في أعمال لا تمت إلى الدين بصلة، من ترويع وإرهاب، وتعذيب وابتزاز الأموال من الناس.. ومع ذلك، ها هو اليوم يستعيد تألقه ومجده باعتباره رمز السلام والإيمان العميق في الهند.

وإذا كان الناس يرهبون الاقتراب من هذا الملجأ الروحي، قبل عام ١٩٨٥، فهم الآن يأتون إليه أفواجاً أفواجاً، بعشرات الآلاف، كل يوم. والحق أن الاستغلال الذي لحق بالمعبد الذهبي كان له الوقع الكبير الذي هز ضمائر الناس، بل كل فرد تقريباً، والذين كانوا يحملون في نفوسهم شيئاً من التعاطف، فأعرضوا عن أولئك الذين استغلوا قدسية المعبد... واليوم وفرت الحكومة مساحة ٣٠ متراً تحيط بالمعبد لضمان أمنه وقدسيته، وتضيف إلى جمال المشهد روعة أخرى.

ولكن ليس المعبد الرمز الوحيد في البنجاب الغني جداً... فتذهب الأساطير إلى أن كتاب الـ «ريغ فيدا» المقدس جُمِعَ في البنجاب... وهناك بلغت حضارة الهارابان العظيمة قبل وقد أكد هذه الحقيقة الحفريات الأثرية في سنغول... وهناك من المقامات البوذية، المسماة شتوبا، والأختام وسواها من المخلفات الأثرية التي تعود بعهدها إلى ما قبل ألفي عام قبل المسيح، وتبين أن البنجاب كانت مركزاً هاماً من مراكز البوذية.. وفي منطقة عند نهر البيس ثلة تعرف باسم تل اسكندر... وقد اكتسبت هذه المنطقة اسمها من اسم اسكندر المقدوني، حين وقف عليها وأدى الطقوس قبل انسحابه من الهند.

وهناك بعد اسم يتردد صداه في البنجاب وغيرها من المناطق: إنه كورو نانك (كلمة كورو تعني القديس)... إنه مؤسس عقيدة السيخ، المولود في البنجاب، سنة ١٤٦٩... ويمكن القول أنه حقاً الداعية الأكبر للمبادئ الإنسانية.. كيف لا وهو الذي أقام المؤسستين الأساسيتين التي تجمع الرجال والنساء والأطفال من كل الطوائف والعروق ثم الاشتراك معاً في الطعام... وكان كورو نانك يؤمن بأن الروح من عند الله، وهي في كل البشر، وبالتالي لا مجال للتفريق بينهم، داحضاً بذلك مزاعم

التفرقة على أساس المذهب أو العقيدة أو اللون أو العرق... وكان يعتقد أن خفض مكانة الإنسان إلى حد النبذ خرافة.. وكان يحمل بالمقابل أعلى تقدير للمرأة باعتبارها «الحافظة للجنس البشري». أما القديسون التسعة الآخرون الذين أتوا بعده فقد دعوا إلى ذات الدعوة، التي خرج بها كورونانك... بل ولقد كان المهاراجا رنجيت سينغ الكبير الذي يوصف عهده بالفترة الذهبية في البنجاب على قدر عظيم من التواضع حتى أخذ عنه أحد المؤرخين أنه قال: «كان يعزو إلى الله كل نجاح أصاب في عهده». وبعد هذا كله ليس هناك من يملك إلى أن يذكر الدور الذي اضطلع به البنجابيون في فترة الكفاح من أجل نيل الحرية... فهذا أمر معروف لن يكون الحديث فيه إلا من قبيل التكرار، كذلك لا يملك أحد إلا أن يذكر دورهم في الدفاع عن حرية الهند ووحدتها منذ الاستقلال وحتى اليوم.

لقد أتى الاستقلال بامتحان صعب للبنجابيين، فما كان بلداً موحداً وثرياً بأرضه وثرواته غدا بعدئذ منقسماً فقيراً، ولكن البنجابيين نهضوا لمواجهة التحدي وبرهنوا بنشاطاتهم وحيويتهم وإبداعهم على جدارتهم وأصالتهم التي ثبتت أمام تحديات سابقة.

من مساحة البنجاب ١,٩ مليون هكتار، ليس هناك سوى ٠,٥٣ مليون هكتار من الأراضي المروية، ولا تزيد مساحة الأرض المروية بالمياه السارحة سوى ٠,١٦ مليون هكتار. وكانت البنجاب تعاني أيضاً من نقص في الغلال يبلغ ٣٥ ألف طن من الحبوب. ولكن ما أن حل العام ١٩٥١ حتى أصبحت المنطقة تغل، بمساعدة الحكومة، أكثر من مليون طن من الحبوب، ثم بلغ إنتاجها فيما بين ١٩٨٥ ـ ١٩٨٦، حوالي ١٧,٢ مليون طن، بالرغم من أن مساحة الولاية تقلصت مع إنشاء ولاية هاريانا،

وهي الآن تساهم بما يعادل ٦٠ بالمئة من مجموع احتياطي الهند من الحبوب، علماً بأن مساحتها لا تزيد عن ١,٥ من مجمل مساحة البلاد. وجدير بالذكر أن البنجاب لم تكن تنتج ما يستحق الذكر من الأرز، أم اليوم فتبلغ مساهمتها ٤٠ بالمئة من الاحتياطي.

ولعل مما يجدر ذكره أن البنجاب حققت أشواطاً من التقدم بعد أن خضعت مباشرة لحكم رئيس الجمهورية ـ لم تشهد مثله الولايات من قبل. فالنمو الاقتصادي الذي انخفض معدله في سنة ١٩٨٥ إلى ٣ بالمئة مقابل عشرة بالمئة سنة ١٩٨١، قفز قفزة واسعة ويتوقع أن يبلغ معدله ٨ بالمئة هذا العام. وهذا التقدم يشمل جميع المجالات، الزراعة، الأشجار المثمرة، تربية الحيوان، الدجاج، عباد الشمس، القطن، قصب السكر، الفواكه والحليب.. هذا وقد قطع إنتاج قصب السكر والقطن أشواطاً بعيدة في تقدمه، والبوادر تشجع على توقع المزيد، من حيث الكمية والنوعية، بما يجعل هاتين المادتين في المقدمة في أسواق العالم... وفي مجال إنتاج الحبوب لم تنقطع البنجاب عن المساهمة حتى في فترة أسوأ قحط مرت بالبلاد في العام ١٩٨٧ ـ ١٩٨٨، حين بلغت مساهمتها ٣,٥ مليون طن في الأرز.

ـ الصناعة في المقدمة:

إن البنجاب تقوم على الزراعة أصلاً، ومع ذلك فقد حققت الولاية تقدماً كبيراً في عدد من المجالات الصناعية، بل والمتقدمة منها.

وقد وضعت الولاية لنفسها هدفاً بإنتاج ٧٦٨ كيلو واط إضافياً في ما بين ١٩٨٥ ـ ١٩٨٠، وتم بالفعل إنتاج ٣٧٧ كيلو واط في ٣٠ حزيران ١٩٨٨.

وفي مجال الصناعة قام أكثر من ٣٢ مشروع منذ أيار ١٩٨٧، وبلغ فيها

الاستثمار حوالي ٢١٢٠ مليون روبية. وهذه المشاريع تتسم بالتنوع، فمنها، ما هو أساسه زراعي أو ذو صلة بالهندسة والكيمياء أو الالكترونيات المتقدمة.

وكان من التطورات الهامة نمو صناعة الاليكترونيات في ساس ناغار، نسبة إلى صاحب زاده أجيت سينغ، وهو ابن غورو غوبند سينغ، الغورو التاسع السابق لآخر المرشدين الروحيين لطائفة السيخ.. وقد بلغ نمو صناعة الاليكترونيات في ساس ناغار حتى أخذت الأوساط المعنية في العالم بمقارنة المنطقة بمنطقة «سيليكون فالي»، وهو مركز تجمع صناعة الاليكترونيات في الولايات المتحدة.. ففي هذه المنطقة يتم إنتاج مجموعة كبيرة من الأدوات والآلات الالكترونية، من الكومبيوتر وقطع الغيار وأدوات الاتصال حتى الآلات الكاتبة والأنابيب المستخدمة في آلات التصوير الملون وأجهزة التصوير بالأشعة المجهولة والكمبيوتر المصغر وأنظمة حزن المعلومات.

وهناك مشروع هام آخر هو مجمع غوبندفال الصناعي، في ناحية غوبندفال بالقرب من أمريستار، ويضم في جملة ما يضم معملاً للورق ومعملاً لتوليد الطاقة الحرارية.

وهناك مشاريع صناعية صغيرة لها شهرتها الكبيرة، فمن لم يسمع بالملابس المحبوكة في لوديانا أو دراجات «هيرو» التي دخلت كتاب «جينيس للأرقام العالمية» سنة ١٩٨٧.

ولقد كانت تنمية الريف في أعلى سلم الأولويات منذ منتصف ثمانينات القرن العشرين.. فرصدت الأموال لإقراض المزارعين، في إطار برنامج التنمية الريفية المتكاملة، وبلغ عدد المستفيدين ٧٤٣٦٧ مزارعاً في السنة ١٩٨٧ - ١٩٨٨.

- استئناف الحياة الطبيعية:

اليوم تفتح البنجاب الأبواب على المصراعين لتستقبل السواح، بعد رفع القيود على السواح الأجانب والهنود المقيمين في الخارج والداخل.. والحق أن هذه الولاية حافلة بما يستحق الزيارة... فهناك بالإضافة إلى هذا الصرح السامي والأصيل، المعبد الذهبي في أمريستار، هناك المدينة ذاتها الغنية بما يستهوي السائح، مثل متحف السيخ المركزي الذي يحتوي على بعض أجمل اللوحات التي تصور نضال السيخ ضد الاضطهاد الديني.. وعلى مقربة من المعبد الذهبي يرى المرء معبد لاكشمي نارين الذي يعرف بمعبد درغيانا... وفي أمريتسار ذاتها هناك نصب كبير أقيم لتخليد شهداء الحرية حوالي ألف وخمسمائة قتيل بناء على أوامر الجنرال درايز عام ١٩١٩.. ويوسع الزائر اليوم أن يرى آثار طلقات البنادق على الجدران والبئر الذي سقط فيه من حاول النجاة من المذبحة.

والمعبد الآخر الذي لا ينبغي لزائر أن تفوته زيارته هو معبد السيخ أناندبور صاحب (قصر السلام) الرائع الذي يستريح في منطقة نايناديفي عند الهمالايا، وعلى ضفاف نهر سالتيج.. وهذا المعبد أنشأه الكورو التاسع للسيخ، كوروتيغ بهادور (١٦٦٤ - ١٦٧٥) ولكن شهرته ذاعت عندما أسس فيه الكورو العاشر، وآخر المرشدين كورو غوبند سينغ، فرقة الخالصة (الأصفياء) وأقر التقليد بأن يحمل كل من أبناء الطائفة لقب سينغ (وتعني أسد). وما زال هذا التقليد قائماً منذ ذلك الحين.

وهناك على بعد ثلاثة وخمسين ميلاً من أناندبور صاحب، ينتصب سد بهاكرا الخارق الذي يتميز بأنه أعلى سد في العالم، ويتحكم بمياه نهر ستلج المضطربة، فضلاً عن أنه يمد بالماء شبكة واسعة من القنوات

التي يعود إليها الفضل في إحياء مناطق من الأرض كانت حتى عهد قريب أرضاً يباباً.

ـ كنز من التاريخ العريق:

بهاتيندا... بلدة قديمة أخرى، يعود تاريخها إلى حوالي ١٨٠٠ سنة.. وفي حصن بهاتيندا الذي ما يزال قائماً حتى اليوم سجنت السلطانة المسلمة راضية.. وكانت أول امرأة تحكم الهند... وفي هذا الحصن أعدمت.

وهناك أيضاً مدينة سرهند.. هذه المدينة التي بناها فيروز طوغلال ويغلب عليها الطابع المغولي، وهي حافلة بآثار المساجد والقبور والأضرحة الجميلة.. وتشتهر سرهند بمقام صاحب الحضرة مجاهد الدين الطاف أحمد فاروقي الذي يجلّه المسلمون الهنود أعظم إجلال.. وإذا توجه الزائر إلى جنوب شرقي سيرهيند طالعته روضة رائعة تعرف باسم باغ خاص أو عام، وقد أشادها الإمبراطور جهانكير.. وكما يوحي الاسم فالحديقة مكونة في الواقع من حديقتين، هما الحديقة الخاصة، والحديقة العامة واحدة خاصة بالأسرة المالكة وأخرى للرعايا..

وجدير بالزائر أن يزور أيضاً عاصمتي الولايتين القديمتين: باتيالا وكابورتالا... باتيالا تتمتع بحصون رائعة ومطرزة بالحدائق الواسعة.. ويعود عهدها إلى سنة ١٧٥٦ حينما نقل موقع العاصمة إلى بابا الا سينغ وأقام عليها «حصن باتيالا» ثم سماه «قلعة مبارك».

يتمتع الحصن بأبواب جميلة التصميم وقاعة غنية بالرسوم الرائعة من الأشكال الهندسية والنباتيات حسب الأساليب الفنية في بيهار وراجستان..

وما زالت القلعة تشكل النواة التي تتجمع حولها المدينة، وهي تحتوي على مجموعة كبيرة من الثريات الرائعة وترسانة أسلحة مهيبة.. وفي ١٨٤٥ جاء المهراجا نارِيندر سينغ وأنشأ قصر «موتيباغ» حسب النمط الذي تقوم عليه حديقة «شاليمار» في لاهور... ويتميز هذا القصر بشرفاته وحدائقه تحيط به من كل جانب تتناثر فيها النوافير هنا وهناك... ويضم هذا القصر أيضاً قاعة مرايا «شيش محل» تحتوي على مجموعة غنية من اللوحات التي تعكس أسلوب الرسم البنجابي.

أما المدينة الأخرى التي كانت ذات يوم عاصمة ولاية قديمة، فهي كابورتالا التي يعتقد أنها تأسست في القرن الثالث عشر.. وتتمتع هذه المدينة بمعبد هندي فريد، يعرف باسم «بانتش مانديز»، وقام على بنائه أحد أبناء طائفة السيخ.. وتزهو البلدة أيضاً بجامع مبني على طراز العمارة الغربية، وتولى تصميمه أحد المعماريين الفرنسيين.. وهي تتمتع أيضاً بحديقة غناء واسعة وقصر يعرف باسم جانجبت: وكلاهما يتميزان بنمط فريد من التصميم، يجعلهما مزيجاً من فرنسا والهند في آن واحد.

وإن فات المرء أن يزور مكاناً في البنجاب فلا ينبغي أن تفوته زيارة الخانات، أو الفنادق، القديمة التي تعرف باسم «سرايا».. ويرجع الفضل في إنشاء هذه الخانات القديمة إلى شير شاه سوري الذي أنشأ الدرب الكبير الذي يصل بكالكوتا ببشاور، وبات يعرف اليوم، عن جدارة باسم، طريق شير شاه سوري. وقد أنشئت هذه الخانات ليستريح فيها المسافرون بعد عناء..

وكانت البنجاب تضم عدداً كبيراً من هذه الخانات العريقة التي تنتظم كالسلسلة على الطريق، مثل خان أمانات خان، وخان نور الدين، وخان فاتح أباد، وخان سلطانبور، وخان ناكودار..

ولعل أفضل خان اليوم هو «داخني سراي» الذي يبعد حوالي تسعة كيلومترات عن ناكودار.. إنه موقع جدير بالزيارة حقاً.

أما هواة علم الآثار فسيجدون في مواقع «سنغول» و«روبار» التاريخية ما يشبع هوايتهم... ولهواة الحيوانات والطيور «حديقة تشهات» التي تضم مجموعة واسعة من الطيور والحيوانات النادرة، وهي لا تبعد سوى بضعة كيلومترات عن تشاند يكر... وهذه مستوطنة طبيعية خضراء تمتد على /٢٠٢/ هيكتار، وتضم /٥٢/ نوعاً من الطيور، ويقيم فيها حوالي /٧٥٢/ نسمة، أكثرهم من مواليد المستوطنة.

وأخيراً وليس آخراً هناك مدينة تشاند يكر الجميلة، وهي ابنة حلم عبقري العمارة لوكوربوازيه.. وليس هناك من يشك بأن هذه مدينة فريدة لا مثيل أو شبيه لها في العالم كله.

الحركـة الانفصاليـة

دائرة المعارف الهندية

يعتبر التسامح والبساطة والابتعاد عن العنف من أهم المبادئ التي ارتكز عليها مؤسس حركة «السيخ» في دعوته.. ومع التغيرات الحضارية التي اجتاحت فكر ونفسية البشر، تتغير المفاهيم.. ونجد هناك من يحاول التنكر للمبادئ وطقوسها السامية إلى ممارسات فردية تجيز لنفسها المكاسب على حساب قيم أبناء هذه الطائفة.. وتسيطر مشاعر عاطفية تدفع بأحد أبنائها وهو من الحرس الخاص، الذي يفترض فيهم حفظ النظام والأمن، إلى استخدام أسلوب العنف الذي يتعارض مع تعاليم وعقيدة «الحركة السيخية».

ففي عام ١٩٨٤م قامت مجموعة من المتطرفين بقيادة شاب يُدعى سانت جارنيل سينغ بهندران وال، بتحصين المعبد الذهبي، فقد استخدم هذا الشاب وأتباعه حرم المعبد المقدّس كقاعدة للهجمات الإرهابية. وفي يونيو من تلك السنة، هجم الجيش الهندي على المعبد، واحتله ونتيجة لتلك المعركة تم هدم العديد من الأبنية داخل المعبد. وسبّبت هذه الحملة التأديبية التي قامت بها الحكومة استياءً مريراً بين أفراد السيخ في جميع أنحاء العالم.

وقضية السيك اليوم، التي أثارت هذا العنف، إنهم يطالبون بدولة

خاصة بهم أو يطالبون على الأقل بالاستقلال الذاتي، قبل المعركة كانوا قد أحرقوا المباني الرسمية، نهبوا الأسواق، نزلوا بالرصاص على قوات الحكومة، قتلوا الكثير وقتل منهم الكثير، رواسب الامتيازات الاستعمارية ما تزال حية فيهم تثير فيهم التميز وتبعث الكبر وتغذي مشاعر الانفصال.

والمشكلة بالنسبة للهند ليست فقط في أن هذا المطلب يهدد بتقسيمها ولكنها مشكلة عديدة الوجوه بالمعايير الاقتصادية والدينية والجيو - سياسية ولها في كل وجه شأن خاص. فالبنجاب حيث يسيطر السيخ تنتج القمح هي سلة الخبز للهند، ثم أنها خط الحياة الواصل بين الهند وبين كشمير. وكشمير مشكلة الهند إنها مسلمة وبجوار الباكستان في الشمال ولكن إمارتها الهندوكية ألحقتها بالرغم عنها بالهند.

إن النزاع بهذا الشكل الدموي بين السيخ والهندوس قد قوض - أو يكاد - قاعدة التعايش الوطني بين طوائف الهند، ومن ذا الذي يضمن ألا تكر المسبحة وألا تطالب الطوائف الأخرى بما يطالب به السيخ؟ وعند ذلك فماذا ستصبح الهند؟ ومن ذا الذي يستطيع الحديث في التعايش إذا كان السيخ وهم الذين ظلوا أكثر من ٤٠٠ سنة مختلطين بالهندوك عملاً وحياة وزواجاً وتقاليد ومعابد - يطالبون بالانفصال؟ وأخيراً فإن في يد السيخ ورقة رابحة خطرة. إنهم متوغلون في نخاع القوى المسلحة الهندية، الكثيرون جداً من عسكر الهند هم من طائفة السيخ، التقاليد العسكرية قائمة فيهم منذ ما قبل العصر الاستعماري فكيف يطمئن النظام الهندي إلى قوته العسكرية وهي على هذا النمط؟

في الهند اليوم ما زال البحث عن معنى الوجود السياسي بمعايير اللغة

والعرق والدين مستمراً، وقادة السيخ أدركوا ذلك وتركزت مساعيهم في ضرورة تعزيز سيطرتهم على الجيش والسيطرة بشكل كامل على شاندي يكر التي يتقاسمونها الآن مع ولاية هاريانا. لكن من حظ الهند أن أولئك الذين يقودون هذه المساعي ويلحون فيها ويقاتلون من أجلها ليسوا بعد أكثرية في السيخ، الإرهاب الذي تمثل في عصيان المعبد الذهبي ومعركته الخاسرة، لا يجد الكثير من أنصار السيخ في صفه وإن هز سقوط المعبد مشاعر الكثيرين وصب المرارة ملحاً وصبراً في حلوقهم وقذف بهم إلى الشوارع والحجارة والرصاص في شوارع دلهي ولندن وفرانكفورت وواشنطن..

وثيقة الكتاب الأبيض:

في الكتاب الأبيض الذي أصدرته الحكومة الهندية في العاشر من تموز سنة ١٩٨٤، أبانت أن الجيش قد دُعي للتدخل لمجابهة التحديات التي استهدفت أمن ووحدة وسلامة البلاد وعددت هذه الوثيقة قائمة بأربع عوامل واضحة كانت تعمل في البنجاب:

١ ـ أعمال الشغب والإثارة التي تبناها حزب أكالي دال السياسي وتصعيد النزاعات الطائفية وظهور حركة متطرفة تحولت إلى دعوة سافرة للعنف وارتكاب أفظع الجرائم ضد الدولة.

٢ ـ نشاطات انفصالية ضد الوطنية.

٣ ـ تورط المجرمين والمهربين وجميع العناصر التي هي ضد المجتمع واستغلالها للوضع من أجل غاياتهم الخبيثة، وسلّط الكتاب الأبيض الضوء على ما يلي:

استغل الانفصاليون ومثيروا الإرهاب لتغطية أعمال الإثارة التي قام بها زعماء حزب أكالي دال وذلك بوضع خطة منظمة لتكديس السلاح والعتاد في أماكن العبادة وإساءة استعمال المعبد الذهبي المقدس وغيرها من معابد السيخ المقدسة واتخاذ هذه الأمكنة المقدسة نقطة انطلاق لارتكاب أعمال القتل والتخريب وإشعال الحرائق والنهب وكان هدفهم الرئيسي خلق شرخ عميق بين الهندوس و السيخ.

إن الانفصاليين والحركة المعادية للوطنية بدأت نشاطاتها الهدامة بدعم من جماعات قليلة كانت تعمل في الخارج وقد استطاعت هذه الجماعة أن تسيطر على الموقف واستسلمت زعامة أكالي دال وفقدت زمام المبادرة من أيديها أمام الإرهابيين والمتطرفين الذين أبوا التفاوض لإيجاد تسوية على أساس أي إطار معقول تقدمت به الحكومة، لقد بذلت الحكومة كل جهد مستطاع للوصول إلى تسوية وحتى آخر لحظة كانت المباحثات تدور مع زعماء حزب أكالي الذين أظهروا في هذه المحادثات تصلباً أكثر من ذي قبل. إن نشاطات الإرهابيين التخريبية شكلت تهديداً خطيراً لأمن الهند وأصبح النفوذ للقوى الخارجية التي لها جذور عميقة ومصلحة كبيرة في ضرب وحدة الهند. إن تدخل هذه القوى أصبح واضحاً، وفي هذه الظروف استدعى الجيش لمجابهة التحدي الذي يهدد أمن ووحدة البلاد.

مطالب حزب أكالي:

منذ أن بدأ حزب أكالي دال في أعمال الإثارة في تشرين، ١٩٨٤ لدعم مطالبيه، عقدت الحكومة الهندية عدة اجتماعات مع ممثلي حزب دال وبعض أحزاب المعارضة المشتركة معه وحاولت جهدها من أجل

الوصول إلى اتفاق. لقد قبلت الحكومة الهندية المطاليب الدينية التي قدم بها حزب أكالي دال. منها حمل السيوف من قبل رجال السيخ الذين يسافرون على متن الخطوط الجوية الهندية وإذاعة تعاليم رجال الدين السيخ من المعبد الذهبي بواسطة إذاعة عموم الهند، تحريم بيع الدخان والمشروبات الروحية واللحوم في منطقة ممتدة حول المعبد الذهبي في أمريستار، كما وافقت الحكومة الهندية أيضاً على وضع تشريع لتعديل قانون (غرودا وار) وذلك بالتشاور مع رجال الدين السيخ وحكومة الولايات حيث توجد فيها معابد السيخ، كما وافقت الحكومة أيضاً على دراسة تعديل المادة (٢٥ ـ ٢ ـ ب) من الدستور الهندي، أما مطلب إعطاء مدينة أمريتسار صفة المدينة المقدسة فإن ذلك لا يمكن الموافقة عليه، لأن ذلك يتنافى والدستور الهندي الذي ينص على أن الهند بلد علماني.

أما فيما يتعلق بالمطالب التي لا تشمل البنجاب فقط بل الولايات الأخرى بالنسبة لاقتسام مياه الأنهر وتحويل تشانيديكر فلم يجر التوصل إلى أي اتفاق بسبب الموقف المتصلب الذي اتخذه حزب أكالي دال. أما بالنسبة لدراسة مطالب البنجاب والولايات الأخرى التي تطالب بسلطات أكثر فقد شكلت الحكومة لجنة برئاسة القاضي رايخنت سنغ سركايا لدراسة التدابير القائمة بين الحكومة الاتحادية والولايات. غير أن إصرار حزب أكالي دال على الحكومة للإشارة إلى قرار ـ أنانيدو صاحب ـ الذي يقيد دور الحكومة المركزية في شؤون الخارجية والدفاع والنقد والمواصلات وذلك عندما يعرض هذا الموضوع على لجنة سركاريا. لأن القرار (أناندار بور) يختلف اختلافاً كلياً على أساس مفهوم وحدة وسلامة الوطن. إن الحكومة لا تستطيع أن تقبل هذا الأمر كقاعدة لأي بحث.

إن أعمال الإثارة والتحريض التي قام بها حزب أكالي دال والتي واكبها العنف وحكم الإرهاب حيث قتل المئات من الهندوس و السيخ على أيدي الإرهابيين علماً أن التمييز الطائفي أصبح جزءاً لا يتجزأ من هذه الحركة التي بدأت باسم مطالب وحقوق جميع البنجابيين.

إن حزب أكالي لم يستنكر ولم يدن أعمال القتل والنهب والحرائق التي عمت الولاية، ولم يستنكر الدعاية المسمومة للتعصب الطائفي البغيض كما أنه أساء استعمال المعبد المذهب والأمكنة المقدسة وجعلها مخازن لتكديس كميات كبيرة من السلاح والذخيرة، كما جعلوا منها ملجأ للقتلة والمجرمين وقطاع الطرق والتحضير لأعمال التخريب والدمار... وظل حزب أكالي دال ساكت لا يأتي بحركة ولا يحتج ضد هذه الأعمال، كما أن جماعة من الجناة المعتدين عملت من داخل المعبد الذهبي وصعدت ووسعت أعمال العنف وهي واثقة تماماً من أن قيادة حزب أكالي دال لن تحاسبها على ذلك...

إساءة استخدام أكال نخت:

في الخامس عشر من كانون الأول ١٩٨٣ انتقل السيد بهندرا وال من معبد نانك تيواز إلى أكال نخت مستصحباً معه حاشيته المسلحة.

ومن هذا المكان المقدس كثّف نشاطاته وتحريضه الناس على العنف والحقد الطائفي. وكان أهم هدف للمتطرفين هو جماعات السيخ التي تعارض أعمالهم غير الوطنية. وقد تم تصفيتهم بأسلوب مخطط وكان مصير الكثيرين من السيخ داخل المعبد كمصير زملائهم خارج المعبد، وقد حوكم هؤلاء في المعبد المقدس وأعدموا لتنكرهم لسلطة

المتطرفين. كما أن العديد منهم قد تعرضوا لأبشع أنواع التعذيب حتى الموت. وقد ألقيت جثثهم فيما بعد خارج المعبد الذهبي.

وعدد الكتاب الأبيض عدة منظمات انفصالية سيخية نشطة في الخارج وقد رفع رئيسهم شعار خالستان أي ولاية انفصالية للسيخ. دعت نفسها المجلس الوطني لخالستان برئاسة الدكتور جاكيت سينغ جوهان وكان المذكور يحاول منذ وقت طويل إثارة المشاعر ضد الهند في الخارج كما لجأ الدكتور جوهان إلى إصدار جوازات سفر باسم خالستان وإصدار طوابع وعملات باسم خالستان.

إن هذه المنظمات بالرغم من عدم قيمتها في حد ذاتها كانت تعمل بوضوح بمساعدة مصادر خارجية وقد لعبت هذه المنظمات دوراً هاماً في إعطاء صور مشوهة للأوضاع في الهند للسيخ المقيمين في الخارج.

تدخل الجيش:

ومن أجل إنقاذ الوضع من التدهور كان لابد من دعوة الجيش لإعادة النظام والقانون وإلقاء القبض على عناصر الإرهاب ومصادرة الأسلحة والذخيرة غير الشرعية وإعادة الأمن والثقة للشعب. لقد صدرت الأوامر إلى القوات المسلمة باستخدام أقل ما يمكن من القوة للتأكد من عدم إلحاق أي ضرر إلى (هارمندر صاحب) وهو موقع مقدس لدى السيخ، وقد التزم الجيش بدقة بهذه الأوامر وامتنع عن إطلاق النار على (هار مندر صاحب) رغم أن الإرهابيين والعصاة كانوا يصوبون مدافعهم ويطلقون نيرانهم على موقع (هار صاحب) و(أكال نخت).

لقد تم الاستيلاء على كميات كبيرة من الأسلحة والذخيرة والمتفجرات

بما فيها أسلحة أوتوماتيكية وأسلحة مضادة للدبابات، كما عثر على معمل صغير لصنع القنابل اليدوية والرشاشات الصغيرة في مجمع المعبد المقدس، ولا يزال الجيش ماضياً في البحث عن السلاح وإلقاءالقبض على الإرهابيين الذين انتشروا في كافة أرجاء الولاية.

إن أحداث البنجاب أثارت بعض المسائل الحيوية منها:

١ - هل من الصواب استخدام أمكنة العبادة المقدسة لدى الملايين من المؤمنين كترسانة عسكرية؟

٢ - هل من الصواب جعل مثل هذه الأمكنة مأوى للمجرمين والعناصر المخربة؟

٣ - كيف نستطيع أن نجنب أسس العلمانية في جمهوريتنا من الزوال؟

من الصعب الاعتقاد أن حزب أكالي دال وهيئة الإشراف على معابد السخ لم يكن لديهم علماً بما يحدث من سوء استخدام الأمكنة المقدسة في المعبد الذهبي ولم يصدر أي صوت من قبل هؤلاء ضد ذلك، وهل تستطيع هذه الهيئة المسؤولة شرعياً عن هذه الأمكنة المقدسة الإدعاء بجهلها لما يحدث من سوء استعمال هذه الأمكنة المقدسة. إن المعبد الذهبي والأمكنة الأخرى استخدمت لتكون حصناً منيعاً للمجرمين الذين عملوا على تمزيق وحدة هذا البلد.

إن أحداث البنجاب يمكن فصلها من إطار التطورات الدولية. إن هناك قوى هامة تعمل على نسف النظام السياسي والاقتصادي الهندي..

لقد فشل في الماضي عدوان خارجي وضغوط أخرى في تصديع وحدة الهند وتجري محاولات الآن لخلق تفكك داخلي يستخدم الدين فيها

لزيادة أوارها. إن الإجراء الذي كان على الحكومة الهندية اتخاذه في البنجاب لم يكن موجهاً ضد السيخ أو الدين السيخي بل كان ضد الإرهابيين والعناصر المخربة. إن طائفة السيخ تقف بحزم وقوة في صف واحد مع باقي الأمة وهي مصممة على الحفاظ على قوة ووحدة وسلامة البلاد وحتى بعد تلك الأحداث المأساوية تظل الحكومة الهندية ملتزمة بموقفها القائل أن حلاً دائماً يجب السعي لإيجاده بالوسائل الديمقراطية والتباحث ومن أجل هذه الغاية يجب أن يسود جو من الثقة المتبادلة لتحقيق هذا الهدف وفي سبيل إيجاد تسوية، يجب أن يكون هناك مبدأ الأخذ والعطاء وفوق كل شيء الالتزام بالمفهوم الأساسي للبلاد والحفاظ على الدوام على مصالح الشعب ككل لا بالنسبة لمصلحة ولاية أو أخرى معينة ولدى الحكومة أمل كبير أن جميع فئات الشعب ستساهم بخلق جو من الثقة والحب.

شعر غورو نانك في رسائله المقدسة

بقلم سوس نيغدهاري

تعريب: م . ث. محمد علي

إن قراء الشعر ونقاده يبحثون دائماً عن شيء غير مألوف. وقد قيل في سبب وجود شاعر كلمات مذهلة العدد تطابق كلياً أو جزئياً «السويليم لونجينوس» وهو الابتهاج والتعليم، ذلك أمر ثابت إن الذين يهتمون بالروح والذين يعجبون بالأحاسيس لا يختلفون في الأساس. ازدهر الرقص والموسيقى في معابد الشرق وابتدأ المسرح والتمثيل في رحاب كنائس الغرب. وأحياناً يهتم الشاعر بنظام العالم الخلقي ذلك أن عمله يحكم من وجهة النظرية الإلهية. وقد حدث مثلاً للشاعر الإيطالي دانتي في الكوميديا الإلهية وللشاعر ملتون في الفردوس المفقود.

وفي نفس الوقت أظهر الذين ينتمون إلى العالم الديني براعة فائقة في الاحتراف الأدبي، وامتاز الرسل والقديسون كشعراء وكتاب.

إن اهتمام الواحد كاهتمام الغير هو اكتشاف بالكلمة الصحيحة، والشاعر والزعيم الروحي كلاهما يخلق شعور الوفاء بواسطة الكلمات. فالكلمة هي التي تبقى بينهم وبين القراء أو التابعين في كل حال. والكلمات هي التي تقربهم والآخرين بواسطة القراءة والتلاوة والفهم على

أي حال. فإن شاعراً كبيراً أو رسولاً عظيماً يصل إلى السكوت بواسطة الكلمة وراء الكلمات. وحينما أزعج بولونيوس هملت بكلمات، كان أمير الدنمارك مستغرقاً في كتاب، وكان قارئاً «كلمات، كلمات، كلمات».

وإذا كان أول غرض للشعر أن يعطي لنا شيئاً للرجاء فمن اليقين أن كورو نانك شاعر عظيم حتى أن النفس اليوم ستتحرك بأبياته.

المنظومة والناظم في اللغة اليونانية كلها مشتقة من فعل بوييو أي «ييني» يعني الإنشاء، ذلك هو الخلق أو الاستثمار في الأسلوب الذي يعطي شكلاً وانسجاماً وجمالاً للإنشاء. ولذا الشاعر هو الذي يقدر على أن يخلق شيئاً من عند نفسه. وذلك هو سبب كونه الأعلى قدرة، والشاعر المطلق الذي يخلق ليس فقط الصورة بل المادة أيضاً من عند نفسه، فهو الشاعر المتفوق وإنشاءه الشعر. ومنذ العهد القديم كان العالم يعتبر نفسه القصيدة العظيمة ـ قصيدة الإله، ويرى في أوغوسطين القديم العالم كقصيدة موسيقية للفيثاغور غنائية كغناء موزون لذكريات للأفلاطونية الحديثة. وقال القديس أوغوسطين «كانتاري أمانتيس أست» (إنه من الطبيعي ن يتغنى بالحب) وليس من اليسير يقيناً أن يتغنى بغير أن يوزن الألفاظ والأصوات التي تستدعى.

وبالفعل كان الكورو نانك افتتان شديد بالكلمات. والمقطع الخامس لجب جي يقول: «غرموك نادام غرموك فيدام» (كلمة غورو هي الموسيقى الداخلية للمريد، كلمة غورو هي طريقة الطقس الفيداوية).

وفي الترتيلة التالية بعينها قيل لنا أن الخلاص للذي يستمع تعليمات غورو (جي إيكا غرو كي سكها سنى)، وهناك أمثلة كثيرة ليس فقط ما في كتاب الصلاة الصباحية الشهيرة بل في تآليفه الأخرى أيضاً إنه

أكد أهمية الكلمات مراراً وتكراراً، ونجد في بعض التراتيل التي كتبت إلى (شري راغ) «عندما يسمع واحد الكلمة إنه يلفظ الكلمة» وأيضاً في موضع آخر يجيب كورو نانك لوهاريا «أندر شبد نيراندر مودرا» (الصوت الداخلي تعبير لا نهائي)، ورداً على سؤال المريد «لم تركت البيت؟» أجاب: «غرمو كها كهوجاب بهاي أداسي» (قد صرت شريداً في استكشاف كلمة كورو) وقال نانك في إجابة أخرى لسؤال المريد «كورو الحق هو الكلمة» فمفهوم «شيدا» هام في الكتب المقدسة للسيخية.

إن قصيدة جب جي أو دعاءه تحقيق مدهش في البساطة والدقة وإن اختيار كورو الكلمات في وصف الكائن الأسمى هو مثل اهتمام الشاعر الحديث لإخراج الفكرة بواسطة الاقتراح الدقيق، فلا أفعال ولا تكملة، تبرز كلمة بكلمة لسلسلة فكرات معطية الخصائص الأساسية للكائن الأسمى المهمة. إن الترجمة الإنجليزية لكلمة (مولنترا) معظم ألفاظها مأخوذة في محاولة للتعبير عن نفس الفكرة وإن الترجمة التي عملتها اليونسكو استعملت أكثر من أربعين كلمة. استعملت أنا أربعاً وأربعين كلمة إسبانية في ترجمتي في تلك اللغة، وسألني عالم إسباني هل الأصل موجز ومحكم مثل ترجمتي الإسبانية:

فبنعمته الواحد القهار   وحقيقته الدائم والمنتشر

والذكر الباري بلا خوف ولا   عداوة الصمد ولم يولد

وجوده المتنور من ذاته   الا وهو القادر المنور

نحن نصادف بخزائن الشعرية الواسعة لكورو نانك في أبياته وفي شعوره الموسيقي قد رفع الكلمة العامة إلى القمة السماوية وجعل

يعرف بعض الأبيات لسعتها العميقة. جذاب كأغنية ناجحة. على أي حال فإن الوجدانية والعبقرية الموسيقية يتحكم في (الجب جي) ومع أنها لعبت دوراً كبيراً في تآليفه الأخرى مثل برامها تكهاري.

وكثيراً ما يستعمل في تراتيله أبيات شعر يسجع السطر الأول بالثاني واستعمل أساليب السجع الأخرى. وقدر الأبيات يتغير أحياناً ما يتناسب مع ظروف موضوع الكلام. واستعمل أيضاً زوجين من الكلمة متوازنة كل واحدة منهما بالأخرى وبزيادة في القدر الذي يؤثر في السطر الثاني. وتكررت الألفاظ لأجل التأثير الكبير.

وأحسن مثال هو في «جاب» أدي ساشو جغادي ساشو. هي بهي ساشو نانك هوسي بهي ساشو

عند الابتداء كان الحق

وفي العصور كان الصدق

والصدق اليوم هناك نانك

ويبقى صدقاً إلى الأبـــد

«سشن» هو الحق والحقيقة والكلمة، ويظهر في جب جي مرات.

وتعجبنا عفويته حين ندرك أن اسكندر بوب وقبيلته في انجلترا في القرن الثامن عشر كان عليهم أن يناضلوا متواصلاً لمثل تلك النتيجة. ونرى أيضاً استعماله الرشيق والأنيق للتصريف النحوي المختلف كما في أبياته: «سوشائي سوشن نا هوائي جي سوشي لكبار». (مواصلة التفكير يعجز فكره، ولو أنه فكر مائة ألف مرة) ويلاحظ في مقالاته استعمال الجناس مراراً.

وإن رحلاته إلى البلاد المختلفة ساعدته على معرفة الشعوب المختلفة

ولتعلم اللغات المتعددة، ورافقه الشيخ روح الدين نقيب مكة المكرمة أو رئيسها واصطحب معه في بعض رحلاته، وهو يذكر علم نانك الفقير للأدب الإسلامي والقرآن وإدراكه الشامل الآداب العربي والفارسية وحبه للشعراء والأدباء.

استعمل كورو نانك لهجة الإنسان العادي ليجسد تجربته الاستثنائية بطريق التماثيل البسيط. ولما أن رياح الإصلاح المعاكس كانت تهب في إسبانيا كان بعض الزاهدين والصوفيين يفعل كذلك في ذلك الوقت. إن تيريزا المسيح المقدسة التي أصلحت نظام الكرمليين الديري استعملت في الحقيقة اللهجة التي تكلمها الشعب. وإن القديس جون الصليب التمس الاتحاد الباطني بكتابة الشعر الغنائي بوضوح طبيعي، وهو يصف قلق النفس لرؤية الله أو شهود الله ثم يكتب: (إنني أحيا ولكن لا حياة في، أنتظر الموت كذا، غير أني لا أموت، ومعناه أنني أموت بسبب أنني لا أموت).

وتيريزا القديسة التي كررت الأبيات المذكورة على أي حال تعلمت من ناحية «كارما» (العمل) الذي اكتسب لها اسم «الذكر» بعينه. ولكن القديس جون كان مندفعاً بالطرب الباطني كما يبرهن بكثير من علامات التعجب والاستفهام التي نراها في كتاباته. ولعل إقامة كورو نانك مدة طويلة في البلاد العربية، والنفوذ الإسلامي على حياة إسبانيا وثقافتها يمكن أن يكون أحد الأسباب - أو سبباً مهماً - للتقارب في نظريتهم الدينية. إن كورو نانك وتيريزا القديسة كلاهما أتى بالقدسية الروحية بحيث يمكن أن يتناول الرجل العادي. وذاك ببيان اعتقادهما وتجربتهما في المجاز البسيط وبجعل التصوف ديمقراطياً. وأن الثقل الرئيسي للصوفيين الإسبانيين كان أن يجدوا الطريق الذي يؤدي إلى

الاتحاد النهائي في الله - وكورو نانك من ناحية أخرى تاق إلى معالجة تشوش الفكر الإنساني العادي وقيادته إلى الفكر التوحيدي قبل أن يهيئه إلى الواقع النهائي:

صلوات غير معدودة وأشكال العبادة غير معدودة

وطرق العبادة غير معدودة والتمارين القاسية غير معدودة

وقراء غير معدودين للكتب المقدسة وللفيدا

وضاع في فكرة عدد غير معدود من أهل اليوغا

أسخياء غير معدودين وحاصنات غير معدودات

أبطال غير معدودين الذين يواجهون الأعداء مع الجسارة والزاهدون غير معدودين الذين يظلون ساكتين.

وكيف يوصف سخاء الطبيعة

وكل ما يسره ويرضيه هو فقط الخير

إنه هو الخالد بلا كيف.

وليس في شعر كورو نانك وحده بل في حياته أيضاً إنه يرى إحساساً شعرياً طبيعياً. وكتاباته وسلسلة الأحداث المترابطة في حياته كلاهما يدل على وئام الحق والشعر. والحادثة في (هردوار) مثل و احد من الكثير. وبدلاً من الاحتجاج الممل المبتذل إنه يستجيب مع الخيال والحصافة حينما كان الهندوس يجللون سلفهم الموتى بتقديم الماء ويوجهون وجوههم للشمس الطالعة، كان الغور الأول للسيخيين يرمي الماء إلى الجبهة المعاكسة لها. وحينما سئل لما كان يفعل كذلك؟ قال إنه كان يسقي حقوله القائمة بعيدة بأميال عدة، وهدأ فضولهم مبيناً لهم إن كان الماء الذي يرمونه يصل إلى سلفهم في الآخرة كيف لا يصل الماء الذي يرميه

إلى حقوله التي تقع هي فقط في جانبي سهول نهر غنغا (الجانج). ومفردات غورنانك الشعرية هي نفس ما ظهر عند كبير من سنت بهكتا، وأختار ألفاظه من تلك التي كانت منتشرة بين الناس في ذلك الوقت في الهند الشمالية بأكملها، ومعظم هذه الألفاظ صار غير مستعمل اليوم إلا أننا نراها في لهجة الناس في المناطق المجاورة، والألفاظ مثل «بسارنا» و«تول» و«وات» و«ديبانا» التي ليست مستعملة في البنجاب، تستعمل عامة في نواحي أوترا براديش الشرقية وفي بيهار عبر التخوم. وهذا أيضاً دليل على شموليته.

المرشد نانک...

في المنظور الإسلامي

بقلم: البروفيسور نثار احمد الفاروقي(*)

كورو نانك (١٤٦٩ - ١٥٣٩م) شخصية فريدة في تاريخ الديانات. إنه تولد ونشأ في أحضان أسرة كاشترية بولاية البنجاب في الهند، وقام بتأسيس ديانة ليبرالية ضمت إليها جميع الديانات. ذات مرة تحدث الملك المغولي جلال الدين أكبر عنه فقال:

«الكاشتريون عامة هندوكيون أرثوذكسيون، والغريب في الأمر أن يتولد بينهم مؤسس ديانة».

لقد عرف أتباع كورو نانك في أول الأمر بتسمية «نانك بانثي» (Nanak Panthi) والسمات الرئيسية لتعاليمه تلخصت في خصائص التفاهم والتسامح تجاه ديانات أخرى، ولاسيما تجاه الديانات التي تأسست على الوحدانية و القيم الإنسانية، فإنه رفض الشرك رفضاً مباشراً، ونظراته تجاه ذات الإله وصفاته كانت أعمق بالمقارنة مع الديانات الرئيسية الأخرى التي نشأت في شبه القارة الهندية، والكتاب -

---

★ رئيس قسم اللغة العربية وأدابها بجامعة دلهي، وعضو دائرة المعارف الهندية، راجع ترجمته في مجلة الموسم، العدد /٥/ (١٩٩٠) ص ٣٥٢ - ٣٥٣.

كورو جرنت صاحب ـ الذي تقدسه الطائفة السيخية، هو الوحيد ـ من بين الكتب الدينية الهندية ـ الذي يتضمن الأناشيد والأبيات والمقولات المأثورة من الزهاد والمتصوفين من أتباع مختلف الديانات والقيمة الجوهرية للعقيدة السيخية تكمن في البر والإحسان والتسامح وذلك لأن هذه العقيدة تبنت رؤية واضحة من ذات الإله عز وجل.

كلمة «السيخ» مأخوذة من كلمة «شيشيا» (Shishya) أو التلميذ والمتبع، وفي مصطلح الصوفية يراد بها «المريد» أو المتبع والمسترشد فيما يراد بـ «جورو» المرشد لسواء الطريق.

وعن الطقوس الدينية السيخية، فإنها تشبه تعاليم ومسالك الصوفية من الطريقة الجشتية. وأوجه التماثل هذه بين الطقوس الدينية السيخية والطريقة الجشتية، تنعكس في اشتراك أتباعهما في إحلال الـ «كورو» و«المرشد» مكانة الإجلال والتقديس وهكذا فإن كلمتي «كورو دوارا» (معبد السيخ) و «خانقاه» (الزاوية) عبارة عن المكان الذي يسكن فيه الشيخ أو المرشد الروحي، ويلقن أتباعه دروساً في السلوك، ويشرف على إصلاح أخلاقهم ومدارج ترقيتهم الروحية، يعتبر «كورو دوارا» بيت المرشد، والكتاب المقدس «كورو جرانت صاحب» يحل مكان المرشد أو كورو في الديانة السيخية.

يكون المطعم أو (Langar) سمة بارزة لمعابد السيخ، والطعام هناك يوفر للجميع فقراء كانوا أم أغنياء، والدراويش من الطريقة الجشتية أيضاً يمارسون نفس التقاليد منذ خروج الطريقة لحيز الوجود في القرن الحادي عشر الميلادي تقريباً، والصوفية المسلمون يولون اهتماماً كبيراً لإطعام الجياع بدون أي تمييز على أسس العقيدة أو اللون أو الجنس، وهكذا فإن الطعام في المعابد السيخية يوزع بين الزوار جميعهم، وتوجد

في بعض المعابد الرئيسية دوائر خاصة كتنظيم المطاعم على نطاق واسع جداً. ومن أوجه التشابه بين مؤسستي «كورو دوارا» و«خانقاه» أن السيخ يمارسون تقاليد النذورات التي تعرف بـ «كراه براساد» (Karahprashad) كمثل الصوفية المسلمين الذين بدورهم يقدمون النذورات لإيصال المثوبة تصدقاً على المشائخ أو على أقربائهم الذين وافاهم الأجل، ويقرأون الفاتحة عليهم، ويتلون الآيات القرآنية، ويوزعون الحلوى والفواكه (التقليد السيخي Karahprashad أيضاً يكون صدقة ونذراً بالنيابة عن المرشدين السابقين).

وهنا تجدر الإشارة إلى أن كورو نانك اختار جورو أنجاد (Guru Angad) (١٥٠٤ ـ ١٥٥٢) الذي لم يكن يرتبط به بالعلاقة الدموية وعَيَّنه خليفة له والمشائخ من الطريقة الجشتية من أمثال الخواجه معين الدين السجزي الأجميري (المتوفي عام ٦٣٤ هـ / ١٢٣٧ م) والشيخ فريد الدين مسعود غنج شكر (المتوفي ٦٧٠ هـ / ١٢٧١م) والخواجه نظام الدين أولياء (المتوفي ٧٢٥هـ/١٣٢٥م) أيضاً وضعوا نفس التقليد، ولم يقوموا بتعيين أقاربهم خلفاء لهم. ولو أجرينا دراسة مقارنة بين طرائق المشائخ المسلمين من الطريقة الجشتية والأنظمة التي اتبعها الزهاد السيخ، لوجدنا عدة أوجه تشابه أخرى بين التقاليد المتبعة لديهم. فقد زار كورو نانك أثناء رحلاته عدة زوايا ومزارات في أماكن بعيدة، ويروي أنه مكث لفترة في زاوية الشيخ إبراهيم، ابن حفيد البابا فريد، في بلدة باك بتن (مديرية ساهيوال في باكستان حالياً) وتسلم منه خرقة (كساء خاصة بالصوفية) مازالت محفوظة في معبد تشولا صاحب (Chola Sahib). وفي بعض المراجع القديمة نعثر أيضاً على محادثات بين المتصوفين حول موضوعات التوحيد والتجارب الروحية. ويقال أيضاً أن الآيات القرآنية منقوشة بخط

بديع على الخرقة المحفوظة في معبد تشولا صاحب وهكذا يروى أن كورو نانك استلم أثناء زياراته لزاوية الشيخ إبراهيم مجموعة من الأبيات التي فرضها البابا فريد باللغة البنجابية، ولقد أدرج كورو أرجان ديف **(Arjun Dev)** (١٥٨٣ ـ ١٦٠٦) تلك الأبيات في كتاب السيخ المقدس: جرانت صاحب **(Granth Sahib)**.

ويعتقد عامة السيخ ومؤرخو الديانة السيخية أيضاً بأن كورو نانك زار مكة المكرمة، وقضى وقتاً من حياته دخل أسوار حرم الكعبة الشريفة الأمر الذي يثبته ما عرف عن مشايخ الجشتية أنهم لم يمنحوا خرقة الخلافة لغير المسلمين أبداً. ومن الأدلة المقنعة التي يمكن الاستناد إليها لإثبات أن كورو نانك كان مؤمناً بالتعاليم الإسلامية أن أسوار حرم الكعبة الشريفة استمرت محظورة الدخول لغير المسلمين طوال العصور مهما تكن مكانتهم الروحية أو الدنيوية، وهكذا فلا مجال للاعتقاد بأن كورو نانك تنكر أو تظاهر بالإسلام لذلك الغرض. ويروي بعض المؤرخين أن جورو نانك اعتزم على زيارة مكة المكرمة بعد أن تحدث إلى عدد من الكهنة الهنادك. فأحرم مثل الحجاج المسلمين، ورفع عصاه، وأخذ معه سبحة وسجادة وجرة، وأذن أذان المسلمين.

الواقع أن كورو نانك أعطى العقيدة طابعاً كونياً، ودعا البشرية لنبذ الخلافات والمناوشات الركيكة، وحث على التخلص من حصار الطقوس. إنه أرشد إلى القيم الإنسانية وحب البشر والعقيدة الصادقة وعلم التصوف والمعرفة الروحانية، والمجموعة المأثورة جب جي **(Jap Ji)** من أوراده وأدعيته، عبارة عن عرض بليغ ومحكم رغم كونها صغيرة الحجم، وأنها تتحلى بملاحظات أنيقة تنور الروح والدماغ.

هناك ثلاث نقاط هامة تبرز أوجه التوافق الكامل بين الديانة

السيخية والتعليمات الإسلامية. تتعكس أولاها في عقيدة التوحيد وبيان الذات والصفات الإلهية. ففي وصف الإله يقول كورو نانك أنه الواحد، الباطن، الحق، القدوس، وهو الفاعل الحقيقي والخالق والحفيظ، لا يخشى أحداً ولا يتغير. إنه أزلي موجود بذاته، حتى لا يموت، وبنفس مصدر للنور والوجود. وصفاء الروح هدف لا يمكن إحقاقه بالغسل **(Snan)** أو الصمت **(Maun)** أو برفض الطعام **(Barat)** أو الحكمة **(Darshan)**، بل المفروض ـ للتوصل إلى المعرفة الإلهية ـ أن يستسلم المرء لمرضياته، الأمر الذي يعرف في مصطلح الصوفية بالتسليم والرضا. وجب جي **Jap Ji** أي كتاب الأوراد هو أفضل دليل روحي ذات رتبة فائقة، والآداب الصوفية تثبت وتصدق معظم هذه الأعمال والأوراد.

وثانياً فإن الديانة السيخية تؤمن بالمساواة والعدالة الاجتماعية، وليس هناك ما يمكن تعريفه بالتقسيمات الطبقية. وكالنتيجة لذلك فإن هذه الديانة تقف ضد النظام البراهمي الذي وزع المجتمع الهندي بين طبقات، وتسبب بالتالي في خلق طبقة كبيرة من المستضعفين والمحرومين والمضطهدين في شبه القارة الهندية. بدأت الديانة السيخية للاحتجاج ضد سيطرة البراهمة وقهرهم، إن طقوس السيخية كلها تدور حول وحدانية الله وفي بداية الأمر لم تكن توجد فيها مطامح سياسية، والسيخ نبذوا التقييدات الدينية التي ابتدعت من قبل زعماء الديانات الهندية ورفضوا الخضوع لها.

وثالثاً فإن الديانة السيخية أبعد ما تكون عن الوثنية، ولا مكانة فيها للطقوس الظاهرية.

لقد جاء في **Janam Sakhis**:

«عندما زار كورو نانك سريلانكا، سأله الملك السريلانكي

(وكانت ديانته بوذية) مراراً وتكراراً أنه برهمي أو كاثري؟ أجاب عليه كورو نانك بأسلوبه الحكيم: لقد حل المرشد البار هذه العقدة العويصة بأن كل مرة يصب اهتمامه على ذات واحد، تكون روحه مصونة من الشرود في متاهات الضلال، وفي نهاية الأمر إنه ينال ربه»[٤].

والسير جوكول تشاند نارنغ (Sir G. C. Narang) تعرض لنفس الموضوع فذهب إلى حد أن قال:

«يمكن الاعتراف في أول وهلة بأن الديانة المسيحية في ظهورها مدينة للإسلام. والحقيقة أنه لو لم يكن الإسلام قد تعدى حدود الهند، لما وجدت ثمة الديانة السيخية، على الأقل في شكلها الحالي»[٥].

والكتاب السيخي المقدس ـ كورو جرانت صاحب ـ هو الآخر مثال حي لما تتميز به الثقافة الهندية من التعددية والتزاوج. فإنه يتضمن مأثورات المرشدين السبع بجانب أبيات ١٦ آخرين من الصوفية والزهاد بمن فيهم الشيخ فريد والأسقف كبير وسرى رافيداس (Ravidas) ونام ديف (Namdev) وغيرهم. وهناك ١٣٤٣ كلمة عربية وفارسية بأصوات مغايرة عن الكلمات الأصلية (السبب في ذلك يعود إلى أن الخط الجورموكي (Gurmukhi) (لا يتضمن جميع حروف الهجاء المستعملة باللغتين المذكورتين) وبالنظر في عدد من الأمثلة يتبين مدى تزاوج اللغة التي استعملت في «كورو جرانت صاحب» والأعداد المذكورة في العمود الرابع من الخريطة أدناه تدل على أنه كم مرة وردت الكلمة في الكتاب المقدس. إلا أننا اخترنا فقط الكلمات التي تسلط الأضواء على مدى التفاهم اللغوي ـ الثقافي.

الكلمة العربية/ الفارسية بالطريق ذي ورد في الكتاب السيخي المقدس	التلفظ الأصلي للكلمة باللغة العربية أو الفارسية	معنى الكلمة	كم مرة أتت الكلمة في جرنت المقدس	رقم الصفحة
ADAM	آدم	أب البشرية	١	١١٦١
ABDAL	أبدال	الدرويش بمكانة روحية عالية	١	١٣٨٠
ALLAH	الله	الإله	٢٢	
AUL AULIYE	أولياء	الأسقف	٣	
BABA ADAM	بابا آدم	أب البشرية	١	
BAKRID	بقرعيد	العيد الإسلامي الذي يحتفل به في العاشر من شهر ذي الحجة		
BHIST BHISTE BISTO	بهشت	الجنة	١٠	
BENAWAJA	بينماز	تارك الصلوة	١	
PURSALAT	بل صراط	صراط فوق الجحيم	٢	
PAIKA BAR PAIKAMBAR PAIMBAR PAI KAMAR	بيغمبر	الرسول	٦	
TASBI	تسبيح/ سبحة	التسبيح	٣	١٠٨٤، ٩٥١، ١٤٠
HAJI	حاجي	الحاج إلى مكة	٢	١٠٦٤، ١٠٣٦
HAJIR NAJIR	حاضر ناظر	موجود في كل مكان	١	١٠٠٠
HAJ	حج	الحج إلى مكة	٧	١١٣٥، ٨٨٥
HADISA	حديث	أقوال النبي (ع) وأعماله	١	١٠٨٤
HAK	حق	الحق	٥	٩٥٦، ١٤٠، إلخ

	١١	الخالق	خالق	KAHLAK
	٢٣	الله	خدا	KHUDAI
	١٠	الزاهد	درويش	DARWES DARWESAN DARWESAWI
	١٥	الجحيم	دوزخ	DOJAK،DOJ
	٢	الرحمن	رحمن	RAHMAN
	٣	الرحيم	رحيم	RAHIM
	١	الرسول	رسول	RASULEY
	١	شهر الصيام	رمضان	RAMJANA RAMADAN
	٥	الصوم	روزه	ROJA
	٩	الزكوة (ضريبة) الثروة المفروضة على المسلمين	زكاة	JAGATEY JAGATI JAGATIYA
	٣	المتدرب الروحي	سالك	SALIK
	٤	المنزه	سبحان	SOHAN SUBHAN
٨٤	١	السجدة	سجده	SAJDA
	١٢	التحيات	سلام	SALAM
	٢	الأغاني الصوفية	سماع	SAMAI
	٢	الشريعة الإسلامية	شرع	SARA
	٣	القانون الإسلامي	شريعت	SARIAT
	٢١	المرشد	شيخ	SEKH
	١	الذي ينتمي إلى الطريقة الجشتية الصابرية	صابري	SABRI
	٦	الخيرات والصدقات	صدقة	SADKA SADKE
	١	جمع الصوفي	صوفيه	SOPHIA
	٢	طريق المعرفة	طريقت	TARIKAT

ARSHU	عرش	العرش	١	
AJRAIL	عزرائيل	ملك الموت	٥	
ID	عيد	عيد المسلمين عند انتهاء شهر الصيام	١	
GARIBNAWA.	غريب نواز	المتصدق على الفقراء	٦	
PHARISTA	فرشته	الملك ـ الملاك	٣	
PHARID	فريد	الشيخ فريد	١	
PHAKRU	فقر	الفقر، الزهد	٢	
PHAKIR PHAKIRAN	فقير	الزاهد	٨	
KADIR	قادر	القدير	٦	
KADURI	قدوري	كتاب في الفقه الإسلامي	١	
KALANDAR	قلندر	درويش حر	٢	
KARIM	كريم	الكريم	٩	
KALMA	كلمة	كلمة الشهادة	٤	
KADURI	كندوري	أطعمة نذر عامة	١	
MARIDA	مريد	المريد/ التلميد	١	
MAHJID MASEET	مسجد	المسجد	٦	
MUSLIM MUSALMAN MUSALMANI	مسلم، مسلمان مسلماني	المسلم	١٣	
MASA'IK	مشائخ	جمع الشيخ	٨	
MUSALLA	مصلى	سجادة الصلاة	٥	
MARPHARAT	معرفة	المعرفة	١	
MAKKA	مكة	مكة المكرمة	٢	
MALKULMAUT	ملك الموت	ملك الموت	١	
MUSA	موسى	اسم النبي	١	

MOLANA	مولانا	لقب العلماء	٢	
NAWAJ	نماز	الصلواة	١٢	
NIYAMAT	نعمة	النعمة	١	
UJU	وضو	الوضوء	٢	
WODIJOHA	وظيفة	الكلمات المقدسة التي تكرر باستمرار	٦	

وبما أن ثقافة منطقة مأهولة بتجمع بشري تنبعث من الفكرة والمثالية في الكون وتنعكس في لغتها وآدابها، فإننا نجد أقوال كورو نانك تعطينا فكرة جلية عن الروحانية التي تتوافق مع تعاليم وممارسات الصوفية المسلمين توافقاً كبيراً وهكذا فإن مجموعة الأدعية والأوراد باللغة البنجابية (JAPJI) والكتاب المقدس (GARANTH) هي خير أمثلة للتفاهم بين الديانات، والتفاعل بين الثقافات المتقاطعة، وبذا فإنها تخلق فكرة كونية للتسامح الديني. ولا يُنكر إذا قلنا أن الصوفي العظيم والمبروك والذي ندعوه بـ كورو نانك، قد وضع أساساً لعقيدة دينية موسعة خالية من شوائب العصبية.

المـراجـع

١ - ميكنكون، الحركات الدينية العصرية في الهند (Modern Religious Movements) ١٩٢٤، الصفحة: ٣٣٦.

٢ - Var Bhai Gurdas – Pehli – Pauri الصفحة: ٣٢.

٣ - ليبيل أيش. جريفين، «رنجيت سينغ» Ranjit Singh حيدر آباد، ١٩٢٤، الصفحة: ١٥ (الطبعة الأولى، مطبعة كلاريندون - أكسفورد ١٩٠٥).

٤- Bhai Vir Singh (ed) Puratan janam Sakhi، Khalsa Samachar، Amritsar.مايو ١٩٥٢م، الصفحة:٨٧

٥ - جوكول تشاند نارنغ، Transformation OF Sikhisn مجمع الكتب الهندي الجديد، دلهي. (الطبعة الخامسة) ١٩٦٠م، الصفحة: ٢٤٩، (طبع للمرة الأولى عام ١٩١٢م).

أسد البنجاب المهراج رنجيت سينغ

بقلم: ك. ك. كوللر

تعريب: اشفاق الرحمن

يعتبر الربع الأول من القرن التاسع عشر فترة ذهبية حقيقية لولاية البنجاب في كثير من الأمور وذلك بفضل المهراج رنجيت سينغ الذي كان وحيد زمانه في المؤهلات الإستراتيجية والإدارية.



ولد المهراج رنجيت سينغ في الثاني من نوفمبر عام ١٧٨٠م في مدينة «غوجران والا» الواقعة في باكستان اليوم وقد عرف من دراسة التاريخ أنه اشترك لأول مرة في الحرب وهو ابن سبعة أعوام وفي الثاني عشر من عمره كان قد استولى على قلعة ثم توغل في داخل القلعة التاريخية بلاهور كفاتح عظيم عام ١٧٩٩م وذلك مما كانت بداية إنشاء مملكة ولاية البنجاب بعد إدماج العديد من الإمارات المختلفة الصغيرة حيث كانت هذه المنطقة من شبه القارة مفتخرة بانعزالها عن السلطات البريطانية.

وقال الدكتور «رادا كرشانن» إن المهراج رنجيت سينغ رغم العوائق

الهائلة فاز بإنشاء حكومة قوية لحماسته الذاتية والعادلة بعد توحيد العناصر المختلفة والمتضادة وفي هذا الوقت الراهن إذ نحن في أشد الحاجة إلى الوحدة القومية ولابد لنا أن نتبنى تلك المواقف التي مارسها هذا القائد الدؤوب والتي أثار بفضلها روح الانسجام في نفوس الناس بينما كانوا مرتبطين في حبال الرسوم والتقاليد، إن في حياته مثالاً لجيلنا بالنسبة للانتباهات الذهنية والاضطرابات الفكرية.

القائد العظيم:

إن المهراج كان متواضعاً وواقعياً وأنه لم يسم حكومته بإسمه أو بإسم قبيلته وإنما سماها بإسم «الدولة المشتركة» ولم يجلس أبداً على العرش إلا على الكرسي العادي وذلك متربعاً وكثيراً ما يجلس على الحصير والمجالسون يقومون حوله متحلقين ويخاطبونه بكلمة «سركار» وإن كان الآخرون من الملوك قد لقبوه بـ «مهاراجا» أي الملك الأعلى وأنه قد قبله كرهاً وكان لديه احترام فائق لكافة المذاهب والأديان.

الطفولة:

لقد كان المهراج وحيد أبيه «مهاسينغ» الذي مضى قائداً في «سكيرجاكيا سل» وأمه من بنات زعيم منطقة «جيد» (كاجيت سينغ) وتزوج عام ١٧٩٦م مع الآنسة «ماهتاب كور» وهي بنت سيد (لاهنابل) السيد «كوربخش سينغ» وفوجئ المهراج بوفاة أبيه إذا كان في الثالثة عشر من عمره فبقي في كفالة الأم فحسب.

بطولته المبكرة:

وقد يقال إن المهراج فتح معركة أولى في السابعة من عمره وفي الثانية عشر من العمر تغلب على قلعة مجاورة لولاية كجرات وكان هناك عدو لأسرته «حشمت خان » فقطع رأسه أثناء رجوعه من الصيد وعرضه على الأصدقاء وذلك أنه ذات يوم كان في الصيد مع أصدقائه فإذ هجم عليه حشمت بالسيف المسلول ولكن المهراج قطع رأسه ورفعه على نصل رمحه كعلامة للنصر ملّوحاً به أمام أصدقائه.

إنجازات عسكرية:

وفي السادسة عشرة من عمره قام مع أمه التي كانت تُساهم معه في النشاطات العسكرية باجتياح شعب «رام كفر» الذي ساهم في الهجوم على «بتالا» حيث قتل زوج «ساداكور» وبعد ذلك إذ كان في التاسعة عشر فتح ولاية «لاوار».

وبعد إتمام هذه الإنجازات تبوأ على العرش بصفته «راجا» وأول ما خطا إليه عقب ذلك هو توحيد سائر ولايات السيخ وسرعان ما حصل له هذا الهدف ثم استولى على عديد من الولايات.

مجالات الفتح:

وقد سلك المهراج عقب ذلك في طريقه إلى دول المسلمين وعلى رأسها «ملتان» «جانك» «قصور» ماكيرا حيث لم تقابله إحدى منها سوى الأفغانيين من ملتان وعلى الرغم من ذلك تم استيلاؤه على ملتان أيضاً عام ١٨١٨م ثم فتح بالتالي ولاية كشمير واستمر كذلك حتى أعلن بحكومته عام ١٩٢٠م على

الأراضي الواسعة التي تضمنت مناطق من بين الستلج والسند بالإضافة إلى ولاية البنجاب وكشمير حتى إلى حدود (تبت) وتغلب بعد ثلاثة أعوام على مقاطعة بشاور إضافة إلى سائر المناطق من وراء بحر السند.

الشؤون الخارجية:

لقد أراد المهراج رنجيت سينغ من خلال محطاته أن يتغلب على الولايات التسلاجية كافة ولكنه انسحب من هذه الإرادة لما رأى الهند مصفدة بيد السلطات الإنجليزية ثم مدّ يد الصداقة إلى الحكومة البريطانية التي قبلتها وكذلك الملك الفرنسي الذي أبدى رغبته لهذه الصداقة وتوثيقاً لها قدم له الملك البريطاني أنواعاً من الهدايا كما كان الملكان من «بنما» و«نيبال» متمنيين دائماً بعواطفه النبيلة حيث كان «نظام حيدر آباد» ومعه نواب رامبور يتنافسان في اكتساب ودّه أيضاً.

شخصية عبقرية:

لقد كتب المؤرخون الإنجليز أن المهراج كان أُمّياً لا يعرف الكتابة ولا الدراسة حيث أخبر المشاهدون بأنه كان عارفاً بلغات شتى من بينها البنجابية والهندية والفارسية وأما اللغة الإردية والملتانية كانتا من لغاته المفضلة وكثير من ألفاظ اللغة الكشميرية والسندية كانت تلعب على لسانه. وما استلزمه المهراج لمدارس البنجاب من المواد هي الزراعة و التجارة وتم توقيعه على مبالغ كبيرة بالنسبة لتمويل ترجمة الكتب الدينية و«لوكتا» الأغاني الشعبية وشجع الناس على اكتساب اللغة الانجليزية حتى قام بإقامة مدارس بهذه المناسبة ولو كانت اللغة الإدارية فارسية ولكن المباحثات تجري باللغة البنجابية. يروي السيد محمد لطيف

الذي أصدر كتابه تاريخ البنجاب من كالكاتا. أن المهراج كان لديه احترام فائق للعلم والعلماء ولم يزل السكرتير يصحبه كي يتسنى له سماع الأوراق وفهمها بمساعدته باللغات الفارسية والبنجابية والهندية وإن كان يهتم خاصة بأن تكتب أحكامه على صورة صحيحة وفقاً لتطلعاته الإصلاحية والفكرية وكان في مستوى المعيشة خلاباً وفي دماثة الأخلاق مرضياً وفي لهجة الكلام ليناً كما كان وجهه متألقاً بالنعومة والبشاشة.

وفي عام ١٨٣١م لما سأل الحاكم البريطاني «لارد وليام» من وزير خارجية المهراج فقير عز الدين عن عمى المهراج بأنه بأية عين أعمى فشق هذا السؤال على الوزير المتباهي بملكه وأجاب أن المهراج له العين الواحدة فقط كمثل الشمس ولو كانت العينان كلتا هما كذلك لاحترقت الدنيا وأنا لم أتجرأ قط على رؤيته كما لا يقدر الرجل أن يرنو إلى الشمس إنما نظري دائماً يقع تحت أقدامه المباركة لو أردتم أن تسألوا عن أقدامه فأنا حاضر، فتأثر وليام من هذا الجواب تأثراً حتى أنعم عليه بساعته الذهبية وأعرب عن ارتياحه قائلاً ما دام الوفى كمثلك يتربى في خدمة المهراج لن يتجرأ أحد أن ينظر إلى حكومته.

رجل حريص على المذهب:

إن المهراج كان معتاداً بأن يُصبح كل يوم راكعاً في العبادة ويذكر الله على عناياته وفضله ويسمع كتباً مقدسة دينية وكان يتلذذ بالموسيقى كما يسكن إلى الأغاني المذهبية وقبل أن يخرج إلى أي من مهمات السفر يستشير متفائلاً من المرشدين ويعقد المجلس للأغاني المشتركة ويشد الرحال بعد كل انتصار إلى المعبد الذهبي في «امرتسار» حيث يتبرع مبلغاً طائلاً لتزيين المعبد بأضواء المصابيح ويصطحب الكتب

المقدسة إلى ميدان الحرب وكل صباح يتلوها عند ميدان الفروسية وينتخب المغنين باحتياط دقيق وتشجيعاً لهم يعقد المسابقة الموسيقية ويمنح كل فريق منهم مصحفين مقدسين إضافة إلى العلم الأصفر. واستلزم أن يكون مع كل من كتل الجيوش مرشد يتلو عليها المصاحف المقدسة.

إن المهراج كان لديه احترام خاص للمرشد العاشر الذي حفظ «رسم كرانت» وقد أعلن مرة بأن الرجل الذي تشرف بزيارة كروو «مهراج» سيتبوأ عندنا على درجة فائقة فلم يحضر أحد إلا فلاح بالغ من عمره مائة وست وعشرين فأخبر عن ذلك المرشد الكامل الذي زاره في طفولته فقام المهراج وقبّل أقدامه ثم ودَّعه بالأعيان والأطيان.

الحكومة الخالصة:

لقد سمى المهراج حكومته بالخالصة وعملته «نانك شاهي» وسلامه الرسمي «واه كورو جي كي فتح» يعني الفتح للمرشد الكامل وحفرت على طوابعه كلمة «أكالي سهاي رنجيت» وكان يفتخر بقوله بأنه من أنفاس المرشد الكامل «كورو غوبند سينغ» حيث يستهدف بهذا الاعتقاد إعلاء الحكومة الخالصة ويقصد كل سنة بمناسبة العيد الخاص إلى «آناند فور» حيث يتشرف بقيامه على ذلك المقام الذي كان وضع قد ألقى منه المرشد الكامل توجيهاته القيمة إلى المتبعين والذي وضع فيه حجر الأساس للدولة المشتركة للسيخ وجدير بالذكر أن المهراج قد أنفق الملايين من الروبيات بالنسبة لزينة المعبد الذهبي وتبرع لهذا المعبد بذلك العرش الذهبي الذي أهداه إليه نظام حيدر آباد لما أنه يؤمن بأن مجلسه هو أدنى من مجالس المرشدين وينصح الفلاحين أن يدعوه بالأخ لا بالملك لأنه ينتمي إلى جيل «جات».

احترام الأديان:

إن المهراج رنجيت سينغ كان يبجّل سائر الأديان الأخرى ويتبرع من غاية القلب لكل من المباني الهندوسية المقدسة بما فيها «هردوار» «كوركاشيتر» جوالا مكن «نادير» ويتمنى بأن يقوم بزيارته لمعبد «جان جاك ناث جي» وبعض من مجالسيه قد خلقوا العوائق دون ما أبداه من أمنيته الرامية إلى تقديم ألماس «كوه نور» لمعبد «جاك ناث جي».

وكان المهراج يأمر بمعاقبة كل من يذبح البقر وإنه ضغط على الشاه شجاع بأن يرجع ذلك الباب الذي حمله محمود الغزنوي من معبد «سومنات»، وخيّر سائر أزواجه في أمور المذاهب بمن فيهن الهندوسية والمسلمة (راجبوت).

والجدير بالذكر أن المهراج كان قد فوض أهم المسؤوليات التابعة للحكومة إلى الهنود المؤهلين ومن خلال هذا الاهتمام كان «مصر بيلي رام» رشح وزيراً للمالية وكذلك «ديوان بوان داس» «ديوان جانج رام» «ديوان دينا ناث» كل هؤلاء قد تمكنوا لديه وحصلوا على درجات فائقة وديوان سوان مال وديوان موتى رام كانوا من ضباط الولاية الذين لهم حنكة مرموقة في شؤون النظم الحكومي. والذين كان لهم إسهام فعال في توسيع حكومته هم «ديوان موكشان جاد» «ديوان رام ديال» «مصر ديوان جاد» وأما موكشان قد بلغ من مؤهلاته العسكرية الإستراتيجية.

وما يحكى عن خطاط مسلم من الحكاية المختصة بكتابة القرآن الكريم وإهدائه على الأمراء المسلمين فهو من أمثلة لامعة بالنسبة لتسامح المهراج وذلك أن خطاطاً كان له ما لا يقل عن عشرة آلاف روبية على أحد من الحكام المسلمين ولكنه رفض دفعها إليه فلم سمع المهراج قام من

الكرسي وقبّل القرآن الكريم وأمر وزير المالية بأن تدفع المبالغ المطلوبة إلى الخطاط فتعجب وزير الخارجية الموجود حينذاك في المجلس وسأله معرباً عن استغرابه لماذا تمنح هذا المبلغ الضخم وراء كتاب ليست بينه وبين مذهبك علاقة فتلمعت عين المهراج وأجاب أن الله تعالى قد خلقني لأن أنظر سائر الأديان بنظر واحد وربما لذلك لم يعطني إلا عيناً واحدة. وما كان يقوم به المهراج اتجاه الشعب المسلم من دماثة الأخلاق والتسامح العالي فهو مما يذهل عنه السامع وأنه قد أعتقد في بداية الفتوحات بأن أمنيته الرامية إلى تأسيس حكومة مستقلة لن تتحقق إلا إذا رضي عنه المسلمون وذلك لأن المنطقة التي هي تحت سلطته كان معظم سكانها من المسلمين كما أن المسلمين كانوا أشد إسهاماً من السيخ والهندوس بخصوص الاستيلاء على قلعة لاهور وإخراج «زمان شاه» من مقاطعة البنجاب وإن المهراج كان أشد اعتماداً على الفلاحين المسلمين الذين اتفقوا معه بعد خوض التجارب المريرة مع نظرائهم الآخرين فاحتراماً لعواطفهم المتدفقة أعطى المهراج لهم مكانة عالية خلال مجتمع البنجاب وحكومته وكان يحتفل بأعياد المسلمين بكل الفرح والابتهاج كما بأعياد الهندوس.

وبما أن اللغة الفارسية قد استخدمت آنذاك كلغةٍ الإدارية فقد اكتسب المهراج هذه اللغة وتعلم التحادث باللغة للإدارة كذلك وردعاً للتعصب الديني فقد تزوج من النساء المسلمات.

لقد كان المهراج يغدق الهدايا على العلماء المسلمين ويحضر في خدمة الفقراء والدراويش واهتم بترجمة «رامايانا» و«بهاكيت جيتا» إلى اللغة الفارسية كما ساعد على نقل القرآن الكريم إلى اللغات الأخرى بالإضافة إلى إصلاح المباني القديمة المتروكة والمنتزهات المغولية وأول ما

فعله عقب السيطرة على لاهور هو اهتمامه بالزيارة للمسجد الفخم الذي تم تشييده على يد أورنغ زيب وقابل الزهاد المسلمين من بشاور بحسن العقيدة والترحاب وأعاد إليهم سائر المحاريب المحتلّة ولما خرج في شوارع لاهور فاتحاً في المسيرة المنتصرة أمر حكامه السيخ بأن لا تنتهك حرمات مساجد المسلمين ولا حرمة أماء الله من النسوة المسلمات ولا تداس الحقول فنظراً لهذه الشيم الجميلة وضعه العلماء المسلمون محل التقدير والاحترام ودعوا له خيراً فلم يكن من المستبعد بعد هذه الصفات إن كان الزعماء المسلمون قد حملوا لواء المهراج خارجاً من حدود البنجاب.

الفنون والثقافة:

وقد يذكر أن المهراج قد منع الشعراء والفنانين مكانة العزة والاحترام كمثل محمد بخش وشاه محمد كما يقال أن الشاعر المعروف البنجابي فاضل شاه قام على طلب المهراج بإعداد المسرحية المعروفة «سوهني مهوال» وكذلك اهتم المهراج بترجمة «شيرين فرهاد» و«ليلى مجنون» إلى اللغة البنجابية حتى ذكر شاه حسين اللاهوري أن المسرحية «سوهني مهوال» قد نقلت إلى أكثر من خمسين لغة. وأقام المراكز بالنسبة للخط الإردو وقام بتحويل العديد من القرى للمدرسة الفارسية بلاهور واهتم من جديد بكتابة القصص البنجابية بما فيه «هيرا رانجها» سسي بنون» مرزا صاحبان «سهني مراد» ومنح الشاعر المسلم هاشم كثيراً من الأراضي والممتلكات.

وفي آخر مرحلة من حكومته شجّع الناس على التعليم الإنجليزي والفرنسي حيث طالب البعثات الأجنبية بلاهور بإنشاء معهد إنجليزي إلا أنه لم يسمح للناس باعتناق الدين المسيحي ولا بإقحام الإنجيل ضمن

تعليمات المدارس وفي عام ١٨٣٧م اكتسب الراجا هير سينغ اللغة الإنجليزية وتبحر فيها في الثامن عشر من عمره تبحرا حتى همّ المهراج بإرساله إلى انجلترا ليتزوج بامرأة إفرنجية وشغفاً بهذه اللغة بعث المهراج بعض الشبان السيخ إلى مقاطعة «لوديانا» للحصول على التعليمات الإنجليزية وقد أقام رام سينغ مركز الطباعة بلاهور بعد تدرب كامل وبهذا الصدد سمح المهراج لطبيب إفرنجي بفتح مستشفى إنجليزي بلاهور.

تقدم سريع قبل الرجاء:

لقد كان المهراج يدفع من دخل الحكومة ٤١٪ إلى شؤون الدفاع وبالرغم من سيطرته الكاملة على الأراضي الشاسعة فلم يؤسس مملكة وإنما حكمهم باسم الحكومة الخالصة التي أسست على أيدي الشعوب ولصلاحها وأعلن بمناسبة الحفل الأول الذي حضر فيه سينغ بيدي بأنه يحكم من قبل المواطنين وتسمى حكومته بالخالصة وتأكد هذا الإعلان بحفره على العملة اسم الخالصة ولم توجد عليها صورة المهراج وذلك يعني أن ملكهم ليس على غيرهم وإنما هم على أنفسهم.

وقد قام المهراج بالقضاء على المرتزقة ورجال العصابات خلال فترة الحكومة من أربعين عاماً وهما قوات الجنود الأجانب الذين كانوا يتوغلون كل سنة في البلاد أيام الشتاء ويقومون بالقتل والنهب وقضى على رجال الإقطاع والاستعباد وذلك مما يعجز عنه الملوك في الزمن الراهن وفي زمنه كانت الأرض في الحقيقة ملكاً لرجل يحرث فيها ولم يعرف «حكم الإعدام» كما لم يحدث في زمنه ما كان يتعلق بالاضطرابات الطائفية أو اللغوية أو العرقية ولم يكن إكراه في شؤون الأديان والمذاهب انعدم القتل والاغتيال ولا يرفع أحد صوتاً على المارين من

النساء أو الرجال وهذه هي الحمية الدينية التي غرست في داخل المهراج رحمة مألوفة حتى على الدواب والأعداء الفاشلين وأنه ذات مرة حكم بالعقاب الشديد على جنرال لما كان مرتكباً بقتل طائر. ولم يكن أحد أن يتجرأ في دوره على ضرر أدنى طائر من العصفور أو الببغاء أو غيرها من الطيور في طول البلاد ومنع ذبح البقر وكثيراً ما يشارك في مأدبة الطعام مع الفقراء والمساكين وبوصفه متبعاً صادقاً لديانة السيخ يعيش عيشة متواضعة وذلك تمسكاً بتوجيهات المرشدين وما قرب أبداً إلى التدخين والتبغ ودائماً كان متزوداً بالمشط والحلقة والسلاح المذهبي ومارس الزيجات كلها وفق ديانة السيخ سوى السيدة «مهران» المسلمة.

إصلاح النظام والتنسيق:

لقد قام المهراج بإلغاء نظام تباع تحته الوظائف الرسمية في زمن سابق وأنه كان بحساسيته يدرك المؤهلات أينما وجدت وعند التوظيف بالنسبة للمهن الحكومية يلاحظ بوجه الدقة بأن المؤهل لا يحرم من حقه الشرعي وعلى ذلك لا تتلف الحقوق في أية الوظائف من الأعلى إلى الأسفل تحت النظام المؤسس على يد المهراج.

ومن أعظم صنائع المهراج هي ما اعتبرت الزراعة ملكاً لصاحبها فكان الخراج يحصل من صاحب الأرض بدون أي واسطة ولا وكيل وكان من أفخم النعم على الفلاحين لما أنهم ملكوا الآبار إلا أن الرأسماليين الغائبين أو غير المباشرين بالزراعة ليس لهم حق على الآبار. وكان المهراج قد أعلن بأنه يحفر اسم المالك على البئر بثبوت الملك ولا يستحق أحد أن يؤسس بئراً جديداً سوى الفلاح المباشر. ويسقط الخراج خلال أيام الجفاف أو المجاعة ويوفر الحبوب للناس مجاناً ويوزع الكيل.

ومن الملاحظ أن المهراج كان يراعى أن لا يهلك الحرث أيام الحرب أثناء مرور الجيوش كما أخبر أحد من المشاهدين بأن المهراج كان يوجه جل عنايته إلى الحفاظ على الحقول ويقال أنه كان من أملك القواد على جنوده حيث شهد التاريخ بأنه لما رجع خوشحال سينغ من ولاية كشمير مع مبالغ طائلة أيام الجدب فصدَّ عنه المهراج وأعرب عن غضبه الشديد على خوشحال سينغ على رؤوس الأشهاد ثم ساق آلافاً من البغال الحاملة غرائر القمح إلى كشمير واهتم بتوزيعه في المساجد والمعابد والخانات وغيرها في أماكن الجماهير.

وهو أول من أسس مطبعة بالنسبة للبنجاب وقد تم تأسيسها بمقر أمراتسر على حكم المهراج كما أُقيم أول مصنع للبنادق ولوازمها على حكمه تحت رعاية «مهتا سينغ» في لاهور وكان المهراج أول رجل تيقظ إحساسه بأن الأسلحة التقليدية غير كافية للانتصار فأمر بإقامة مؤسسة الأسلحة الحديثة كما سبق المهراج أن شغل أول سفينة بخارية وكذلك عمّ في زمنه بيع الثيران. ومن يقدم أي اقتراح إصلاحي عن المزارعة يمنح الجوائز والتشجيعات.

وقد وجّه المهراج رسالة إلى السردار مهتا سينغ تضمنت بعض التوجيهات التي ترشد إلى اهتمام ازدهار شعب المناطق المفتوحة وتعمير بيوت الفلاحين والتيسير في أخذ الخراج.

ومما لا شك فيه أن المهراج لو طال عمره للعب دوراً رائداً في التقدم الصناعي في البنجاب وشاء القدر أن انتقل إلى دار البقاء في تاريخ ١٨٣٩/٦/٢٧م عن عمر يناهز ثمانية وخمسين سنة وسبعة أشهر.

التاريخ السياسي للسيخ

د. خليل عبد الحميد عبد العال

من المهم في معالجة جانب التاريخ السياسي للسيخ أن نشير إلى جهود ومنجزات المعلمين التسعة الذين خلفوا (نانك) في حكم وقيادة الجماعة الجديدة - السيخ. ذلك أن كل (كورو) أو معلم من هؤلاء التسعة أضاف شيئاً إلى العقيدة الجديدة وإلى الجماعة الجديدة. وكانت تلك الإضافات تبعد السيخ تدريجياً عن كل من الجماعتين الأخرتين في الهند - الهندوس والمسلمين. كما كانت تلك الإضافات تخلع على السيخ صفات وصلت بهم في النهاية إلى طبعهم بطابع الأمة أو الشعب.

ولقد كان من الطبيعي أن يصطدم مسار تكوين أمة السيخ الجديدة بالسلطة الحاكمة آنذاك بالهند وهي سلطة دولة المغول التي أسسها ظهير الدين بابر في عام ١٥٢٦ واستمرت حتى عام ١٨٥٧م عندما تمكنت بريطانيا من خلع آخر ملوكها ونفيه ثم ضمت الهند إلى مستعمراتها. غير أن الصدام المحتوم بين الجماعة الجديدة والسلطة الحاكمة لن يحدث إلا عندما تشعر الجماعة الجديدة بقوتها وأهميتها وتميزها واختلافها عن غيرها وعندما نرى السلطة الحاكمة في الجماعة الجديدة خطراً ينذر بالتمرد و الانفصال ومما تجدر الإشارة إليه هنا أن اتصال السيخ في بداية أمرهم بالسلطة المغولية كان اتصالاً يتميز بالود والتشجيع من السلطة. ويرى البعض أن هذا الود هذا التشجيع أسهما في نمو وتطور قوة السيخ وعقيدتهم وأفكارهم نظرة استنكار ثم معارضة على أساس أن تلك

الأفكار تمثل انسلاخاً عن حظيرة الهندوسية ومبادئها.

ويمكن تقسيم تاريخ السيخ فيما يتصل باشتباكهم المحتوم مع كل من السلطة المغولية والهندوس إلى فترتين بارزتين.

فترة أولى تمتد من عام ١٤٩٩ م عندما شرع (نانك) في الدعوة إلى أفكاره وتعاليمه وتستمر حتى وصول (غوبند سينج) إلى زعامة السيخ واختياره (كورو).

أما الفترة الثانية فتبدأ مع الكورو (غوبند سينج) وتستمر حتى سقوط مملكة السيخ المستقلة في البنجاب.

في الفترة الأولى كان كل من الهندوس والسلطة المغولية ينظران إلى السيخ باعتبارهم طائفة هندوسية في الأساس انحرفت - من وجهة النظر الهندوسية الدينية - عن التعاليم التقليدية للهندوسية، وإن كانت وجهة النظر هذه لا تعني شيئاً بالنسبة للحكام المغول. فالسيخ بالنسبة لهم كانوا طائفة هندوسية وكفى.

أما الفترة الثانية فهي الفترة التي نجح فيها (غوبند سينج) في وضع أساس أمة (الخالصة) السيخية. وفي هذه الفترة تحقق كل من الهندوس والمغول أن السيخ ليسوا طائفة هندوسية بل هم يمثلون كياناً منفصلاً ومستقلاً يناوئ كل منهما ومن ثم كان من الضروري مجابهة هذا الكيان الجديد الذي يمثل خطراً على العقيدة بالنسبة للهندوس وخطراً على أمن الدولة بالنسبة للمغول.

وفي ضوء هذا التحليل يجب فهم طبيعة الصراع والمجابهة بين السيخ من ناحية والمغول والهندوس من ناحية أخرى.

الكورو أنجاد (١٥٠٤ - ١٥٥٢ م):

أبدى (أنجاد) قبل اختياره (كورو) حماساً شديداً في خدمة العقيدة الجديدة. كذلك أسهم في جذب الكثيرين من أتباعه إليها. ويعزى إلى

هذين العاملين اختيار (نانك) له ليقود السيخ من بعده متخطياً بذلك أبناءه في خلافته وقد استمر (أنجاد) كورو ثلاث عشرة سنة (١٥٣٩ ـ ١٥٥٢) نجح في خلالها ـ لمهارته وتواضعه ـ في منع طائفة السيخ الجديدة من الانقسام على نفسها بعد موت (نانك) عندما اعترض (سرى تشاند) ابن (نانك) على خلافة (أنجاد) وبذلك النجاح وطد (أنجاد) من بناء العقيدة الجديدة.

وعندما ازداد أتباع العقيدة الجديدة ازدادت بالتالي التكاليف المطلوبة للإنفاق على ما سمي باسم (المطعم الحر) أو (المطبخ المفتوح) وهو تقليد جديد ابتدعه (نانك) وذلك لإتاحة الفرصة لكل السيخ من مختلف الطبقات الهندوسية بتناول الطعام معاً مؤكداً بهذا على روح المساواة والأخوة التي يجب أن يتحلى بها السيخ. وشرع (أنجاد) في افتتاح العديد من تلك المطاعم، كما أسس نظاماً دائماً لجمع العطايا والهدايا والهبات لتغطية تكاليف تلك المطاعم. كذلك قام بتزويد كل مركز من مراكز الطعام بنسخة من تراتيل وأناشيد (نانك). وقد كتبت تلك النسخ بخط لم يكن له حتى ذلك الوقت حروف هجاء محددة. وقد تمكن «أنجاد» من اختراع حروف هجاء جديدة أسماها (الجورمكية) Gurmukhi «أي التي نطق بها الكورو». وكان لتلك الخطوة آثار ونتائج بعيدة المدى. فإن ما فعله «أنجاد» أصبح بؤرة الكتابات المقدسة عند السيخ. إذ أسهم ما قام به (أنجاد) في إعطاء السيخ لغة مكتوبة تختلف عن اللغة المكتوبة لدى كل من الهندوس والمسلمين ومن ثم بدأ منذئذ ينمو لدى السيخ شعور بأنهم شعب يختلف عن غيرهم. ولقد كان « أنجاد » مهتماً باللياقة البدنية لأتباعه. فأمرهم بالإشتغال بالرياضة وألعاب المنافسات بعد صلاة الصبح. ومن ثم أقيم في كل مركز من مراكز السيخ حلبة مصارعة. وبذلك بدأ «أنجاد» تقليداً جديداً سهل لخلفائه جمع القوات المحاربة اللازمة من رجال أقوياء الأجسام من بين السيخ.

وكان لأنجاد ابنان. ولكن اختار لخلافته مثل سلفه «نانك» واحداً من أتباعه يبلغ من العمر ثلاثة وسبعين عاماً هو «عمرداس»[1].

الجورو عمر. داس (١٤٧٩ . ١٥٧٤)

كان «أمارادس» قبل أن يصبح «كورو» هندوسياً شديد الإيمان بعقيدته. كما اشتهر أيضاً باللطف والتقوى في معاملاته وسلوكه. وعندما اعتنق السيخية أصبح واعظاً ومبشراً ومعلماً نشطاً وناجحاً[2]. وقد أبدى - عندما أصبح جورو - حماساً شديداً في تكملة العمل الذي بدأه «نانك» وتابعه فيه من بعده «أنجاد». وفي عهده أصبح «اللانجار» أو «المطعم المفتوح» مؤسسة متصلة اتصالاً وثيقاً ولصيقاً بالعقيدة السيخية وذلك عندما قرر ألا يسمح لأحد بلقائه إلا بعدم أن يذهب إلى المطعم المفتوح ويشارك السيخ طعامهم[3]. وقد ازدادت أعداد السيخ بشكل كبير حتى أن مدينة «جواندوال **Goindwal**» - حيث عاش الكورو - قد أصبحت مدينة كبيرة بعد أن كانت مركزاً لا أهمية له.

وقد زارت الكورو في مركزه كثير من الشخصيات ولعل أهمها شخصية الإمبراطور المغولي (أكبر) الذي زاره وأبدى إعجابه الشديد بطريقة الحياة السيخية في (جواندوال). وعلى أثر تلك الزيارة أغدق الإمبراطور على الجدورو وأبناءه الهدايا والأموال. ومن ثم يرى بعض الدارسين أن تشجيع الحكام والأباطرة المغول - كما هو واضح من سلوك الإمبراطور أكبر - قد أدى إلى إعطائه دفعة جديدة للعقيدة السيخية وحركة (نانك)[4].

وشعر (عمرداس) بعدم قدرته وحده على القيام بالأعباء الكثيرة التي تتطلبها الأوضاع الجديدة التي نجمت عن دخول الآلاف في العقيدة الجديدة واحتياج تلك الآلاف إلى هداة ودعاة ووعاظ ومن ثم عمل على زيادة عدد نوابه إلى اثنين وعشرين نائباً كما عين أعواناً له كل منهم

يسمى (مسند ـ Masnad) له باع طويل في العقيدة ومبادئها وذلك لتنظيم شؤون العبادة وجمع العطايا. كذلك قام الكورو بجمع أقوال وتراتيل (نانك) وجورو (أنجاد). وأضاف إليها أقواله وتعاليم مفكرين هندوس آخرين من أتباع الحركة البهكتية ثم دّون كل ذلك بالبنجابية. ومن ثم كسبت تلك الكتابات شعبية كبيرة بين جماهير البنجابيين الذين كانوا يجهلون السنسكريتية الهندوسية والعربية الإسلامية[٥].

وقد نجح كورو (عمرداس) في إدخال كثير من «البدع» في محيط السيخ. ومهدت تلك البدع إلى كسر جسور انتساب السيخ إلى الهندوس بشكل كبير. فأقام طقوساً خاصة بالمواليد والوفيات تختلف عن طقوس الهندوس. كذلك أبطل تقليد عزلة المرأة ودافع عن الزواج بواحده وشجع الاتصالات بين الطبقات وزواج الأرامل من النساء كما منع بشدة ممارسة عادة (الساتي Sati) أو حرق النساء الأرامل بعد موت أزواجهن[٦].

وكان من الطبيعي أن تثير تلك الإجراءات من غضب البراهمة الهندوس الذين رأوا فيها تهديداً يقلل من عدد أتباعهم وكذلك من دخولهم. وبدأ هؤلاء البراهمة الهندوس في اضطهاد السيخ. وعندما شعروا بعجزهم عن تحقيق أهدافهم اتصلوا بالإمبراطور المغولي (أكبر) يوغرون صدره ضد الكورو السيخي. ولكن الإمبراطور المغولي رفض اتخاذ أي أجراء ضد الكورو. عندئذ قام البراهمة برشوة الموظفين المحليين للضغط على السيخ. وقد أدى ذلك إلى محاولة السيخ الدفاع عن أنفسهم برفع السلاح. ومن ثم كان أول صدام للسيخ بالهندوس[٧].

ولقد كانت السنوات الاثنان والعشرون التي قضاها كورو (عمرداس) في زعامة السيخ من أهم فترات تاريخهم وتاريخ عقيدتهم. وقد عاش هذا الجورو حتى بلغ الخامسة والتسعين. واختار لخلافته زوج ابنته (رام ـ داس).

كورو رام ـ داس (١٥٣٤ ـ ١٥٨١)

كان (رام ـ داس) ممثلاً للجورو السابق في بلاط الإمبراطور المغولي وذلك قبل أن يصبح (جورو). وقد أثبت هذا الكورو جدارته باختيار معلمه السابق له. وحظى (رام ـ داس) من الإمبراطور (أكبر) باحترام بالغ ومنح زوجته قطعة من الأرض بنى عليها (رام ـ داس) حوضاً للمياه. وعندما صار (كورو) انتقل من مدين (جواندوال) إلى قرب الحوض وبدأ في بناء مدينة صغيرة حوله. وقد قدر لتلك المدينة الجديدة التي سميت آنذاك باسم الجورو أن تكون العاصمة الدينية للسيخ فيما بعد. ودعا الكورو التجار ورجال الأعمال للقيام بنشاطهم في المدينة. وتمكن الكورو نتيجة لما تدفق من أموال بين يديه من توسيع مجال نشاطاته التبشيرية والوصول بها إلى أقصى مناطق الهند. ويعتبر (بهاي جوداس) الذي قضى بعض السنوات يبشر بالسيخية في (أجرا) ـ المدينة الإسلامية في عهد دولة المغول ـ من أبرز المبشرين والدعاة الذين استعان بهم الكورو في نشاطه الديني.

وقد قام (رام ـ داس) مثل أسلافه المعلمين بكتابة التراتيل والأدعية التي ضُمت هي الأخرى فيما بعد في مجموعة الكتابات المقدسة عند السيخ. وكان للجورو ثلاثة من البناء اعتبر أصغرهم أصلحهم لخلافته مما أثار حفيظة الأخ الأكبر(٨).

كورو أرجان (١٥٦٣ ـ ١٦٠٦)

لم يكن الطريق سهلاً أمام (أرجان). فبعد إعلانه (كورو) ثار عليه أخوه الأكبر. إلا أن (أرجان) استند إلى تعضيد كبار رجال السيخ ونجح بذلك في منع الانقسام في صفوف السيخ (٩).

وكانت أول أعمال (أرجان) إتمامه بناء معبد في المدينة التي أسسها الكورو السابق. واستدعى الصوفي المسلم (ميان مير) اللاهوري لوضع حجر الأساس لمعبد (هاريماندير) أي (معبد الله). ولم يبن المعبد على ربوة عالية كما كانت تقضى بذلك التقاليد الهندوسية بل بُني على أرض منخفضة يقل

مستوى ارتفاعها عما حولها، وذلك حتى يقوم العباد بالنزول إلى المعبد عند دخوله. كذلك جعل الكورو للمعبد أربعة مداخل وذلك على عكس المعابد الهندوسية التي كان لها مدخل واحد فقط وقد قصد بهذا التجديد المعماري أن يكون رمزاً للعقيدة الجديدة، كما كان أيضاً خطوة في طريق الإنسلاخ تضاف إلى ما تم من خطوات على يد كورو (عمر ـ داس) من قبل. كان هذا التجديد المعماري بمقتضى العقيدة الجديدة يعني أنه على المتواضع أن يكون أكثر تواضعاً كما تعني الأبواب الربعة أن معابد العقيدة مفتوحة لكل من يرغب في دخولها(★).

ونتيجة لتكاليف بناء المعبد فإن (أرجان) شرع في جمع الأموال من السيخ ثم طلب من كل سيخي التبرع بعشر دخله باسم الكورو، بشكل منتظم وثابت بدلاً من الاعتماد على الهبات والهدايا. وذهب أعوان الكورو إلى كل مكان يجمعون الأموال من المؤمنين والأتباع الذين انتشروا في كل مدينة وإقليم وفي النهاية يتم تسليم تلك الأموال إلى الكورو شخصياً مما حول السيخ آنذاك إلى ما يشبه دولة داخل دولة المغول. وبدأت المدينة الصغيرة المتواضعة في النمو والتطور وأصبحت المدينة الأولى من حيث الأهمية التجارية في منطقة البنجاب. وبعد أن تم بناء المعبد مُلئ الحوض بالماء ثم سُميت المدينة (أمراتسر) أي (حوض الرحيق). وأصبحت (أمراتسر) بالنسبة للسيخ ـ مثل مكة بالنسبة للمسلمين وبنارس بالنسبة للهندوس ـ مكاناً مقدساً ومن أهم بقاع الحج عندهم (١٠). وكان (أرجان) كثير الرحلات ولم تخلو رحلة من رحلاته من إنجاز. ودامت رحلاته خمس سنوات.

★ أعيد بناء المعبد في خلال فترة لاحقة من تاريخ السيخ. وقد دمره الأفغان أكثر من مرة. وأخيراً تم بناؤه في شكله الحالي بالرخام وصفائح الذهب على يد (رانجيت سينج) مؤسس مملكة السيخ المستقلة.

وفي عام ١٥٩٠م بنى أرجان حوضاً آخر في مكان يبعد إحدى عشرة ميلاً من جنوب (أمراتسر) وسماه (حوض الخلاص) واكتسب الحوض شهرة سريعة بين الناس لما قيل أن مياهه تشفي بعض الأمراض. وصار الحوض أيضاً من أماكن الحج لدى السيخ خاصة المصابين منهم بالبرص حيث تم بناء معبد كبير ودار لمرضى البرص قرب الحوض.

وذهب (أرجان) إلى (جولاندر) وبنى مدينة ثالثة تسمى (كارتاربور) ومنها ذهب إلى لاهور. ومن لاهور توجه إلى نهر (بيز) حيث بنى على أحد جوانبه مدينة رابعة سماها باسم ابنه (سرى هارجو بندبور). وفي خلال خمس سنوات من رحلاته تلك في البنجاب نجح (أرجان) في إدخال الآلاف من فلاحي البنجاب الهندوس إلى حظيرة السيخية.

وعاد (أرجان) إلى أمراتسر في ١٥٩٥ واكتشف أن ابن الجورو السابق لم يتوقف عن الكيد له ومعارضته. ولكن المعارضة هذه المرة كانت خطيرة فقد بدأ يكتب بعض التراتيل وينسبها إلى الأسلاف. وعلى الفور تحقق (أرجان) من مغبة وخطورة هذا العمل بالنسبة للعقيدة السيخية فشرع في جمع كل أقوال أسلافه من كل مصدر وأخذ في تحقيقها وتنقيحها كما رحب بكل إسهام في هذا الشأن يقدمه هندوسي أو مسلم. وبينما كان الكورو مشغولاً بعمله هذا أخبر الإمبراطور (أكبر) بأن هناك ما يشير إلى إنكار للإسلام أو تشويه له في مجموعة الكتابات المقدسة التي يضطلع بأمرها (أرجان). وأراد الإمبراطور أن يتحقق من الأمر شخصياً. ولما رأى كذب ما نسب إلى (أرجان) أغدق عليه الكثير من الهدايا والعطايا.

وفي أغسطس عام ١٦٠٤٠ م اكتمل العمل الذي بدأه (أرجان) وظهر الكتاب المقدس للسيخ (آدى جرانت) الذي تم إيداعه رسمياً في (معبد الله) بمدينة أمراتسر. ويعكس الكتاب تعاليم وأفكار (نانك) بشكل أساسي. وقد أبدى الإمبراطور إعجابه بعمل (أرجان) وبالكتاب نفسه.

وقام بزيارة الجورو في (جواندوال). ولقد كان إعجاب الإمبراطور في الواقع عاملاً آنذاك في ارتفاع نجم السيخ. ففي خلال السبع سنوات التي انقضت منذ زيارة الإمبراطور أكبر إلى مدينة (جواندوال) وحتى موته في عام ١٦٠٦م ازداد عدد السيخ باضطراد، وازدهرت التجارة في المدن الأربع التي بناها (أرجان) وأصبح (أرجان) زعيماً وطنياً كما ازداد السخي ثراء وقوة. وبدأ السيخ يخاطبون (الكورو) بلقب (الإمبراطور الحقيقي)[١١].

إلا أن موت الإمبراطور (أكبر) أحدث انقلاباً في سياسة السلطة والدولة المغولية تجاه السيخ. فإن الإمبراطور الجديد (جهانكير) لم يرحب كثيراً بازدياد شعبية الجورو (أرجان). وتظهر روح الاستياء عند الإمبراطور نحو (أرجان) في مذكرات الإمبراطور المعروفة باسم (تزك جهانكيري). فقد كتب عن علاقة ابنه الثائر ضده بالكورو:

«أخيراً عندما مر خسرو (ابن الإمبراطور) بطريق (أرجان) فكر هذا الشخص الوضيع أن يكون في استقباله. وحدث أن توقف (خسرو) في المكان الذي يقيم فيه أرجان فخرج لاستقباله وتقديم الولاء له. وقد سلك نحو (خسرو) سلوكاً خاصاً. ووضع على جبهته الزعفران. لقد انجذب إلى هذا الشخص وتعاليمه كثير من الهندوس السذج بل ومن المسلمين البلهاء أيضاً. وقد وُصف بأنه زعيم ديني ودنيوي. وهم يسمونه (كورو). ويأتي إليه الناس والسذج من كل الأنحاء معلنين له الولاء. وقد تواصل ذلك لثلاثة أو أربعة أجيال من الزمان. وكنت أفكر دائماً إما أن أضع حداً لذلك التواصل المزيف أو أن يدخل الجورو حظيرة الإسلام»[١٢].

وقد وجد الإمبراطور (جهانكير) على كل حال المبرر الكافي لوضع حد لنشاط الكورو (أرجان) وذلك بعد شهور قليلة من اعتلائه العرش. فقد ثار الأمير (خسرو) ضد أبيه الإمبراطور وطلب مساعدة الكورو. وقابل (أرجان) الأمير (خسرو) إلا أن (أرجان) لم يقدم - كما تزعم بعض المصادر[١٣] - إلى الأمير إلا التمنيات الطيبة بينما تشير مصادر أخرى إلى أن

(أرجان) قام بالصلاة من أجل نجاح (خسرو) في ثورته ضد أبيه[١٤]. وعلى أية حال فقد قام الإمبراطور (جهانكير) بالإنتقام من الكورو والسيخ وذلك بعد أن نجح في القضاء على ثورة ابنه وإخمادها. إذ أنه كان على يقين من تعضيد السيخ للثورة. ومن ثم ألزم (أرجان) بدفع غرامة باهظة عجز عن دفعها.

ولما رفض (أرجان) الاعتراف بما نسب إليه من اتهامات حكم عليه بالموت. ويكتب (جهانكير) في هذا الشأن:

«إنني لما كنت على علم تام بهرطقة هذا الكورو أمرت بإحضاره إليّ كما أمرت بأن تُصادر أملاكه وأن يتم إعدامه بعد تعذيبه»[١٥].

وأُخذ الكورو إلى لاهور حيث كانت من بين من قاموا على تعذيبه أحد رجال المال الهندوس الذي كان أرجان قد رفض مصاهرته[١٦].

وقد حاول بعض المسلمين (مان مير اللاهوري) التشفع لدى الإمبراطور للعفو عن الجورو[١٧]. وعُذب أرجان بشدة. وفي خلال ذلك تمكن من أن يبعث برسالة إلى ابنه (هرغوبند) الذي كان آنذاك في الحادية عشرة من عمره يخبره فيها باختياره خليفة له على السيخ[١٨]. وانتهى أمر (أرجان) على كل حال على يد الإمبراطور المغولي (جهانكير).

ويمكن لنا تقويم حياة هذا الجورو في إطارين - إطار عقيدته وأتباعه وإطار علاقته بالسلطة المغولية.

بالنسبة للإطار الأول يمكن القول بأنه في خلال ربع قرن من قيادة (أرجان) للسيخ فإن البذرة التي وضعها (نانك) أينعت تماماً على يده. فقد اكتمل الكتاب المقدس بما يحمل من تعاليم (نانك) بفضل جهوده وأصبح للسيخ الذين أخذوا ينتشرون الآن في كل شمال الهند طريقاً في الحياة ونظرة إليها هي نفس طريقة ونظرة (نانك). وأصبح السيخ الآن على وعى تام بأنهم ليسوا هندوساً وليسوا مسلمين بل إنهم جماعة ثالثة قائمة بذاتها[١٩].

وقد عبّر (أرجان) نفسه عن كل هذا في كتاباته. كذلك نجح (أرجان) في تدعيم الوجود السيخي بشكل مادي ملموس عن طريق نشاطاته التبشيرية وكذلك عن طريق مشاريعه العمرانية حيث أنشأ المدن والمعابد العديدة كما سبقت الإشارة.

أما بالنسبة للإطار الثاني - أعني علاقة أرجان بالسلطة المغولية - فيمكن القول أن نشاطات أرجان المتعددة وخاصة التبشيرية منها كان لابد أن تدفعه إلى التورط في علاقات مع السلطة الإسلامية المغولية الحاكمة آنذاك وقد نتج عن ذلك أن علاقات الإمبراطور (جهانكير) بالسيخ أصبحت حساسة وشائكة على عكس ما كان عليه الحال في عهد الإمبراطور (أكبر). إذ أثار الكورو (أرجان) من حفيظة الإمبراطور بسبب نشاطاته التي هدفت إلى تحويل الكثيرين ومنهم بعض المسلمين إلى العقيدة السيخية. هذا من ناحية. ومن ناحية أخرى سمح أرجان لنفسه بالتورط السياسي عندما أخذ جانب الأمير (خسرو) في ثورته ضد أبيه الإمبراطور. وسواء كان هناك دور إيجابي للكورو في تلك الثورة أم لم يكن هناك دور فإن مجرد وجود علاقات يسودها الود بين الكورو والابن الثائر للإمبراطور فإن مجرد وجود علاقات يسودها الود بين الجورو والابن الثائر للإمبراطور أعطى الإمبراطور مبرراً كافياً للاستيلاء ومحاولة وضع حد لأرجان وللنشاط السيخي. فاتهمه الإمبراطور بتشجيعه للفتنة والخيانة[٢٠]. ولقد كانت تلك هي المرة الأولى التي يقوم فيها ملك مسلم في الهند بقتل (كورو) سيخي. ومن ثم منح التاريخ السيخ في الهند «شهيداً» بقيت ذكراه تذكرهم دائماً بأن المسلمين هم مضطهدوهم مما عزز من تماسكهم وتضامنهم في وجه السلطة المغولية الإسلامية.

ولم يكن الزعم بأن الكورو قد أُعدم لأسباب سياسية وليس لأسباب دينية أثر في التخفيف عن مشاعر السيخ التي أدماها الجرح والأذى[٢١]. ولقد كان موت أرجان نقطة تحول في تاريخ البنجاب. ولقد

أصبح دمه كما يقول بعض الدارسين هو بذرة العقيدة السيخية وبذرة الأمة البنجابية[٢٢].

جورو هارغوبند (١٥٩٥ ـ ١٦٤٤ م):



كان موت (أرجان) صدمة شديدة أصابت السيخ. وظنت السلطات المغولية أن هذا الحدث قد يخمد من نشاط السيخ لفترة من الزمن. إلا أن النتيجة كانت على العكس من ذلك تماماً. ذلك أن السيخ التفوا حول الطفل الصغير (هارجوبند) ابن (أرجان) كما اتحدوا حول قياداتهم متربصين الفرصة للانتقام من مقتل كورو (أرجان).

وعندما صار (هرغوبند) جورو وضع سيفين حول وسطه. يمثل أحد السيفين السلطة الروحية ويمثل الآخر السلطة الدنيوية. وكان يردد دائماً:

«سيصبح حزام سيفي مسبحتي، وسأضع الشارة الملكية في عمامتي»[٢٣].

وأعلن الكورو الجديد على الجميع أنه سيرحب بقبول الهدايا والعطايا من السلاح والخيول بدلاً من المال. وعندما سُئل عن هذا الإجراء الذي يتنافى مع النزعة الروحية وتعاليم (نانك) أجاب الكورو الجديد:

«إنني أحمل سيفين يرمزان إلى السلطة الروحية و الزمنية. ومن الآن سوف يمزج بيت الكورو السلطتين معاً».

وقد أثبتت الأحداث على كل حال أن نزعات هذا الكورو الدينية كانت أقل مت تلك التي كانت لأبيه[٢٤]. وشرع الكورو بالفعل يدرب

مجموعة من السيخ، كما أمضى هو شخصياً وقتاً طويلاً في التدريبات العسكرية والصيد ثم قام ببناء قلعة صغيرة في (أمراتسر) سماها قلعة (الفولاذ). وكذلك قام ببناء ما يعرف باسم (أكال تخت) (أي العرش الإلهي) في المعبد الرئيسي بأمراتسر حيث كانت جموع السيخي في عهدها الجديد ترتل أناشيد البطولة بدلاً من تراتيل السلام، وتناقش خطط الحرب بدلاً من موضوعات الدين(٢٥).

كذلك سلك (هرغوبند) سلوك الملوك الحقيقيين. إذ كان يجلس على عرش وأصبح له بلاط وراح يغدو ويروح مصحوباً بمظلة ملكية فوق رأسه ويحيط به حرس خاص، كما أرسل بسفاراته ومبعوثيه إلى الحكام والأمراء واستقبل ممثليهم. وبينما كان لقب (الإمبراطور الحقيقي) الذي تلقب به (أرجان) مجرد لقب تشريفي فقد أصبح مع الجورو الجديد لقباً حقيقياً(٢٦).

وظلت التغيرات التي حدثت في بنية السيخ وتنظيمهم غير ملحوظة لفترة من الزمن. إلا أنه مع ازدياد عدد حراس وجنود الجورو بدأ الموظفون المحليون يبعثون بتقاريرهم إلى الإمبراطور الذي جاهد لوضع حد لهذا الخطر في بدايته وقبل أن يستفحل. وعندما وجد الإمبراطور مبرراً لتحركه ضد السيخ تحرك في الحال فالغرامة المالية الباهظة التي كانت قد فُرضت على الكورو السابق (أرجان) لم تكن قد دُفعت. ومن ثم فهناك مبرر قانوني قوي لمطالبة ابنه بها وهكذا أمر الإمبراطور بإلغاء القبض على (هرغوبند).

كما أمر بحل جيشه الخاص. وقضى الكورو بعض الوقت سجيناً في (جواليور) ثم أطلق الإمبراطور سراحه(٢٧).

لكن (هرغوبند) واصل نشاطه العسكري بل يُقال أنه انخرط في جيش الإمبراطور لفترة من الوقت وصار واحداً من ضباطه(٢٨). وعلى كل حال تمكن الكورو من زيادة عدد أفراد جيشه خاصة عندما استخدم في

صفوفه العناصر المرتزقة من قبائل الباتان. ويكتب أحد المؤرخين المعاصرين للكورو بأنه: «كان للكورو ثمانمائة من الخيول وثلاثمائة من الفرسان وستون رجلاً بالأسلحة النارية... كلهم في خدمته»[٢٩].

وفي خلال فترة تقدر بخمسة عشرة عاماً وهي الفترة التي مرت منذ أن أُطلق سراح (هرغوبند) وحتى موت الإمبراطور (جهانكير) في عام ١٦٢٧م تمكن (الكورو) من تقوية سلطاته الروحية والدنيوية على مجتمع السيخ. فساح في أنحاء البنجاب ثم في كشمير. وكان يقيم في كل مكان يحل فيه معبداً ويعين المبشرين والدعاة الذين كانوا يدعون الناس إلى طريق (نانك) السلمي ومنهاج (هرغوبند) العسكري ثم بنى لنفسه مقراً يقع بين سفوح (الهمالايا) ونهر (ستلج) أسماه (كراتبور).

ومن الواضح من تاريخ السيخ أن تسلسل الزعامة لديهم يبين أنهم أخذوا يفكرون من خلال إطار سياسي رغم أن أهدافهم آنذاك لم تكن قد تبلورت بعد. وقد كان من المؤكد أن قوة الكورو العسكرية المتزايدة ومظاهر السلطة والعظمة التي أسبغها على نفسه بالإضافة إلى اتجاهه الدنيوي سوف يؤدي ذلك كله إلى حتمية الصراع والصدام مع السلطة المغولية. وهكذا بدأت المتاعب الحقيقية تواجه الكورو في أعقاب موت الإمبراطور (جهانكير) واعتلاء شاهجهان للعرش عام ١٦٢٧م. ففي عام ١٦٢٨م قام الإمبراطور برحلة صيد في المناطق المجاورة لأمراتسر. واحتك برجال الكورو. فأرسل الإمبراطور جنده للقبض على الكورو والذي لم يكن موجوداً إلا أن رجاله قاوموا جنود الإمبراطور وقتلوا بعضاً منهم.

وبعد عامين اصطدم الكورو مرة أخرى مع قوات الاحتلال. ثم بعد عام آخر حدث صدام ثالث بين الطرفين اشترك فيه ابنا (هرغوبند) - (جورديتا، وتيج بهادر، وهذا الأخير سيصبح الجورو التاسع فيما بعد)[٣٠] وقُتل من جند الإمبراطور البعض أيضاً.

وتحقق (هرغوبند) في النهاية من عجزه - مهما حاول - عن الوقوف في

وجه قوات الحكومة المغولية في السهول. ومن ثم نقل قاعدته إلى (كراتبور) في عام ١٦٣٤ في سفوح الهمالايا.

وبينما كانت الاحتكاكات تتصاعد بهذا الشكل كان عدد السيخ آخذاً في الازدياد. وتغير وضع السيخ فبدلاً من الدعوة السلمية إلى العقيدة الجديدة أعلن السيخ عن حقهم في الدفاع عن عقيدتهم بقوة السلاح وغرس (هرغوبند) في نفوس السيخ خاصة والبنجابيين عامة شعور التحدي للسلطة المغولية. فأسرع عدد كبير من فلاحي البنجاب بتلبية دعوة الكورو إلى حمل السلاح وقد مثلت تلك الأمور عبئاً ثقيلاً على أكتاب الكورو وعلى قدراته التنظيمية خاصة فيما يتصل باتساع نطاق السيخية ومن ثم انتشار السيخ في معظم الأنحاء(٣١) فاعتمد الكورو على ابنه (جورديتا) الذي كان يعده لخلافته فيما يبدو. وقضى (هارغوبند) سنواته الأخيرة في هدوء واختار قبل موته في عام ١٦٤٤م حفيداً له هو (هار ـ راي) خليفة له على السيخ، إذ أن ابنه الذي كان يعده لذلك كان قد توفي قبل أبيه في عام ١٦٣٨.

كورو (هار ـ راي) (١٦٣٠ ـ ١٦٦١ م):

بعد عام واحد من زعامته للسيخ كسابع (كورو) لهم أُجبر (هار ـ راي) على مغادرة (كراتبور) هو وأسره وجنده الذين بلغ عددهم ألفان ومائتان من المسلحين حيث استقرت به الأحوال في الجبال لمدة ثلاث عشرة سنة. وعلى كل حال فقد خلت فترة زعامة هذا الكورو من الأحداث المهمة كذلك ساهمت عدة عوامل في عهده في الحد من نمو وتطور الجماعة السيخية بشكل خطير. من تلك العوامل غياب الكورو الطويل عن مراكز النشاط السيخي ثم روح العداوة والمناوأة التي لقيها من قبل المطالبين بمنصب الجورو ثم أخيراً الانحلال العام الذي أصاب التنظيمات السيخية خاصة ما يتصل منها بوظيفة (المساند ـ **Masnads**)(٣٢).

وقد حاول الكورو الجديد على كل حال إصلاح الأوضاع فقام بزيارة لمراكز السيخ الرئيسية وأعاد تنظيم المبشرين والدعاة. وفي نهاية عام ١٦٥٨م عاد الكورو إلى (كراتبور) حيث قامت بينه وبين الابن الأكبر للإمبراطور الأمير (دارا شيكوه) صداقة حميمة. وذلك أن (دارا شيكوه) كان من رجال التصوف والفلسفة وكان يميل من ثم على مصادقة أمثاله من كل العقائد. وعندا اشتعلت نار حرب الوراثة على العرش بين أبناء الإمبراطور (شاهجان) في أعقاب موته اتجه الجورو بمشاعره وتعضيده نحو (داراشيكوه) الصوفي الفيلسوف ولم تتجه نحو أخيه (أورا نجزيب) المسلم المتشدد. ولما هزم (داراشيكوه) وتراجع إلى البنجاب طلب مساعدة الكورو وليس لدى الباحثين صورة واضحة عن الوسيلة التي ساعد بها الكورو الأمير (داراشيكوه). ومهما يكن من أمر فقد أثار ذلك بطبيعة الحال من حفيظة (أورا نجزيب). وبعد أن استقرت الأمور لصالح (أورا نجزيب) استدعى الكورو (هار - راي) إلى دلهي ليفسر له علاقته مع خصومه. فأرسل له الكورو ابنه الأكبر (رام - راي). ونجح الابن على كل حال في إزالة شكوك الإمبراطور في كسب ثقته فقرر الإمبراطور إبقائه في دلهي معتقداً أنه باحتفاظه بكورو السيخ مستقبلاً سوف يضمن أن تصبح مقدرات السيخ في يديه. إلا أن سلوك (رام - راي) في بلاد (أورانجزيب) غير من تفكير والده فيه فأعلن عن نيته في إبعاده عن خلافته واختار أخاه الأصغر (هاري - كريشان) ليخلفه. وقد بذل (رام - راي) جهوداً كبيرة لإعادة ثقة والده فيه ونجح على كل حال في كسب بعض السيخ إلى صفه، وقدم شجعه الإمبراطور في تطلعه إلى منصب الكورو كما منحه أرضاً يقيم عليها مركزاً له ولأعوانه. إلا أن كورو (هار - راي) كان قد حسم الأمر. فأعلن قبل وفاته تنصيب ابنه (هاري - كريشان) جورو بعده[٣٣].

ولم تحفل - كما أشرنا - فترة جورو (هار - راي) بأحداث مميزة.

كورو (هاري كريشان ١٦٥٦ ـ ١٦٦٤ م):

لم يجئ اختيار (هاري ـ كريشان) كورو على هوى الإمبراطور (أورانجزيب) الذي كان يأمل في أن تكون له اليد العليا في شؤون السيخ. وعندما أعلن (رام ـ راي) رفضه لاختيار أخيه أسرع الإمبراطور باستدعاء الكورو الجديد إلى دلهي بحجة حسم الخلاف بينه وبين أخيه الأكبر. وبعد تردد وصل الكوور إلى دلهي. ولم يكن (أورانجزيب) على كل حال في عجلة لحسم الخلاف بين الأخوين بل كان سعيداً وراضياً بالإبقاء على الأخوين في قبضته وتحت رقابته. وفي دلهي أصيب الكورو بمرض الجدري. وقبل موته أشار إلى أن يخلفه (تيج بهادر)[٣٤].

كورو (تيج بهادر ١٦٢١ ـ ١٦٧٥ م):

بعد موت (هاري ـ كريشان) تكرر نشوب صراع السلطة والطمع بين السيخ. فتنازع ما يقرب من اثنين وعشرين رجلاً منهم على الزعامة، وأخذ كل منهم بالفعل في جمع الهدايا والعطايا بالقوة[٣٥]. وانتهى الأمر في النهاية بقبول (تيج بهادر) كورو[٣٦]. وكان (تيج بهادر) شيخاً طاعناً محباً للعزلة. إلا أنه مع ذلك أمضى سنوات في أنحاء الهند يتفقد أحوال السيخ وينظم أمورهم ثم رجع إلى البنجاب موطنه حيث كانت الأحوال محتدمة بالنسبة لكل من الهندوس والسيخ نتيجة للسياسة التي اتبعها الإمبراطور المغولي (أورانجزيب) حيالهم، وهي سياسة تميزت كما تقول بعض المصادر بالتعنت والاضطهاد وتحطيم المعابد وفرض الضرائب[٣٧]. وكان على (تيج بهادر) مجابهة ذلك كله وإعادة الثقة إلى نفوس أتباعه من السيخ فساح في أنحاء البنجاب حيث جذب الكثير من الأتباع ولم يكن ذلك ليرضي السلطات الحكومية التي استدعته إلى دلهي. ولكنه لم يذهب فصدرت الأوامر بالقبض عليه وتم سجنه هو وحفنة من أتباعه في (أكرا) ثم نُقل إلى دلهي حيث تمت محاكمته وقضى بإعدامه في نوفمبر عام ١٦٧٥م. وتختلف

روايات المصادر المختلفة عن السبب الحقيقي لإعدامه[٣٨].

لم يميز الإمبراطور أورانجزيب ـ وهذه حقيقة تاريخية ـ في محاولته لتوطيد دعائم الإسلام في الهند بين هندوسي وسيخي ولم يستطع (بهادر) كزعيم ديني وعسكري للسيخ التغاضي عن الإذلال الذي فرض على شعبه. فأخذ فيما يبدو يشجع الهندوس الكشميريين على تحدي سياسة وسلطة الإمبراطور مما أدى إلى القبض عليه وإعدامه. ويفسر أحد المؤرخين الهندوس المعاصرين إعدام الكورو بسبب رفضه الإتيان بمعجزة أو كرامة.

ويبدو أن ذلك التفسير هو الذي ساد في سير زعماء السيخ التي كتبها الكورو العاشر (جوبند سينج)[٣٩].

ويمكن القول عموماً بأن إعدام الكورو (تيج بهادر) هو في الواقع الذي أشعل فتيل العداوة والحرب العلنية بين الحكام المغول والسيخ. فقام أحد أتباع الكورو المقتول بإلقاء الحجارة على الإمبراطور في ٢٧ أكتوبر عام ١٦٧٦م عندما كان يترجل من قاربه عند عودته من المسجد الجامع[٤٠]. وتتابعت بعد ذلك سلسلة الصدامات بين الطرفين لاسيما في عهد الكورو العاشر الأخير.

كورو (غوبند سينج ١٦٦٦ ـ ١٧٠٨م) ومولد الخالصة:

يعتبر (غوبند سينج) الكورو العاشر والأخير أهم كورو في تاريخ السيخ. فقد تحول السيخ على يديه إلى أمة (الخالصة) ـ أي الأمة السيخية (النقية) التي لا تصلها علاقات بالهندوس أو بالمسلمين في شبه القارة. وبعد أن كانت جماعة السيخ طائفة مسالمة ينظر إليها الجميع هندوس ومسلمين حكام ومحكومون باعتبارها طائفة هندوسية لها فلسفتها الخاصة (التي وإن أخرجتها عن الخط الهندوسي الأساسي التقليدي إلا أنها ظلت هندوسية) تحولت إلى طائفة محاربة شديدة المراس شديدة العداوة للهندوس والمسلمين معاً وإن كان عداوتها أصبحت أشد بالنسبة للمسلمين باعتبارهم أصحاب

السلطة السياسية في الهند التي تحد من حركتهم وتعدم زعماءهم. والحقيقة أنه في عهد هذه الكورو أصبح السيخ أمة بكل ما تحمله الكلمة من معنى وتوطدت دعائم العقيدة السيخية تماماً.

تلقى الكورو الجديد تعاليم (نانك) السلمية. بيد أنه كذلك تعلم كم قدم السيخ من «شهداء». ومن ثم وقر في ذهن الكورو منذ البداية أنه وإن كان الحب والتسامح أقوى من الكراهية والانتقام إلا أن مقاومة الخصم بكل الوسائل المتاحة واجب حتمي وخلقي. إذ أن المعركة عندئذ تكون معركة البقاء. ليس بقاء الحياة بقدر ما هو بقاء المثل إن المعركة تصبح من أجل الصلاح. وهكذا أصبحت مهمة الكورو الجديد جد واضحة له. ومن هنا نراه شخصياً يكتب:

«جئت إلى الحياة حاملاً واجب مساندة الحق في كل مكان ومحطماً للإثم والشر. إن سبب وجودي الوحيد هو أن أعمل على انتصار الصلاح وسيادة الخير واقتلاع جذور الطغاة والطغيان»[٤١].

وفي رسالة كتبها إلى الإمبراطور المغولي يبرر الكورو الجديد تبنيه للعنف كوسيلة من أجل تحقيق هدفه:

«عندما تفشل كل الوسائل فإنه من المسموح به رفع السيف»[٤٢].

وهكذا شهر الكورو الجديد السلاح وأعلن - كما أعلن جده من قبل - ترحيبه بالعطايا والهدايا من سلاح وخيول، كما رحب بانضمام الرجال الأقوياء إليه.

وجابهت المشاكل الكورو الجديد وجاءت أول تلك المشاكل من حيث لا يتوقع.

فقد تحول رؤساء الراجبوت الهندوس في أنحاء الهمالايا من موقف التشجيع للكورو ضد سلطة المغول إلى موقف المناوأة والمعارضة عندما بدأ الكورو في تنظيم جيوشه. فقد وضح لهم أن نمو قوة الكورو تمثل خطراً عليهم وعلى مصالحهم في مناطقهم وأن هذا الخطر تعدى المصالح المادية.

فقد تحول كثير من أفرا الطبقات الدنيا من الهندوس إلى العقيدة السيخية. وهكذا حاول هؤلاء الراجبوت طرد الكورو من مناطقهم. ولما عجزوا عن تحقيق ذلك بالتهديد لجأوا إلى قوة السلاح. ولما التقى الكورو بمجموعهم تم له الانتصار عليهم في موقعة (بهانجاني Bhangand) عام ١٦٨٦م. وكان هذا أول انتصار للكورو الجديد مما أعطاه ثقة في الهبوط من مناطق التلال الجبلية التي كان بها إلى موطن أجداده في البنجاب. إلا أن موقف الراجبوت تغير مرة أخرى تجاه الكورو. فقد أخذوا يبحثون عمن ينظم صفوفهم في المناطق الجبلية لمقاومة قوات الحاكم المغولي للبنجاب الذي كان في طريقهم إليهم. ومن ثم طلب رؤساء الراجبوت من الكورو قيادتهم ضد المغول. وحارب الكورو ومعركته الثانية في عام ١٦٨٧م. وانتصرت قواته في الاشتباك الأول. ورغم الانتصار الأول إلا أن رؤساء الراجبوت قرروا سلوك طريق التفاهم والتصالح مع القائد العسكري المغولي. ورفض (غوبند) هذا الموقف. كذلك رفض الإمبراطور المغولي موقف التسوية من قائده. ذلك أن التسوية كانت تعني بالنسبة للإمبراطور تحدياً لسلطاته. ومن هنا بعث الإمبراطور بابنه (معظم) (فيما بعد الإمبراطور بهادر شاه) وقائده (ميرزا) إلى البنجاب. وتقدم القائد إلى منطقة التلال وتمكن من إخضاع رؤساء الراجبوت. ويبدو أن القائد (ميرزا) كانت لديه تعليمات سرية من الأمير (معظم) بعدم التعرض للكورو. وهكذا ترك الكورو لمدة اثني عشرة عاماً في سلام تمكن في خلالها من توجيه طاقته الكبيرة لإعادة تنظيم جماعته من السيخ(٤٣).

كان أول ما قام به هو تقوية مركز وقاعدة السيخ في (أناندبور)، فشرع في شراء الأراضي المجاورة، وبدأ في بناء سلسلة من الحصون والقلاع. ورغم أن تلك الحصون والقلاع قد أقيمت في مناطق كان يملكها رؤساء الراجبوت إلا أنهم كانوا أعجز من أن يعترضوا. فقد كان الكورو أقوى منهم جميعاً.

كذلك حفلت فترة الإثني عشرة عاماً بالنشاط الفكري. فقد اختار الجورو خمسة من أبرز المثقفين والدارسين من مريديه وأرسل بهم على (بنارس) لتعلم السنسكريتية والنصوص الهندوسية وذلك ليكونوا أقدر على تفسير كتابات معلمي السيخ التي كانت مملوءة بالإشارات إلى الفلسفة والأساطير الهندوسية. وبدأ هؤلاء الخمسة مدرسة السيخ اللاهوتية التي عُرفت باسم (Nirmata) . كذلك جذب الكورو إليه كثيراً من شعراء شمال الهند، ولما كان الكورو نفسه شاعراً موهوباً فإن ميله للشعر الذي يمجد البطولة والأبطال جعل الآخرين يقلدونه في هذا الميل. وهكذا في كل مساء كان السيخ يستمعون إلى الشعر الذي يمجد المحاربين الذين تحدوا الطغيان بقوة السلاح. وبهذا الشكل شاع في بلاط السيخ في (أنادبور) مناخ مملوء بالروح العسكري والحماس(٤٤).

وشرع الكورو في مواجهة الانقسام والانحلال اللذين أصابا الحركة السيخية بالعلاج. وتمكن أولاً من وضع يده على العاملين اللذين أسهما في الانقسام والانحلال وهما التنافس على منصب (الكورو) ومنصب (المسند).

لقد كان الإيمان في وصاية الكورو الروحية جزءاً لا يتجزأ من تعاليم (نانك) غير أن (غوبند سينج) كان يعتقد أن الوصي الحي - أي الكورو - يمكن الاستغناء عنه على أن تحل محله مؤسسة تقوم بنفس الوظائف. وقد كانت أمثلة التشاحن والصراع على منصب الكورو كثيرة وكان هذا عاملاً حاسماً في تفكير جوبند وتصميمه على أن يكون هو شخصياً آخر كورو رغم أنه كان لديه أربعة أبناء. ولكن ما البديل؟ قرر (غوبند) أن يتمثل منصب الكورو في شيء دائم. لقد كان هناك كتاب السيخ المقدس (آدى - غرانت) الذي تم واكتمل ونظر إليه باعتباره كتاب الهداية الروحية لمن يسعون إليها. أما في الأمور غير الروحية فقد كانت هناك المؤسسة المسماة باسم (البانشيات - Pancayat) وتتمثل في مجموعة مختارة من السيخ يمكن لها بعد

تطويعها لتقابل مطالب العصر أن تعالج الأمور الزمنية لطائفة السيخ. ومعنى ذلك كله إمكانية استمرار كل وظائف الكورو الروحية والزمنية دون الوجود المادي للكورو نفسه وذلك في إطار كل من الكتاب المقدس (آدى - غرانت) الذي يمكن اعتباره الكورو الروحي والجماعة المختارة (البانشيات) التي يمكن اعتبارها الكورو الدنيوي.

وقبل أن يحسم (غوبند) الأمر قرر تصفية مؤسسة (المساند) أو مساعدي وأعوان الكورو والتي أصبحت سبباً مهماً من أسباب انقسام السيخ، فكير من هؤلاء (المساند) ادعوا لأنفسهم منصب الكورو في مناطقهم بل وشرعوا يعينون خلفاءهم. وبدلاً من الدعوة إلى السيخية وتقديم ما جمعوه من أموال وهدايا وعطايا إلى الكورو فإن هؤلاء (المساند) احتفظوا بهذا كله لأنفسهم ثم بدأوا يستثمرونه في الأعمال المالية مثل التجارة وإقراض المال. وكان (غوبند) يعلم أن إلغاء مؤسسة (المساند) سوف يحرم الخزانة الرئيسية للسيخ من دخلها الأساسي. ومع ذلك فقد شعر أن الأمر يستحق المجازفة. وبضربة واحدة ألغى المؤسسة[٤٥].

إلا أن أهم ما قام به (الكورو) من أعمال كان لها دور حاسم في تاريخ السيخ هو تأسيسه للخالصة.

ففي بداية عام ١٦٩٩م أرسل إلى أتباعه في كل مكان بضرورة الحضور إلى (أناندبور) بشعور ولحى غير مقصوصة[٤٦]. وتجمع عدد كبير من السيخ في (أناندبور). وبعد صلاة الصبح ظهر (الكورو) أمام الجميع وشهر سيفه وطلب خمسة من الرجال يضحي بهم. وبعد قليل قدم واحد من الرجال نفسه وأُخذ إلى خيمة ثم ظهر الكورو أمام عرشه وبيده سيفه يقطر دماً وطلب شخصاً ثانياً وتكرر الأمر إلى أن انتهى من الرجال الخمسة. وأخيراً خرج الكورو من الخيمة وبصحبته الرجال الخمسة أحياء، إذ كان الكورو في كل مرة يذبح حيواناً. ثم أعلن الكورو أن (المحبوبين الخمسة) هم الآن يمثلون نواة الجماعة الجديدة التي يقوم

بتأسيسها وتسمى (الخالصة). ثم شرع الكورو بعد ذلك في تعميد الرجال الخمسة بشكل جديد. إذ خلط سكراً بماء في وعاء ثم غمس في المحلول خنجراً مزدوج النصل وطلب من الرجال الخمسة (الذين كانوا ينتمون إلى الطبقات الهندوسية الأربع) الشرب من الإناء وذلك تأكيداً لدخولهم في (الأخوة اللاطبقية للخالصة)[٤٧].

وبُدلت الأسماء الهندوسية لهؤلاء الرجال وأعطوا جميعاً اسماً عائلياً أو لقباً واحداً هو سينج (Singh) أي الأسد[★★].

ويمثل التعميد مولداً جديداً يتصل المعمدون بمقتضاه من حرفهم السابقة ويدخلون في حرفة الجندية، كما يقطعون صلاتهم العائلية ليكونوا من عائلة (غوبند سينج) (فالكورو أبوهم وزوجته أمهم ومكان ولادتهم أناندبور) ويرفضون عقائدهم الأولية ليؤمنوا فقط بعقيدة (الخالصة)، ويتخلون عن كل الطقوس إلا تلك التي تفرضها عليهم العقيدة السيخية.

ووُضعت خمس شارات أو خمسة رموز ليتميز بها سيخ الخالصة هي عدم قص الشعر واللحى (كيس **Kes**) وحمل المشط (كانجا **Kangha**) وارتداء سروال عسكري طويل (كاتش **Kach**) وحمل سوار من الصلب في رسغ اليد اليمنى (كارا **Kara**) وحمل مدية أو سيف دائماً (كيربان **Kirpan**). وقد سُميت تلك الشارات الخمس بالكافات الخمس حيث أن كلاً منها يبدأ بحرف (الكاف)[٤٩].

(★★) كلمة (سينج) أصلها سنسكريتي وتعني (أسد). وقد أُستعملت ولا تزال تستعمل بين الراجبوت الهندوس وغيرهم من الطبقات الهندوسية المحاربة. ويمكن القول بأن كل من هو من السيخ فلقبه سيخ. ولكن ليس كل من يلقب بشينغ هو بالضرورة من السيخ. أما المرأة السيخية فتحمل بعد التعميد لقب (كور **Kaur**) وتعني لبؤة وأميرة.

- **Khushwant Singh, A History of the Sikhe, India, ١٩٧٨, Vo١,I,P.٨٣ F. N. No ١.**

وبالإضافة إلى تلك الشارات الخمس كان على سيخ الخالصة أن يراعوا أربعة قواعد في السلوك هي عدم قص أي شعر في أي جزء من أجسامهم والابتعاد عن التدخين أو مضغ الدخان أو شرب الخمر وعدم أكل الحيوانات التي تذبح حتى الموت (كما هو الأمر لدى المسلمين) وعدم التعرض للنساء المسلمات بأذى.

وفي النهاية يقسم السيخ المعمدون قسماً جديداً هو:

«أمة الخالصة هي من اختيار الله. النصر للخالصة».

وقد قام (غوبند سينج) بتفسير تلك «الطقوس» التي أدخلها في السيخية للسيخ أنفسهم محاولاً التأكيد على فكرة إلغاء الطبقية وتقوية الأخوة ورفض الطقوس والآلهة الهندوسية بل وأي طقوس أو عقيدة أخرى والتمسك بقواعد السلوك وعدم مصاهرة غير السيخ[٥٠].

ورغم معارضة بعض الهندوس الذين حضروا اجتماع تأسيس الخالصة في (أناندبور) إلا أن ما يقرب من عشرين ألفاً من الحاضرين أعلنوا عن إيمانهم بالعقيدة الجديدة وأصبحوا من الأتباع الذين يمثلون (أمة الخالصة)[٥١].

مما سبق يتضح للدارس أن (غوبند سينج) قد قام في الحقيقة بما يشبه الثورة في حياة أمة السيخ وعقيدتهم. فقد نقلهم من وضع إلى آخر. فبعد أن كان السيخ ف نظر المجتمع الهندي كله طائفة هندوسية لها تحفظاتها على الهندوسية منذ أيام (نانك) أصبحوا الآن يعلنون عن انسلاخهم عن الهندوسية وبدأت (أمة الخالصة) على (غوبند سينج) بعقيدة جديدة مستقلة الإطار والمضمون. وربما كان السيخ ينظرون إلى أنفسهم منذ عهد (نانك) باعتبارهم كياناً مستقلاً في إطار الهندوسية. ولكنهم في عهد (غوبند سينج) يبدأون عهداً جديداً. فهم يخرجون عن إطار الهندوسية ويظهرون على مسرح الأحداث في شبه القارة كأمة خالصة نقية من شوائب الهندوسية أو غيرها. أمة مستقلة دينية ذات طابع عسكري وذات أهداف معلنة ومن ثم أهمية كلمة (الخالصة) لأمة

السيخ. وعندما شرع السيخ يفكرون في اسم دولة لهم أطلقوا عليها اسم (خالصتان) أي الأرض الخالصة أو النقية.

ولم تسمح الفترة المليئة بالأحداث والتطورات التي تلت احتفال التعميد للجورو بتفسير أهمية الشارات أو الرموز التي فرضها على أتباعه من سيخ الخالصة. وليس على كل حال من الصعب تفسير تلك الشارات وفهمها. فالرمز الرئيسي (عدم قص الشعر واللحية) كان مادة متبعة بين النساك في الهند منذ القديم. وهناك من الأسباب ما يدعو إلى الاعتقاد بأنه ابتداء من (نانك) كان كل (كورو) يمتنع عن قص الشعر واللحية. ولذلك فإن تلك الشارة الرئيسية التي فرضها (غوبند) على سيخ الخالصة لم تدهش السيخ كثيراً. لقد أراد (غوبند) من وراء فرض هذه الشارة خلق جيش من أتباعه سيخ الخالصة له صفات الجند المحاربين مضافاً إليها صفات النساك الزاهدين، هؤلاء النساك الذين يحملون السلاح ويشهرونه فقط في سبيل الدفاع عن الحق والصلاح والعدل إذا ما اضطرتهم الظروف إلى ذلك.

أما الرموز الأخرى فكانت مكملة ومتممة في معناها والهدف من وراء فرضها للرمز الأساسي الأول ولحرفة الجندية[٥٢].

والسؤال المهم - على كل حال - حول منجزات (كورو غوبند سينغ) هو: هل كان (غوبند سينغ) يهدف إلى تغيير في عقيدة (نانك)؟ يرى بعض الدارسين من السيخ أن (غوبند) لم يهدف على الإطلاق إلى تغيير عقيدة (نانك) أو إلى إدخال أية تعديلات جوهرية على أفكاره. فهو - أي (غوبند) - يعتقد كما يعتقد (نانك) تماماً في خالق واحد لا يحيط به الفهم البشري. كما أنه كان مثله مناهضاً لنزعة الطبقية والصنمية. كذلك كان (غوبند) مثل (نانك) في إيمانه بالصلاة كعلاج لكل شرور الإنسان. وقد ظل (آدي - جرانت) في عهد (غوبند) هو الكتاب المقدس للسيخ وإن كان (غوبند) قد خلع عليه صفة الديمومة وجعله مؤسسة قائمة بذاتها تحل في الهداية الروحية محل الكورو.

إن التغيير الوحيد الذي أدخله (غوبند سينغ) في العقيدة السيخية لم يكن في الواقع تغييراً، بلك كان محاولة إظهار وجهها الآخر. فبينما روح (نانك) للخير فإن (جوبند) أعلن استنكاره ورفضه للشر. وبينما تتجه دعوة (نانك) إلى حب الجار تنادي دعوة (غوبند) بمعاقبة المعتدين. وعندما يقول (نانك) بأن الله يحب أولياءه فإن (غوبند) يقول بأن الله يدمر أعداءه(٥٣).

ومن المهم ألا يقلل الدارس من أهمية دلالة هذا التغيير في التأكيد على الوجه الآخر في السيخية. إن لهذا التغيير دلالات ونتائج مهمة. وقد ظهرت نتائجه بعد انقضاء شهور قليلة من حفل التعميد المشهور وذلك عندما تحولت طائفة السيخ المسالمة فجأة إلى أخوة محاربة تتمتع بالروح الصليبية المستعرة وأخذت المرتفعات المحيطة بأناندبور تعكس صدى ضربات طبول الحرب وأصوات الأوامر العسكرية.

كذلك حدث تغيير جوهر في بنية الجماعة السيخية. فحتى ذلك الوقت كانت القيادة في أيدي العناصر الدينية والمدنية. أما الآن فقد أخذت عناصر (الجاط ـ Ja's) في البنجاب زمام القيادة بعد تحول تلك العناصر إلى السيخية الجديدة. والمعروف عن تلك العناصر تميزها بالروح العسكري والنزعة الحربية(٥٤).

وفي حفل التعميد المشهور تم ـ كما أشرنا ـ تعميد ما يقرب من عشرين ألفاً من السيخ في (أناندبور) وتبع ذلك تعميد شعبي واسع النطاق في كل أنحاء شمال الهند، وهكذا ـ كما يقال ـ نجح (غوبند) في «تدريب العصفور ليصيد نسراً والرجل الواحد ليحارب فرقة»(٥٥).

وفي خلال شهور قليلة ولد شعب جديد ـ شعب غير حليق الشعر، يرتدي العمامة ويحمل السلاح، ويسيطر عليه حماس صليبي يوجهه لبناء أمة الخالصة التي اعتقدت أنها «أمة سوف تحكم وأن أعداءها سوف ينهزمون» بل هي «أمة مختارة» كما جاء في قسم الخالصة الجديد.

وقد كان وجود تلك الأمة الجديدة الكبيرة وسط رؤساء الراجبوت

مثيراً لأعصابهم. فهم إن لم يفعلوا شيئاً ضد السيخ فسيحل بهم غضب المغول، وهكذا اتفق رؤساء الراجبوت على ضرورة العلم لطرد (الكورو) من منطقتهم. ولما رفض الكورو حاصروه ومن معه في (أناندبور) وحرموا عنه المؤن والغذاء. إلا أن السيخ حطموا الحصار أكثر من مرة. ولكنهم في النهاية عجزوا عن مواصلة المقاومة فاضطر الجورو إلى إخلاء المنطقة نزوح إلى قرية أخرى صغيرة بالقرب من (كيراتبور). إلا أن المشاكل والصدامات استمرت. وفي النهاية اتجه الراجبوت إلى الإمبراطور المغولي طلباً للمساعدة. وانضمت القوات المغولية في (سرهند) و(لاهور) إلى قوات الراجبوت وحاصروا الكورو. وكان القتال سجالاً بين الطرفين وانتهى الأمر على حال بالوفاق بين الأطراف المتحاربة وعودة الكورو إلى (أناندبور) مرة أخرى. وهناك شرع (غوبند) نفسه للمشاكل التي توقّع حدوثها وشيكاً. فحتى ذلك الوقت كانت (أناندبور) بقعة بسيطة فأخذ يحصنها ويختزن السلاح فيها. ولم تغب المشاكل التي توقعها. فقد اتصل الراجبوت مرة أخرى بالإمبراطور المغولي وحذروه من النفوذ النامي للكورو في المنطقة. ومرة أخرى أمر الإمبراطور (أورا تكريب) حكام أقاليم السند ولاهور بتعضيد الراجبوت لتدمير سلطان الكورو وأمة الخالصة. ونشب القتال من جديد وانتهى هذه المرة بموافق الكورو وأمة الخالصة. ونشب القتال من جديد وانتهى هذه المرة بموافقة الكورو على خلاء (أناندبور). وتركها بالفعل مع قليل من أتباعه وجنوده. إلا أن قوات الراجبوت والمغول لم تحترم الاتفاق المبرم بين الطرفين والذي يقضي بالسلام فلاحقته. فترك (غوبند سينغ)أمه وزوجته وابنيه الصغيرين في رعاية أحد البراهمة ثم اتجه جنوباً هارباً من وجه مهاجميه حيث وصل إلى قرية (جابتورا) منهكاً ولكن سليماً ومملوءاً بالحماس وروح الانتقام فكتب إلى (أورا تكريب) الإمبراطور المغولي:

«سوف أشعل النيران تحت حوافر خيلك، ولن أدعك أبداً تشرب من

ماء البنجاب»[٥٦].

وعلم الكورو وهو في مكانه الجديد بمقتل طفليه وموت أمه من صدمة مقتل الصغيرين وذاعت أنباء مقتل أسرة (غوبند سينغ) في كل الأنحاء. وتدفق آلاف من السيخ إلى مكان زعيمهم لمساعدته في الانتقام والثأر. وعلم الكورو أن قوات (وزير خان) المغولي تتجه نحوه. وسرعان ما نشب القتال حيث تمكن الكورو من سحق القوات المغولية في (خيدرانا) حيث سماها السيخ بعد الموقعة (حوض الخلاص) وقضى الكورو عاماً تقريباً في المنطقة انضم إليه خلالها الكثيرون.

وتحدثنا المصادر[٥٧] بعد ذلك عن رسالة كتبها الجورو إلى الإمبراطور شاكياً له من شراسة وسوء معاملة موظفيه وحكامه خاصة فيما يتعلق بجريمة مقتل أسرته على يد (وزير خان) في (سرهند). وعلى أثر ذلك أمر الإمبراطور بعدم التعرض للكورو. لكن الإمبراطور لم يعاقب (وزير خان). فقرر الكورو الذهاب بنفسه إلى الإمبراطور غير أنه علم بموت الإمبراطور وهو في الطريق إليه في مارس عام ١٧٠٧م.

واشتعلت حرب الوراثة على العرش بين أبناء الإمبراطور (أورا تكريب). ولما كان (بهادر شاه) ابن أورا تكريب قد أبدى تعاطفاً في الماضي نحو الكورو في صراعه ضد الراجبوت فقد رأى الكورو أن الوقت قد أزف لرد الجميل وتعضيد (بهادر شاه) في صراعه لاعتلاء العرش. وبالفعل قدم الكورو للأمير فرقة من جنده خاضت المعارك معه. ولما نجح (بهادرشاه) وتمكن من اعتلاء عرش دلهي ذهب إليه (غوبند سينغ) في زيارة رسمية. ورحب به الإمبراطور وأكرمه[٥٨]. ولكن الإمبراطور لم يقم بأي إجراء لمعاقبة المسؤولين عن مقتل أسرة الكورو. ورغم ذلك فإن الكورو لم يتوقف عن تعضيد الإمبراطور ضد مناوئيه وخصومه[٥٦].

وفي أثناء ذلك أُغتيل الكورو على يد اثنين من الباتان المسلمين لأسباب غير معروفة. وقبل موته جمع الكورو أتباعه ليخبرهم أن سلسلة

(الكورو) تنتهي به وأن على السيخ بعده الالتفاف حول (الجرانت) كتابهم المقدس. ومات الكورو في ٧ أكتوبر عام ١٧٠٨م.

ثورة الفلاحين السيخ في البنجاب:

لم تتوقف مناوأة السيخ للسلطة المغولية الحاكمة في الهند، بل استمرت متأججة حتى بعد مقتل كورود (غوبند سينغ).

وقد حاول الكورو طويلاً قبل موته إقناع الإمبراطور (بهادر شاه) بمعاقبة (وزير خان) لدوره في مقتل أسرته لكن دون جدوى. وفي نفس الوقت كان الكورو قد أرسل ببعض أتباعه إلى البنجاب لإثارة الفلاحين هناك ودفعهم نحو الثورة في حالة فشله في الاقتصاص من قتلة أسرته. ولم تكن مهمة هؤلاء الأتباع إثارة فلاحي البنجاب فقط بل أيضاً معاقبة هؤلاء الذين تعرض السيخ على أيديهم للاضطهاد والذين تسببوا في مقتل طفلي رأم الكورو.

وقد أطلق الكورو على واحد من هؤلاء الأتباع هو (لاشمان داس) - يبدو أنه كان أكثرهم فيهما وحماساً لمهمته المزدوجة - اسم (بنده) أي (العبد) وهو اسم اختاره لنفسه لوصف علاقته بالكورو. وتصفه بعض الكتابات أيضاً باسم (الكورو الزائف).

وتوجه (بنده) إلى الدكن ثم اتجه شمالاً. وعلم وهو بالقرب من دلهي أن الإمبراطور متورط في حرب ضد أخيه في الدكن كما أن الراجبوت قاموا بالثورة ضده. كذلك تلقى (بنده) أخبار اغتيال سيده الكورو فأخذ في جمع المحاربن واستدعائهم من كل مكان للالتفاف حوله ثم اتجه إلى سفوح التلال التلال الواقعة في شمال شرق مدينة (سرهند) حيث اعتاد الجورو (جوبند سينج) الاحتماء في بداية أمره. وتجمع حول (بنده) ما يقرب من أربعين ألف رجل جندوا أساساً من بين الطبقات الهندوسية الدنيا. ورغم أن الكورو كان قد حدد مهمة (بنده) كقائد حملة تأديبية فقط

إلا أن (بنده) وسع من نطاق مهمته لتتضمن القيادة الروحية أيضاً. فبدأت الجموع تفد على معسكره والمسلحون ينضمون إلى صفوفه والنساء يحاولن الحصول على بركاته والمرضى على دعواته. ولما كان (بنده) من النساك الزاهدين فقد أغضى عن الماديات وانتشرت قصص تقواه فبدأت الأموال تتكاثر بين يديه وازداد التفاف الناس حوله وزادت شعبيته ومن ثم أصدر إعلاناً يتضمن حمايته لكل من يهدده اللصوص أو قطاع الطرق أو المسلمون المتعصبون ولكل من الحق به ظلم أو حاق به أذى. وكان الإعلان بمثابة الشرارة التي أشعلت الأوضاع. فثار فلاحو (مالوه Malwa) ضد كبار ملاك الأرض والموظفين المحليين وفتح (بنده) الباب على مصراعيه لفيضان من الكراهية كان كامناً في النفوس. ولم يكن (بنده) ليستطيع بعد ذلك أن يفعل شيئاً سوى ركوب موجه العنف التي ترك لها العنان. وكانت مدينة (سونيبات ـ Sonepat) أول مدينة رئيسية يدخلها (بنده). وهناك عمل فيها رجاله تخريباً وتدميراً ونهباً وسلباً ثم وزع (بنده) الأسلاب على رجاله كما أرسل في نفس الوقت بمجموعة منهم إلى مدينة (كيتال ـ Kaithal) وأخرى إلى مدينة (سامانا ـ Samena). وسقطت الأولى دون مقاومة تذكر أما الثانية (وكانت مشهورة بثرائها ورجالها ومبانيها ومساجدها كما كانت أيضاً مدينة قتلة الكورو التاسع وأبناء الكورو العاشر) فقد دمرت تماماً في نوفمبر عام ١٧٠٩ م عندما هاجم أتباع (بنده) المدينة وسكانها الآمنين وأعملوا فيهم القتل. وبعد أيام ثلاثة من المقاومة لم يكن يشاهد فيها إلا ألوف الأجساد ملقاة في الطرقات. ويصف أحد الدارسين ما حل بالمدينة قائلاً:

«كان تدمير المدينة وسكانها من أفظع ما شاهدته الهند في تاريخها من صور التدمير والمآسي. فقد حل بالمدينة ما لا يمكن تصوره من مظاهر الوحشية وأملت روح الانتقام ما يفوق الخيال من أعمال القسوة والعنف. ولم ينجو من المجازر التي حدثت بالمدينة إلا هؤلاء الذين أعلنوا إيمانهم

بالعقيدة السيخية وطقوسها».

كانت (سامانا) أول انتصار ملحوظ لبنده وجيوشه. ولم يعد (وزير خان) حاكم سرهند يشك في نوايا (بنده) بعد ما ألحقه بمدينة (سامانا) وما جاورها من مناطق. ووصلته الأنباء أن الفلاحين المسلحين في أنحاء المناطق الوسطى للبنجاب يستعدون للزحف على (سرهند). فأرسل إلى الإمبراطور طالباً التعضيد ولم يكن ليستطيع أن يفعل شيئاً سوى إعاقة فلاحي (ماجهيل - Majhail) في شمال نهر ستلج من عبور النهر للانضمام إلى إخوانهم فلاحي (مالوه) تحت قيادة (بنده) فأرسل ببعض قواته لتحقيق ذلك الهدف وواصل (بنده) مسيرته الوحشية المظفرة في (مالوا) ناهباً ومخرباً كل مدينة في طريقه حتى وصل إلى (سرهند) مدينة (وزير خان) قاتل أسرة الكورو. وأقبلت شهور الشتاء حيث أمضاها (بنده) ورجاله في التدريبات وجمع السلاح. ولما كان (بنده) قد وعد الفلاحين المحرومين بالأرض والناس بالأسلاب فلم تقابله أية صعوبة بالنسبة للرجال. لكن حاجته كانت شديدة بالنسبة للمدافع والبنادق. وعندما حلت شهور الربيع شعر (بنده) أنه قادر على مجابهة المغول. ومن ثم قرر شن هجومه على سرهند.

واشتبكت قوات (بنده) بقوات (وزير خان). وألحق (بنده) الهزيمة بقوات وزير خان. بل قتل وزير خان في المعركة فضعفت عزيمة جنوده. وانتهت المعركة بمجزرة هائلة أعقبت الهزيمة «ولم ينجو واحد من جيش المسلمين إلا بحياته وملابسه التي يرتديها. أما الفرسان والمشاة فقد سقطوا جميعاً تحت سيوف الكفار الذين اقتفوا أثرهم حتى سرهند».

وبعد يومين هاجم (بنده) المدينة ودخلها في ٢٤ مايو عام ١٧١٠م. وكانت سرهند من المدن القديمة المزدهرة التي كان يقطنها ثراة المسلمين وتجارهم وكبار عائلاتهم المشهود لهم بالعلم وعراقة الأصل. وتعرضت المدينة بعد سقوطها لمدة أربعة أيام للتخريب والسلب والتدمير. فدنست وحرقت مساجدها وذُبح سكانها بما في ذلك النساء والأطفال. كذلك أسيئت معاملة هندوس المدينة

الذين تعاونوا مع المسلمين وبث مذابح (بنده) المخاوف في قلوب الناس. وقارن المعاصرون للأحداث تلك المذابح بالأذى الذي ألحقه فرعون ببني إسرائيل والمذابح التي أعقبت سقوط (أورشليم) ففي تلك المذابح قتل الأحياء ولم يمس الموتى. أما السيخ فلم يتركوا حتى الموتى. فقد استدعي (بنده) أحفاد أحد مشاهير العلم والتصوف (شاه فايز قادري) وخيرهم بين بقائهم على قيد الحياة أو أن يقوموا بتدمير مساجدهم وقبر جدهم الأكبر بأيديهم. ورضخ الأحفاد ـ مغلوبين على أمرهم ـ لتنفيذ ما طلب. عندئذ أعلن (بنده) أن العدل يقضي بأن يمحى من على وجه الأرض هؤلاء الذين يهبطون بأنفسهم إلى مستوى تدمير أماكنهم المقدسة ومقابر أجدادهم بأيديهم ثم أُمر بتعذيبهم وقتلهم.

وأصبح (بنده) الآن السيد الفعلي لكل المناطق الواقعة بين نهري (جمنا) و(ستلج). وتحول عدد كبير من هندوس ومسلمي تلك المناطق إلى العقيدة السيخية إما خوفاً أو طمعاً في كسب أو إيماناً وعندما اطمأن (بنده) إلى قوته ونفوذه أطلق على نفسه لقب (الإمبراطور). وهكذا أضاف (بنده) لقباً ثالثاً إلى لقبيه الأوليين ـ (بنده الناسك) و(بنده الشجاع). ثم أعلن (بنده) عن تقويم جديد يبدأ باستيلائه على (سرهند) ثم ضرب العملة تحمل جورو (نانك) و(جوبند) وكذلك أبياتاً من الشعر بالفارسية رديئة المستوى نسبها إلى نفسه. وقد وضع السيخ تلك الأبيات على العملة التي ضربوها في لاهور عندما أقاموا مملكتهم المستقلة في البنجاب. والحقيقة أن (بنده) كان محارباً أفضل منه شاعراً. لكنه لم يكتف بالسلطة السياسية والعسكرية بل أبى إلا أن تخضع قواعد اللغة إلى هواه فأمر بتغيير نهايات كل الأسماء المؤنثة في الأوردية والفارسية والهندية إلى نهايات مذكرة، ولما علم (بنده) أن الإمبراطور المغولي سيتأخر في العودة إلى دلهي العاصمة قرر انتهاز الفرصة لتدمير كل ما تبقى من آثار السلطة المغولية في شمال الهند فعبر نهر (جمنا) وحاصر مدينة سهارنبور (Saharanpur) كان وصوله إلى هناك إيذاناً باشتعال ثورة رعاة مناطق

(الجوجار ـ Gujjar) ضد كبار ملاك الأرض و الحكام الذين قاسو من حكمهم وسوء معاملتهم. وأطلق الثوار على أنفسهم اسم (أتباع نانك) ثم انضموا إلى إخوانهم فلاحي البنجاب. عندئذ أخذ القادة العسكريون وغيرهم في الفرار إلى دلهي. أما الآخرون الذين فضلوا البقاء فقد حاربوا بشجاعة ونالوا في النهاية شرف الشهادة.

ولما سقطت (سهارنبور) نُهبت وخُربت. ثم سقطت بعدها مدن أخرى. وانتشر الذعر بين الناس في تلك المناطق وشرع الأثرياء يفرون إلى (أود) أو يلتجأون إلى التلال في الشمال. وقد كانت رؤية واحد حاملي الرمح السيخ على ظهر جواده كافية لبث الرعب في أي منطقة يظهر فيها. ويلخص لنا أحد المؤرخين البارزين أثر الثورة التي حدثت في عام واحد بقوله:

«كان في قدرة أحقر حقير أن يترك موطنه وينضم إلى (بنده) ثم يعود بعد فترة إلى موطنه حاكماً يحمل قرار تعيينه في يده. وحالما تطأ قدماه أرض موطنه يخرج الأثرياء وأبناء الأسر العريقة لتحيته ومصاحبته إلى داره. ولا يمكن لفرد عصيان أمره وحتى هؤلاء الذين طالما غامروا بأنفسهم في ميدان الحرب كانوا يخشون من رفع أصواتهم بالاعتراض. ولم يستثنى الهندوس الذين لم ينضموا إلى السيخ من تلك المعاملة».

وعبر (بنده) نهر (جمنا) عائداً إلى البنجاب بعد أن رفع حصاره عن (جلال آباد) نتيجة موسم الأمطار. وشجعت عودة (بنده) إلى البنجاب فلاحي مالوه فهزموا قائداً ناحية (راهون) واستولوا على مدينتي (جولاندر) و(هوشياربور). وانتشرت الثورة عبر نهر (ستلج) إلى كل المناطق المجاورة. وزحفت جيوش الفلاحين شمالاً نحو التلال حيث استولوا على كثير من القرى والمدن. وأصبحت البنجاب كلها مثل بحر متدفق بالفلاحين الأحرار باستثناء (جزيرتين) كانتا لا تزالان تحت السيطرة المغولية ـ مدينة (لاهور) عاصمة البنجاب ومدينة (كسور ـ Kasur). وحاولت السلطات المحلية المغولية إخماد الثورة عن طريق استغلال المشاعر

الدينية لدى الفلاحين المسلمين. وقد نجحت تلك السياسة بعض الوقت. وقام الفلاحون المسلمون بتعضيد القوات المغولية التي تمكنت بذلك من إبقاء السيخ بعيداً عن (لاهور) بأميال قليلة. إلا أن تعاطف الفلاحين المسلمين مع إخوانهم غير المسلمين عاد من جديد نظراً لما كان جميعهم يلاقونه على يد ملاك الأرض من عنت وظلم.

وتقدم السيخ نحو (لاهور) وفي كل المناطق التي تمتد من نهر (جمنا) إلى نهر (رافي) لم يكن ثمة شخص ذو أهمية إلا (بنده) ولم تكن هناك قوة ذات مهابة واحترام سوى قوة جيش الفلاحين. ولو كان (بنده) آنذاك قد أظهر شيئاً من التطلع والطموح لكان في مقدوره - في تلك الظروف - الاستيلاء على دلهي ولاهور. لكن (بنده) لم يفعل. وكلفه ذلك الكثير فيما بعد. وفي نفس الوقت أسرع الإمبراطور (بهادر شاه) شمالاً نحو البنجاب حيث راعته أنباء انتصارات وغارات ومجازر (بنده). وأمر الإمبراطور بالتعبئة العامة لكل قواته في (دلهي) و(أتار برادش) و(أود). كذلك أعلن عن حاجته إلى متطوعين للجهاد ضد السيخ. وحث الإمبراطور أيضاً رؤساء الراجبوت على الانضمام إليه في حملته وتحرك الإمبراطور وأبناؤه الأربعة بجيش يقوده (فيروز خان). وقام (فيروز خان) بالهجوم على الفور وهزم جيش الفلاحين في (آمين جر) وفي خلال شهر واحد تمكن جيش الإمبراطور من استعادة الكثير من المناطق. وفي شهر ديسمبر عام ١٧١٠م عاد الحكم المغولي مرة أخرى إلى سهول (مالوا).

وتقهقر (بنده) إلى قلعته في الجبال إلا أن قوات الإمبراطور تابعته ولاحقته واشتبك الطرفان في قتال عنيف. وأوقع السيخ في قلوب قوات المغول الرعب نظراً لما أشيع من قصص عن (بنده) وعن قدرته في تغيير مسار طلقة البندقية وكذلك قدرته السحرية على حماية رجاله من أذى الرمح أو السيف.

وحاصرت القوات المغولية القلعة. لكن (بنده) ومجموعة من رجاله

تمكنوا من الفرار ليلاً. وفي اليوم التالي دخل المغول القلعة وأسروا من بقي فيها من رجال من بينهم شخص يدعى (كُلاب سينج (Gulab - Singh) ادعى أنه (بنده) نفسه كي ينقذ زعيمه. لكن المغول كما يقول أحد الكتاب اكتشفوا أنهم قد (أسروا البومة أما النسر فقد طار).

واستمر (بنده) بعد فراره يبعث بأوامره وإعلاناته التي تحث الناس على تحرير البنجاب مرة أخرى والانضمام إليه في (كيراتبور) للهبوط إلى السهول. وفي ربيع عام ١٧١١م هبط (بنده) إلى سهول البنجاب ثانية وألحق هزيمة بجيوش المغول في عام ١٧١م بالقرب من (جامو) كما استولى على بعض المدن. عندئذ قام الإمبراطور بنفسه باقتفاء أثر (بنده) الذي تراجع إلى التلال. ووصل الإمبراطور إلى «لاهور» في أغسطس عام ١٧١١م وظل «بنده» يتحدى السلطة المغولية ومات الإمبراطور على كل حال في فبراير عام ١٧١٢م وبدأت حرب الوراثة على العرش بين أبنائه وكان من الممكن لبنده أن ينتهز تلك الظروف الجديدة لكنه مرة أخرى لم يفعل. وهبط « بنده » إلى سهول البنجاب واستولى على بعض المناطق من جديد. ولما كسب «جهاندار شاه» معركة وراثة العرش وبعد أن استقرت له الأمور قرر مواجهة السيخ والقضاء على الثورة في البنجاب، وتمكنت جيوشه بالفعل من إحكام الحصار على (بنده) وجيوشه لمدة ثمانية أشهر. لكن خفت وطأة الحصار نتيجة قيام ابن أخ الإمبراطور الأمير (فروخ سيار) بالثورة ضده وتمكن (فروخ) بعد قليل من اعتلاء عرش دلهي. وتابع الإمبراطور الجديد سياسة سلفه في محاولة القضاء على السيخ وعلى الثورة ووجه اثنين من أقدر قواده - عبد الصمد خان - وابنه زكريا خان بمهمة محددة تنحصر في القضاء على (بنده).

ونجحت قوات عبد الصمد خان في دفع (بنده) إلى التراجع والتقهقر نحو الهمالايا. وبهذا الشكل اعتبرت السلطات المغولية أنها انتهت من القضاء على ثورة الفلاحين. وتم استدعاء عبد الصمد خان وابنه إلى دلهي

حيث تم تكريمهما وتكليفهما بمهام أخرى.

واختفى (بنده) عن مسرح أحداث البنجاب لمدة عام حيث استقر في قرية صغيرة في (جامو) مع زوجتيه وأطفاله لكن زعماء الفلاحين السيخ في السهول كانوا لا يزالون يحتفظون بنشاطهم الثوري. فأرسل الإمبراطور (فروخ) قائده عبد الصمد خان وابنه (لمعاقبة وتأديب تلك الطائفة المكروهة والمنحطة من السيخ). وهاجم جيش من الفلاحين يتكون من سبعة آلاف قوات المغول. ورغم نجاح القوات المغولية في صد الهجوم إلا أنه بات واضحاً أن الفلاحين لن يتوقفوا عن الثورة. وشجع ذلك (بنده) على قيادة الثوار من جديد.

وفي فبراير هبط (بنده) لمجابهة المغول. وجمع عبد الصمد خان قواته وتحرك لمقابلة (بنده) شمالاً - وكان قد عسكر في قرية بالقرب من (باتالا) - وتمكنت المدفعية من حسم المعركة لمصلحة المغول. وأخذ (بنده) يتنقل من موقع إلى آخر ثم اتجه شمالاً. وبدلاً من أن يختفي في الجبال توقف بالقرب من مدينة (جورد اسبور **Gurdaspur**) حيث قام بقطع إحدى القنوات لإغراق المناطق المحيطة آملاً بذلك أن يكون بمنأى عن تأثير مدفعية المغول. وكان ما فعله (بنده) في الواقع عاملاً حاسماً في هزيمته، فقد قطع على نفسه خط الإمداد والتموين ونجح عبد الصمد خان في إحكام الحصار على (بنده) الذي قام رجاله بأعمال جسورة وجابهوا الحصار بشجاعة تحدثت عنها ووصفتها المصادر المعاصرة. وأُرسلت تعزيزات من دلهي وأقام عبد الصمد خان حائطاً حول المحاصرين حتى يمنع هربهم. وكان الخوف من قوى (بنده) السحرية شديداً كما كان قلق الإمساك به أشد. فقد كان الجند المغول يقتلون على الفور الكلاب والقطط الضالة التي تخرج من القلعة خوفاً من أن يكون (بنده) قد تقمص أحد تلك الحيوانات للهروب. وأخذت مواد تموين (بنده) في النقصان وبدأ رجاله يأكلون الخيول والبغال ثم أكلوا ثيرانهم المحرم أكلها عليهم ثم بدأت الأمراض تنتشر بينهم. واقترح بعض رجال

(بنده) خروجاً جماعياً لكن بنده رفض وطالبهم بالصبر والانتظار حتى تجبر الأمطار المغول على رفع الحصار والرحيل. وبدأ الخلاف الذي انتهى بتحدي سلطة (بنده) فهرب الكثيرون منهم تحت جنح الظلام واتجهوا إلى التلال. واستمر «بنده» في المقاومة. وفي نهاية الثمانية أشهر التي استغرقها الحصار فقد المحاصرون كل قواهم ولم يعودوا قادرين حتى على شهر سيوفهم أو حمل حرابهم. وأخيراً استسلموا في ١٧ ديسمبر عام ١٧١٥ م دون شروط بعد أن وعدهم عبدالصمد خان بأن يتشفع لهم لدى الإمبراطور.

وقد أبدى خصوم (بنده) إعجاباً شديداً بموقفه وشجاعته ومقاومته البطولية. وينسب أحد المؤرخين المسلمين المعاصرين للأحداث استسلام (بنده) إلى «رحمة الله» بالناس وليس نتيجة حكمة أو شجاعة الجيش المغولي.

وأُخذ السيخ أسرى بعد أن تم قتل الكثيرين منهم وبعد أن تم استعراضهم في شوارع دلهي. وبدأ إعدامهم في ٥ مارس عام ١٧١٦م واستمر لمدة أسبوع. وشاهد أهل دلهي عملية الإعدام وحضرها كذلك اثنان من البريطانيين كانا في البلاط المغولي وكتبا وصفاً لما رأياه. وخضع (بنده) لمدة ثلاثة شهور لتعذيب مستمر على أمل أن يخبر السلطات عن ثرواته الهائلة التي أُشيع أنه تمكن من جمعها.

وفي ١٩ يونيه عام ١٧١٦م سيق (بنده) وابنه البالغ من العمر أربع سنوات وخمسة من قواده إلى مكان الإعدام. وعُرض على (بنده) قبل إعدامه العفو عنه إذا ما اعتنق الإسلام لكنه رفض. عندئذ أمسكوا بابنه الصغير وقطعوه إرباً أمام أبيه. ثم تم إعدام الجميع. وقد أبدى السيخ بشكل عام روحاً صلبة وصبراً وصموداً أدهش الجميع. وبلغ ارتباطهم بزعيمهم وإخلاصهم له حداً رائعاً. وسُمي يوم الإعدام في تاريخهم باسم (مكنى) أي (الخلاص).

ورغم نجاح (بنده) قصير الأمد إلا أنه أظهر بجلاء سوء أحوال الفلاحين وبالتالي عدم رضاهم وسخطهم على الأحوال.

كذلك أظهر ضعف الإدارة. وفي خلال سبع سنوات عاصفة تغيرت بنية طبقة الملاك في البنجاب وذلك عندما تمت تصفية ممتلكات ملاك الأراضي المسلمين في مالوا وسهل جولاندر. فقد فتت تلك الملكيات الكبيرة ووزعت على المزارعين السيخ والهندوس. ومع قيام سلطة السيخ فيما بعد تجمعت تلك الملكيات الصغيرة مرة أخرى لتكون ملكيات كبيرة في أيدي رؤساء السيخ أنفسهم.

ولقد كان من المقدر لثورة الفلاحين في البنجاب أن تعمل على بث روح الوطنية البنجابية في الناس. لكن ما قام به (بنده) من أعمال العنف وما ألحقه بالناس والبلاد من تخريب ودمار مثل نكسة في الحركة الوطنية البنجابية فتحول الفلاحون المسلمون إلى عناصر مناوئة للسيخ مثل حكومتهم - الحكومة المغولية وبالتالي نظر المسلمون إلى (بنده) مثلما نظر إليه أحد مؤرخي المسلمين آنذاك - وحشاً همجياً شكلته الطبيعة على هيئة جزار. ولقد اختلفت تقديرات المؤرخين على كل حال بالنسبة إلى (بنده) وإلى ما تمثله حركته. فالمؤرخون المسلمون اعتبروه عدواً للإسلام كما أنهم بالغوا في قصص المذابح التي ارتكبها أتباعه. أما غير المسلمين من المؤرخين في شبه القارة الهندية فقد بالغوا كذلك في تمجيده والإشادة به.

وكما أشار أحد الدارسين فإنه لا يمكن الوثوق تماماً فيما دونه الكتّاب المسلمون وكذلك لا يمكن الوثوق فيما أورده الكتّاب السيخ.

ولا شك أن أتباع (بنده) قد مارسوا سلوكاً همجياً طالما مارسته الجيوش المنتصرة آنذاك ولكن ما ينبغي أن نفهمه هو أن حركة (بنده) كانت في حقيقتها (ثورة) قام بها فلاحو البنجاب ولم تكن حركة صليبية مناوئة للإسلام في جوهرها أو أساسها. فضلاً على ذلك كانت الحركة حلقة مهمة من حلقات التاريخ السياسي للسيخ(*).

(*) تاريخ السيخ الديني والسياسي من القرن ١٥ إلى القرن ١٩، دار المعرفة الجامعية، الاسكندرية ١٩٨٧ (ص ٤٧ وما بعدها).

بهغفت غيت

بهاغفت غيتا

श्रीमद्भगवद्गीता

الله احد ذو الوجود الدائم لا يزول و
هو الخالق المطلق للعالم كلّه وليس هو
خائفاً ولا عداوة له على احد فانه
غير محدود من اى قيود الازمنة اطلاقاً
اذ ظهور كيانه هو من تلقاء نفسه
بعينه وايضاً مبرءاً من قيد الولادة.
احفظ ذكره اذ التقرّب اليه لمن
تكرم الله عليه

يا نانك كان ذاته قائماً منذ
قبل الازل بالذات وهكذا سوف
لا يزال قائماً حتّى ابد الابدين
مستقبلاً

مستقاة من الاصحاح الاوّل
من الصحيفة المقدّسة السيخيّة

مذكرة تاريخية فلسفية

تعتبر صحيفة "بهاغفت غيتا" المقدسة بلاغاً الوهياً موجهاً للشعب الهندي التي قد تم تاليفها على يد الشخصية الملهمة اسمها "ويد فياس" الذي اطلقوا عليه لقب "مهارشي" بحكم جدارته التامة وتمكنه المحيط في العلوم الفلسفية والروحية اما هذه الصحيفة المذكور املاه فتحتوي على ثمانية عشر فصلاً و كذالك تحتوي على ٧٠١ شعر وعلى وجه التحديد هذه الصحيفة هي ترتيلة فلسفية دينية التي تسلط الاضواء على فكرة الهند المعينة على جوانبها العرفانية هكذا تحتل هذه الصحيفة مكاناً بارزاً وسط ادب السنسكريتية وبحيث انها مجموعة الاشعار الدينية اكثر شيوعاً وصيتاً من مثيلاتها في الهند فتعترف بها مقدسة لدى عامة طبقات هندوكية تقريباً وبالرغم عن انقضاء احقاب طويلة من القرون سنوات على تاليف تلك الصحيفة مع ذالك لم يقع اي من التحول او النقص فيها على الاطلاق وذالك بفعل نزعة معتقدات اللامتناهية وواضعاً تفكيراتها الفلسفية العلمية السامية منظراً

على ذالك الكتاب المقدّس لن نكون ملاحظتنا غير مبرر اذا قلنا بان
نادراً ما يمكن تواجد اغانٍ روحيّة مماثلة لها في ايّة كتب اخرى
في العالم قاطبةً على الفرض فيما لو وُجدت لن تكون لها ايّة اهميّة
الوهتيه مثلما تتّصف "بهاغفت غيتا" وتحظى بها منذ قِدَماً
بحيث ان جميع هٰذه الكتب تقليدية وفوق ذالك فيما اذا كان
بوسع اى شئٍ ان يؤثّر على التفكير الهندي اكثر عمقاً فليس هنالك
كتاب آخر الّا وهي الصحيفة "بهاغفت غيتا" فحسب

بيد انّه الرسالة الروحيّه المتضمّنة في "بهاغفت غيتا"
فهي ابسط واقرب الفهم حقّاً اذ تحتوي على كذا تعليمات ومبادئ
آلتي يمكن العمل بها من قبل كلّ فرد من نوع البشرى غنياً كان او
محتاجاً معدوماً على حدّ السّواء بحيث تلك التعليمات والمبادى باسرها
تستوقّف على الفلسفة الهندوكية الدينيّة الّتي يحظى صاحبها
بجانب كثير مِن اوسع وجهة النظر بما ان تلك وجهة النظر ليست
متّصفة بانتقاد وتحتلّ موضعاً متميّزاً بصفة عدم توجيه
مخاطبتها لآيّة طبقة معينّة ولا هي تتقدّم بايّة عقيدة جديدة
على عامة النّاس وبل هي تعترف بكلّ الاساليب والطرق ازاء تعبّد
لله غير مناهضة لايّ اسلوب او مشرب اطلاقاً

وكما شُوهد بانّه مستحيل جدّاً تحديد الامر او بتّ في
القضية متى كان تمّ تاليف تلك الصحيفة اذ عند الباحثين الافاضل لهم
النظريات الشتّى بهذا الصدد كما بعضهم يزعم بانّها هذه
الصحيفة تتكوّن جزءاً للصحيفة الأُخرى المسماة بـ ملحمة

"مهابهارت" الا ان خلافا لذالك يذهب بعضهم الآخر من العلماء الباحثين الى ان صحيفة بهاغفت غيتا قد جاء تاليفها ابعد بمراحل جداً من تاليف صحيفة "مهابهارت" باحقاب طويلة من الزمن بحيث فيما يتعلق بملحمة "مهابهارت" وروائتها فقد استخدم بها كخلفية ليس الا

فى نفس الوقت يتبين لنا من خلال تتبع اسلوب التحرير والروى والقوافى وكذالك من ملامح متميزة اخرى على الاختلاف بان جاء تاليفها منذ ثلاثة الوف ومائتين وخمسين سنة قبل ميلاد المسيح تقريباً۔

اضف الى ذالك فيما اذا قوبلت الصحيفة "بهاغفت غيتا" على الكتب الهندوكية الاخرى فقد وجدنا بان صاحب هذه الصحيفة كان قد اصبح متأثراً اقل كان او اكثر بكافة وجهات النظر الفلسفية والدينية العقيدتية تقريباً وكما نرى بان الصحيفة "بهاغفت غيتا" لا تعارض المبادئ المتضمنة فى "فيدات" اطلاقاً وبل تاليفها على حسب تعاليمها بالذات والى جانب ذالك جدير بالذكر بان ليس فى امكان لواحد ان يضطلع بكمال واتقان وبراعة فى مجال علوم المعرفة طالما لم يتتبع او يمتثل امتثالاً للمبادئ من "فيدات" الاربعة ورغماً كل ذالك لا تعترف الصحيفة "بهاغفت غيتا" بعظمة جميع آلهة لمن جاء ذكرهم فى "فيدات" الاربعة

على ان ماخذ "بهاغفت غيتا" الفلسفى الروحى هو يرجع الى كتب "ابنشد" بحيث قد لوحظ بان عدة الاشعار المتضمنة فى "بهاغفت غيتا" ومحتويات "ابنشدات" توجد مضارعة بينهما ولو ان لا يوجد اى ذكر حول الفلسفة

البوذيّة فيها اطلاقا مع ذالك هناك لا تزال وجود نفس التفكيرات الّتى قد سبق ان تقدّمت بها الفلسفة البوذية هٰذا وان ترفض هاتان الفلسفتان صفة حتميّة للفيدلت اذ لا تعتبر ان كلتاهما بقيود شديدة والفوارق الطبقيّة الاجتماعيّه بين نوع البشري مثلما تعبّران تعبيراً عن نفس النوازع و العواطف الّتى قلّبت تقليباً موازين التقاليد الدينيّة وقياساً على ذالك كلّه لن يكون القول غير مبرر بالرغم عن تواجد مماثلة بين هاتين الفلسفتين اذ قلنا بان وجهة النظر ملترمة بها من قبل "بهاغفت غيتا" هى اكثر ميلاً الى المذهب الاثري القديمى مقابل فلسفة البوذيّة واليضاً فوق تلك الاعتبارات هناك نلاحظ ميزة اخرىٰ للبهاغفت غيتا الّتى يُولى اهتمامه بها اقلّ عدّد من الناس وهو بان قد نظّم تنسيق مقدمة تلك مجموعة الشعر بكذا براعة واتقان بما يبدو كما لوكان تجرى المكالمة بين كرشن وارجن امام عيوننا من الاوّل الى آخره

على التحقيق قد قيل هذا الشعر على لسان حال رجل عالم بعلم الكشف و اسمه "سنجى" الّذى يقوم بسرد كل تلك الوقائع الّتى كانت تجرى فى حومة القتال عن طريق روئة حدوث هذه الوقاع باسرها تظهر مشاهد هاحيةً على وجه الكشف بالذات وبعد ذالك هو يفسّرها اوّل باوّل امام دهرت راشتر هذا وان الشخص الّذى قام بتقريض الشعر ليس هو مسئولاً عن صواب اوعدم صواب اسلوب البيان كما لا يمكن مؤاخذته على استخدام اية كلمة الّتى هو سرد بها تلك الوقائع -

امّا فيما يتعلق الامر بمبادئ وتعليماتها نصحيفة "بهاغفت غيتا" هى تنطوى على تعليمات خاصة لفلسفة العمل اذ لا توصى هذه المبادى لاحد بترك الامور الدنياوية ولا هى تستحسن تتبّع الاهواء والرغائب بالنسبة لشؤون دنياوية

ولوان يبدو هذان الامران فى الظاهر على نقيض بعضهما لآخر لكن فيما يتعلق بصحيفة "بهاغفت غيتا" فهى قد تناولت بحل هذه المسألة بالبراعة والدقّة القصوىٰ غيران متىٰ مانقوم نحن بعملٍ ما فيبدو فى اوّل الامر بعض الدوافع او المباعث من وراء رجوع الى قيام بذالك الامر المزمع عليه وتتمثّل لان فى ذالك الحين نفسه امامنا عاقبة لذالك العمل التّى سوف تترتّب عليه ولذا واضعاً تلك النتيجة المترقّب حدوثها فيما بعد فى نهائة الامر امام عينيه يبدأ الانسان فى قيام بذالك العمل ولوان تبدّى له ذالك العمل يدعو الى الكدح او المشقّة القصوىٰ اوكان هو يتصوّر تأديته مستحيلاً اومتعذراً عليه و فى هذا الصدد توصى لنا صحيفة "بهاغفت غيتا" بان يتحتّم على البشر فيما اذا عمل ايّما امر جسديا الّا يسمح بدخول ايّ تفكير فى ذهنه ازاء اجرما اد نتيجة العمل المزمع قيام به وبل عليه ان يقوم بذالك العمل متفرّغاً له كاملاً منصرفاً عن الامور الاُخرىٰ ومن الظاهر ليس بوسع لايّ واحدٍ اتباع ذالك المنهج بما ان يكون من وراء كلّ عمل لايّ شخص اعتيادى مثل اكل وشرب ونومة و تعدة وحتّى من وراء ادنىٰ حركاته بعض الفوائد اوارباح التّى هى تترتّب عودتها اليه كمثوبةٍ اواجرٍ فاذاً بفعل ذالك السبب نفسه تترتّب جهوده المبذولة على مفاسد ومساوٍ شتّىٰ وفى واقع الامر يثبت ذالك المنطلق نفسه جذر لكلّ النوائب والآلام ولذا آخذاً كلّ تلك الاعتبارات فى الحسبان جيّداً فقد اوصى لنا "بهاغفت غيتا" بتأدية اعمالنا تتبّعاً لمنهج غير المغرض واللّا اثرى تخلّصاً من عواطف ونوازع شتّىٰ عن طريق تولّى اساليب احسن ما يمكن اختيارها وهى

تؤكد على التزام بها مرة بعد اخرى

ان من ضمن ميزات مبادئ صحيفة "بهاغفت غيتا" البارزة هو ابراز تصوراً فى ذات الله البارى العليا، اذ هى تقول بان تتواجد ذات الله فى كل الكائنات والعالم باسره بحيث هو الله فحسب الـذى يكون مرجع لكل فرد من نوع البشرى فى خاتمة المطاف اليه لامحالة كما كل شئ بعد انعدامه وانه تارة يصبح متمثلاً و منفصماً الى ذات الله الاحد فلذالك هو يتعين على كل شخص بان يتأخذ بعض من الوسائل مستنهد فاالى تحقيق الوصال بذات الله تعالى ولا يلبث متورطاً عند ما يموت بين جذب ومد الحيٰوة والممات الملا فأ يرادبه "التناسخ" على ان خلا فاالـذالك ان شخصاً الـذى اصبح خادم اهواء ومطامحه متورطاً اسواء التورط فى مستنقعه فقد مات مراراً فى هذا العالم واجبالاً القول لاريب فيه بان معراج او معيار العمل بقصد تحقق الوصال بالله هو بان ينجذب البشر الى ذات الله عن طريق تحقيق هوية شخصية الفضلىٰ وبعبارة اُخرىٰ تكملة الشخصية من قبل البشر هو الـذى يتكون معراج او معيار العمل فحسب

فيمكن اذن الاستنتاج بان ترشدنا صحيفة "بهاغفت غيتا" الى نزنع فوق الاهواء والاطماع والعواطف المادية بكوننا غير المتأثرين بأى شئ احتفاظاً بحالتنا المتوازنة لاتزعزع فى كل حين

حتىٰ لا يفوتنا الـذكر فى خلفية تاريخية لتلك الصحيفة المقدسة بان كانت قد تبرزت صحيفة "بهاغفت غيتا" الى الوجود بعد مرور احقاب طويلة من الزمن على تاليف ملحمة "مها بهارت" الآن لما تمت كتابة "بهاغفت غيتا" كان صحيفة ملحمة مها بهارت كتاباً واحداً فقط اكثرا فياالاًعليه واوسع

شيوعاً وصيتاً في اوساط الناس حينذاك في الهند قاطبة ثمّ نظراً لانتفاع من
صيت كتاب ملحمة "مهابهارت" المقدّس وكذلك بقصد بابلاغ رسالة
متضمّنة في اطواء صحيفة "بهاغفت غيتا" الى اكبر عدد ممكن من عامّة الناس
كان قد تمّ اقتباس الخلفيّة التاريخيه من ملحمة "مهابهارت" بالذات
كان الملك "شانتو" وهو منتسباً لعائلة "كورو" ابن واحد انجبت له زوجته
الاُولى الّذى اطلق عليه اسم "بهيشم" اذ كانت انجبت له زوجته الثانية ابنين
اسم واحدهما "شترانجد" واسم الآخر "فشترويريا" وفيما يتعلّق الامر باينه
"بهيشم" كان هو قطع الوعد على نفسه بانه سيظلّ اعزب طول مدى حياته
الآن "شترانجد" كان هو قد مات قبل زواجه ثمّ بالنسبة "لفشترويريا" كان
له ابنان اسم احدهما "دهرت راشتر" واسم الآخر "باندو" اذ كان اولهما مكفوفاً
منذ حين ولادته بالذات هذا وقد تنقلّت الحكومة الى "دهرت راشتر" بعد
اذ توفّى "فشترويريا" لكنّ كان "باندو" تقلّد كلّ امور الحكومة وبعد ازمات
"باندو" خلال فترة حياة "دهرت راشتر" كان خلف بعده خمسة بنين
وهم: "يودهشتر" و"بهيم" و"ارجن" و"نكل" و"سهديف" بحيث من ضمن هؤلاء الخمسة
كانت انجبت الثلاثة الاوائل زوجة باندو الاُولى اسمها "كونتى" بينما كان اثنان
المؤخّر في الترتيب من بطن زوجة "باندو" الثانية اسمها "مادرى" وهما توامان والى
جانب ذالك كان "للدهرت راشتر" مائة ابن وكان اكبرهم سنّاً "دريودهن"
غيران في اعقاب وفاة "باندو" كان "بهيشم" اضطلع بمسؤولية عن تقلّد الامور
الحكوميّة ريثما لم يدرك هؤلاء الامراء اى بنو "باندو" سنّ بلوغهم وبين هذه
الفترة المتخلّلة كان هو قام بترتيبات تدريبهم الكافية على يد المعلّم الرّحى

اسمه "درونا اشاريه" وما هو الا ان ادرك هؤلاء الامراء جميعاً سن بلوغهم حتى قد ثار التساؤل بان ايهما يتولى الحكم اما "دريودهن" او "يدهشتر" وفى ذالك الحين كان قد قدم بعض الشيوخ الاكابر للعائلة اقترحاً بتقسيم السلطنة فيما بينهم حيث كان "دهرت راشتر" ايضاً اذعن لهذا الاقتراح الا ان عكس ذالك "دريودهن" الذى كان طماعاً اشرها وسيئ النية قد دبر خطة سرية التى انتزع بها الحكومة من "يدهشتر" عن طريق لعب القمار كان فازعليه احتيالاً وخداعاً فى لعب بالشطرنج ونتيجة لذالك كان "دريودهن" اشترط عليه ان يبقى جميع بنى "باندو" فى المنفى لغاية اثنى عشرة سنة متجولين متسكعين فى الغابات ويعيشوا عيشة الجلاء عن وطنهم وبل بعد انقضاء تلك فترة المنفى المفترض عليهم فليعيشوا ايضاً سنة واحدة اخرىٰ عيشة الحياة الخاملة المجهولة عن انظار الناس وعلى اثر قضاء فترة المنفى وبعد ايفاء بشروط كلها المفترض عليهم فقد طالب بنو "باندو" بنصيبهم فى الحكومة ورغماً عن الامر بان كان "يودهشتر" قد رضى بتسلم خمس مقاطعات تجنباً للحرب الاهلية التى عات فى امكان نشوبها مع ذالك رفض "دريودهن" رفضاً باتاً اعطاء اقل قليل حتى على قدر سم الابرة من الارض لهم وبذالك لم يبق اى مفر من نشوب الحرب المدهشة وفى حين اصطفت الجيشان من طرفين ووقفت بعضهم امام بعض الآخر اذ علن عبر حينئذٍ "ارجن" عن رغبته عند كرشن وهو ابن خاله وصديق حميم له ايضاً الذى كان سائقاً لعرابته الملكية آنذالك فى سياقة العرابة الملكية وسط الجيشين المقابلين و ما هو الا ان القى "ارجن" نواظره الى ذويه واصدقائه حتى رق قلبه منفعلاً الحد بان استوحى فى حينها بعض التفكيرات بداخل نفسه فى امتناع عن الحرب تحسباً

فى الامر بان اراقة دماء الاعزة والاقارب ليس هو امراً جميلاً مرغوباً فيه لاجل حصول على السلطنة فاذا بنصح له "كرشن" بهذه المناسبة باقواله الحسنة وعظاته المستميلة المختلفة مخاطباً له:

"يا ارجن! ... لا بد لك من قيام بالتزاماتك بعد اذ كنت قد اخذت القرار فعليه يجدر بك الا تسمح بدخول اية فكرة فى تغيير القرار بفعل استيلاء العواطف والانفعالات عليك ثم تحول هى حيلولة دون تأديه واجباتك

وعلى اثر استماع لمواعظ كرشن التى كان اسداها اليه يستعد "ارجن" لاقدام على الحرب مدافعاً عن حقوقه المشروعة استعداداً تاماً وفى نهائة الامر ينتصر الحق على الباطل ويصار الامر الى ظفر "ارجن" فى حومة القتال ولوان كان فى بادئ الامر الدافع المبدئى اعداد ملخص هذه الصحيفة المقدسة فحسب مع ذالك فقد اعتبر خليقاً بان يسلط الضوء على ادق والطف نقاط فلسفية عقيدية وتعليمات سامية التى تؤكد عليها الصحيفة وتوصى بالتزامها فى اطواء صفحاتها ولذا آخذ فى الحسبان نفس الامر بترجمة بعض من المقتطفات البارزة فيما يلى حتى تتجلى الفكرة المركزية الفلسفية لكل من يهتم بان يستفيد او ينتفع بها

اصغ يا ارجن لقولى: فى حين يترك المرء كل الرغائب والاطماع التى يمكن قد استوطنت فى قرار نفسه فالمرء الذى يرتضى عن نفسه فهو يُعد على بحكم تلك الممارسة صاحب العقل المستقر وعلى هذا النحو الذى لا يشعر باى قلق عند اصابته بالالم اوالنائبة وكذالك لا يلبث يمتلك اية رغبة فى الحصول على رغادة او يسر او رخاء كما يكون عنده قد انقضى وانطمس كل من الخوف والخطورة والغضب فلاريب فيه

بان يُدعى ذالك "مُنى" صاحب التعقّل المستقرّ بفعل نزعته الطبيعية الخاصّة وايضاً على هذا النحو المرء الّذى لايزال غير مرتبط باىّ امر دائماً الّا هو يصبح متأثراً باية الحالتين السّراء والضرّاء لايلبث يستوعب اىّ تأثر من الفرحة ولا يصبح متأثراً من الشقاوة او الكارثة الّتى يعتريها فى ايّة مرحلة من مراحل حياته بحيث هو غير مستاء أمن حلول ايّة كارثة فهو صاحب التعقل المستقر حقّاً

مثلما تنكمش السلحفاة باعضائها فى داخل ظهرها المحدّب لكيما تصبح سالمة آمنة ممّا حولها فى الخارج تماماً كذالك لمّا ينسحب المرء ببواطن حواسه الخمس من الشهوات والاطماع فيصبح تعقّله بتلك المزاولة مستقراً ثابتاً وايضاً المرء الّذى يكون فى حوزته نفس مستقلّة وبذالك يعيش عيشة متجرّداً من انفعال البغضاء والاحن وهو يمارس كافّة الرغبات والمطامح عن طريق التحكّم فى حواسه الخمس بصورة بما يفوز بطمانينة نفسه وبذالك فى خاتمة المطاف تصير كلّ مصائبه وآلامه واحزانه مقضياً عليها فسرعان ما يصبح تعقّله مستقرّاً زكيّاً غير مشبوهاً

يا ارجن! انّما البغية او الرّغبة التى تنبعث عن قيام باىّ فعل بمقتضى صفة الطموحى रजो गुण المستوطنة فى اطواء النفس تسمّى تلك الرغبة غضباً والمرء من يكون قد اعتاد على استيعاب تلك الصفة وبالتالى لا تجتزى نفسه بالاكتفاء بالشهوات كما لايزال متعطّشاً مثلما لا تتطلع أنّ النار من التهام الحطب التهاماً فيُدعى ذالك المرء اثيماً فاسقاً فقياساً على ذالك اعتبرانتَ مثل ذالك المرء عدوّاً لك بما ان قد صار العرفان مغطّىً عنه على انه فيما يتعلق الامر بالحواس الخمس بعد اذا اخذت مأخذة على التعقّل والنفس كليهما فهى لتغطّى المعرفة

بالله وتحول دون تحقيق الحقيقة المنتهية وبالتالى تجعل هذا الشهوة لىروح المرء مضلّةً منحرفةً عن الصراط المستقيم

ونظراً لكل ذالك يتحتّم عليك فى بادئ الامر ان تقتل تلك الشهوة عن طريق التحكّم فى حواسك الخمس التى هى تدمر تحقيق مرحلة العرفان وايضاً تحول حيلولة دون اتصال بالله وفيما لوتظنّ انتَ بانك ليس فى مقتدرتك ان تقتل عدوك اى الشهوة متمثلاً فى الحواس الخمس انتَ مخطئ جداً بذالك تفكّرك بحيث ان من وراء تلك الحواس الخمس هناك يتواجد التعقّل وثمّ من وراء التعقّل تتواجد الروح فاذاً على هذا النمط فلتكن انتَ متعرّفاً على الروح التى هى من وراء التعقّل عبارة عنه تلك الروح التى اشدّ دقّةً ولطافةً كما اقوى واعظم من اية القوى الأُخرى فلتحكّم انتَ فى نفسك الامارّة عن طريق استرشاد بالتعقّل يتعيّن عليك ياارجن ! ان تتعرّف على قوّتك المخفية فى داخل ذاتك وبالتالى مستعينا بتلك القوة نفسها تقدّم نحو القضاء على عدوك الشهوة اللدود

وتبحث الصحيفة المقدّسة فى نظريتى العمل وعدم العمل د تفيدنا بماذا يجب علينا ان نقوم باعمال وما هى تلك الامور التى يتحتّم علينا التفادى من ممارستها فى طول مدى حياتنا المادية كما كيف يمكن لدينا الاتصال بذات الله العُليا ء مع ممارسة وايفاء بكلّ مطامحنا ورغباتنا متمسّكاً بقيود الاعتدال تجنباً من الافراط والاسراف غير متجاوزين الحدود المعيّنة لانّ ممارسة الشطط والاعتداء والرجوع للاستبداد واغتصاب حقوق غيرنا من زملائنا واقاربنا هذا يدعوالى ابتعاد عن وصال بالله وينتهى الى وخامة العاقبة

فى هذا الصدد ينصح لنا هذه الصحيفة جلياً تاماً: ان الشخص الذى يشاهد فى العمل ايضاً صفة عدم العمل فى نفس الوقت عن طريق امعاناً فى تلك تحركات التكبر التى سبق ان تفادى منها خلال قيام بالعمل وكذالك يُراعى مراعاة تامة لصفة عدم العمل فى ذالك العمل الذى يقوم به الاتقياء واولياء الله تفادياً من تلك كل المساوى او المفاسد وبعبارة اُخرىٰ هو يرى عملية الترك والتنازل فى القيام بعمل بالذات فيكون ذالك الرجل حكيماً عاقلاً وسط الناس واساساً على ذالك فتلك جميع الاعمال النزيهة والمستقيمة غير المشبوهة التى يكون المرء قد قام بها متجرداً من المطامع والرغبات والذى كان حريق العرفان قد حوّل اعماله السئية الى الرماد فيطلق عليه الاسم حكيماً عارفاً

ان الله الذى ذاته دائم الوجود فى الكائنات باسرها لايستوعب مأثم اى شخص وكذالك لايستوعب عملاً صالحاً يكون قد تمّ القيام به من قبل اىّ واحد وبل تغطى ذات الله البارى كافة انشغالات مادية تغطية تامة ولو ان يتخبط الانسان وسط الضلالة والدياجير لكن رغماً عما تقدم فالشخص الذى قد اصبح جهله منعدماً مختفئ بحكم اكتساب المعرفة بالله يسطع وعيه تصوراً فى الله كسطوع الشمس ويجعله عارفاً بذات الله الحقيقة

يا ارجن انتبه لما انا على وشيك ان اقول لك: ان الرجل الذى قد اصبح نفسه وتعقله ملتأماً تاماً مع الوصف المتقدم ذكره والذى تفرغ لله تفرغاً جمّاً بدافع واحد متمركز أى فى ذات الله البارى لقد اصبح ذالك الرجل بكونه متجرداً من الاثم والفسق ناجياً من دوران التناسخ واحرز مقاماً الوهياً سامياً وباعتبار ذالك المبدأ نفسه ان الذين تكون قلوبهم مستقرة مزكية نزيهة منصرفة عن اى شئ آخر الى الله فحسب ولاريب فيه بانهم قد حصلوا على النجاة من بحر هذه الدنيا

على ان الرّجل العارف بكونه خالٍ من وطاة الغضب والشهوة الجسدية بل هو مسئول على نفسه حقّ الاستيلاء يفوز حقاً بطمانينة قلبيّة فى كلّ مكانٍ وبذالك يحظى بوصال بالله..... يا ارجن! ان الرجل الذى تخلّى عن تفكيرات خارجية وطاف نفسه عن المطامح والرغائب تاركاً كلّها فى الخارج بدون السماح بدخولها فى داخل النفس تتبّعاً للطريق من استقرار وتركيز قوة باصرة فى وسط الجبين بجعل نسمة الهواء الّتى تجرى فى خشيم الانف وايضاً كذالك الحاجبين مستوىً متوازناً وبالتالى سيطرة على نفسه وتعقّله وحواس خمس وكذالك من اصبح غير متأثر من الخوف والغضب فذالك هو الشخص الّذى فاز بالنجاة الى الابد

يا ارجن! ان ممارسة ذالك المنهج ليس فى امكان تحققها الا من قبل الرجل الاكّال ولا من قبل الرجل الّذى لا ياكل شيئاً اطلاقاً كما ليس فى مستطاع ذالك الرجل الذى هو اكثر ميولاً الى النوم ويعتاد على ان ينام متاخراً وكذالك لا فى مستطاع الرجل الذى يستقيظ ساعاتٍ متأخرةً لكنّ خلافاً لذالك يمكن ممارسة ذالك المنهج الهالك المزيّل من كلّ الاحزان والآلام عند هؤلاء الرجل فحسب من يراعون حدّ الاعتدال فى الطعام والشرب مثلما يقومون باتّباع اوسط الطريق فى محاولتهم تقام بشأن تأدية كافّة اعمالهم وايضاً يلتزمون باعتدال فى النوم واليقظة وهكذا عملاً بذالك المنهج الّذى يوصى بمراعاة حدّ التوسّط والاعتدال الى تصير الروح متمثّلةً بالرّوح العلياء السمياء او "برماتما" يُراد به الله عزّ وجل وقد قيل بشان ذالك بان مثلما يضئ المصباح فى حالة كونه مصوناً ومأموناً من نسمات الهواء بما يستقرّ ضوؤه بدون انقطاع على التوالى ودوماً كذالك يصوّغ "يوغى" الكامل حياته عن طريق من اولة التسلّط على النفس الامّارة مغلقاً على

نفسه كلّ نوافذ ومداخل الشهوات والمطامع والرغائب الاطاييب

اصغ الى قولي يا ارجن! ان اليوغي الذي تكون نفسه متمثّلة بصورة تركيز واحد لا يتزعزع مصحوباً بتفكير في ذات الله الباري فهو ليراعي مظهر الله في كافّة الكائنات مثل مظهر الثلج نقياً شفّافاً في باطن روحه والى ان مثلما يستقيظ المرء حديث العهد بالنوم وهو يشاهد عالم الرؤيا على اساس تصوراته الباطنية هكذا بضبط يرى "اليوغي" الكائنات باسرها على اساس روحه الباطنية المتمثّلة بالروح العلياء

فلذالك يا ارجن! لاشئ آخر ما يكون له الدوام فيما عدا ذاتي وهذا العالم قاطبةً كما تشاهد هو يظلّ متشابكاً في وجودي كما لو كانت سبحات المسجة منظومةً في السمط الواحد متّسقاً متراكباً..... هاأنذا ارجن! انا لا ازال موجوداً في الماء بصورة السائل مثلما يمكن تو اجد كياني بظهر ضوء الشمس وفي سطوع القمر كليهما وانا ايضاً موجود ضمن صحف "فيدات" الاربع المقدسة بهيئة الثلاوحد كما في امكان مشاهدة وجودي في السماء بصورة كلمة واضف الى ذالك والطبائع مختلفة التي هي جبلت على الخصائل الثلاث عبارة عنها على الترتيب الآتي ستوغن **सतो गुण** اى صفة النبالة ورجوغن **रजो गुण** صفة الطموحي وتموغن **तमो गुण** صفته الرذالة فلتحسب انت جيداً بان حدوث تلك الاوصاف كلّها منسوباً الى ذاتي نفسه وفي واقع الامر ولو ان لا يزال ينبغي وجودي في تلك الاوصاف الثلاثة الآن عكس ذالك لا تتواجد تلك الاوصاف الثلاثة في وجودي اطلاقاً

تحقّق بهذا الامر بان هذا العالم قاطبةً بعد اذ تورّط في جميع الاعمال المترابطة بصفات الثلاث اى صفة النبالة وصفة الطموحي وصفة الرذالة لا

يزال ينطرح ويتجرف من تيّار المفاسد والمساوى غير واعياً متعثراً هُنا وهُناك

لكن من ناحيه اخرى يمكن العثور على وجودى الغيور مرتبط بزوال او اندثار ابد الدهر

من وراء تلك الاوصاف الثلاثة

يا ارجن! ايّاً كان العمل انت تقوم به وايّاً كان الشئ انت تاكل على سبيل

الطعام وعلى هذا النحو كلّما انت تؤدّى طقس "هافن" وتقدمة القربان وتتصدّق

كصدقات وتقوم برياضة الوهية الروحية او توفى بالفرائض الدينية الواجبة

فكرّس كلّ تلك الامور لوجهى تكريساً وفيما لو نذرت كلّ اعمالك لاجلى نذراً

مخلصاً بقلبك اسوة بقلب "سنياسى يوغى" فلتكن على يقين بان سوف تنفكّ

قيودك المتمثلة فى الرجاء او الخوف بشأن الجزاء عن اعمال الخير او اعمال السوء

بناءً على ماسبق القول اعتبر بموعظتى حقّ الاعتبار فيما لو حررت نفسك من

ورطة الاعمال لقد وجدنى وصرت متمثلاً بذاتى تمثلاً كاملاً وبالرغم

من الامر باننى لا ازال موجوداً فى الكائنات باسرها بمقتضى طبيعتى المتوازنة

السويّة بحيث لا اىّ واحد محسوب او محبوب عندى ولا انا عدو لاحد بدون

ايّة بغضاء او حفيظة مع ذالك جميع الرجال الاتقياء والصالحين الذين يسبّحون

بحمدى تسبيحاً ويرتلون ذكرى ترتيلاً متفرّغين لوجهى تماماً لا محاله انهم

اقرب منّى وهؤلاء كلّهم منتسبون الى اذ مظهرى يصبح متجسداً فى ذاتهم

جلياً كما يمكن سرد المثال على ذالك بان مثلما تظهر النار بعد استخدام الوسائل

المستلزمة كزند لاجل ايجادها بصورة اللّهب المشتعل الذى كان مختفىً قبلاً

فعلى نفس الطريق يتبرز مظهر الله دائم الوجود فى كلّ مكانٍ عياناً جلياً عند ذالك

الرجل الذى تكون له نفس زكية محافظاً على ذكر الله ويسبّح بتحميده

يا ارجن! لا اىّ واحد يعرف منشأى او مبدأى وبعبارة اخرى لا يعرف

الآلهة وكذالك لا يعرف "رشيون" المرتاضون الرياضة الروحية عظموني قط ولا هم في استطاعتهم ان يدركوا كيفية مظهري المتمثلة في لعبة الكون بحيث انني قد احدثت ولادة الآلهة جميعاً وكما تشاهد ان وجود ممارسي الرياضة قائم بوسيلتي انا بالذات وبوجه الاجمال ان الشخص الذي يعرفني متجرداً من الولادة باعتبار ان لم يلد في احد ولم الد احداً وايضاً يحققني باني بدون قيد الازل والابد بصفتي رب الارباب لجميع نوع البشري فهو ليصبح مزكياً ومطهراً من كل الذنوب وعارفاً مكشوف الصدر وسط "رشيين" فضلاً عنه من وعت نفسه هيئتي بكوني روح الارواح السامية تسمي "برماتما" وادركت عظموتي حق الادراك وكذالك المت الماماً بقوة "يوغا" مبدءاً واصلاً لقد اصبح ذالك الرجل منجذباً الي ذاتي عن وساطة رياضة "يوغا" مصحوباً بتفكير المتركز لا يزعزع

استطرد الاله كرشنا واعظاً للارجن: ان الرجال العارفين بالله لا يكترثون لاي شئ قط وفي حين انت لا تزال مستغرقاً في تفكيرات شتى متحدثاً كتحدث العالم الفيلسوف انت ملتزم بذالك موقف التعنت الذي هو ليس جديراً بك بيد انه العلماء الاحقاء لا يركزون تفكيرهم في امور احياء وموتى بحيث ان الحيوة والممات كلاهما كذب. هل ما كان ذالك المظهر قبلاً وهل سيحدث كل ذالك من الآن فصاعداً في المستقبل ومثلما للجسد ثلاثة اطوار اي طور الطفولة وطور الشباب وطور الشيخوخة ويتم انقراض فتراتها تدريجياً في حينها هكذا تماماً يتلقى الكائن الحي الجسد الآخر بعد ترك هذا الجسد فقياساً على هذا المبدأ نفسه لا يجدر بحكماء العارفين الغرام او الولوع بهذا الجسد فلتنتبه الى قولي برهة ان كلمة اللمس والجمال والرائحة

تلك هي الملذ لولات كلّها الّتي تتعلّق بالمدارك الحاسة وتعطي لنا احساساً بحرارة وبرودة وفرحة وحزن على ان الرّجال الّذين لا يسيطر عليهم تاثير المدارك الحاسّة على صورة فرحة او حزن ولاهم يتزعزعون عن موقفهم الثابت المستقرّ فاولئك هم الاشخاص من شربوا الرحيق الالوهي يكفل بحياة ابدية حتّى يحظوا العيشة الدوام هذا وان فيما يتعلّق الامر بفرحة وحزن وغيرها من الاشياء المادية الاُخرى هي كلّها عرضةٌ للزّوال والفناء وسوف تنتهي مع تمادي الوقت فلذا الك الاشخاص من لا ينزعجهم الشهوات النفسيّة والّذين يحتسبون الفرحة والحزن مساوياً فاولئك هم جدراء بالحصول على النجاة بحيث ان تنطمس كل الاشياء المادية على عكس الروح كما هي صدق الّتي لا تزال قائمةً ابدياً

امّا بالنسبة للرّوح فلا هي تتولّد ولا هي تموت بحيث انها متجرّدة من الولادة بوصفها ذات البقاء الدائم كما في حالة حدوث الهلاكة او الاندثار للجسد لا تصبح الرّوح منطمسةً منعدمةً اطلاقاً فاساساً على هذا المبدأ ان المرء الّذي يعتبر الرّوح غير قابلة الهلاكة متّصفةٌ بدوام البقاء والحقيقة الّتي غير المولودة فاذن مَن ذا الّذي يجعل ايّ رجلٍ ان يُقتَل به ؟

على ان ايضاحاً لذا الك الامر يمكن القول بان نحو ما يلبس المرء الثياب الجديدة بعد اذ خلع الثياب الرّثّة البالية فعلى نفس الطريق لا يجب ان يشعر الانسان بايّ انزعاج او ضيق عند مغادرة الجسد العتيق حتّى يتقمّص الجسد الآخر وان الرّوح لا يستطيع ايّ سلاح ان يثقّبها او ان ينفّذها اذ لا تقدر النّار ان تحترقها كما ليس في امكان الماء ان يغمسها وكذا الك لا يقدر الرياح ان تذبلها ذبولاً مثلما يعجز السلاح عن بترها بحيث انها لا تزال قائمةً دوماً لا تزعزع ولها وجود منذ الازل قِدماً ابد الدهر

تذكر جيداً يا ارجن! ان تلك الروح هي فوق نطاق المدارك الحاسة التي لا تقدر النفس على تفكير فيها فلذالك يجب عليك ان تعرف الامر حق المعرفة بان الروح متجردة من التفسد والاستهلاك والاندثار هذا وان ايمن تولد في هذا العالم لابد ان يموت وكذالك ايمن مات سوف يتولد لامحالة

ماهو تعقل مستقر؟ وكيف يمكن تحليل او تفسير تلك الصفة فقد اجيب على ذالك التساؤل على نحو فيما يلي:

انا القي عليك القول يا ارجن ان المرء الذي لا تنبعث في نفسه اية رغبة في قيام باي عمل وقد طابت نفسه فحسب بتحقق روحه الباطنية فاعتبر ذالك المرء حائزاً على التعقل المستقر والشخص الذي لا ينزعج انزعاجاً عند حلول اية نائبة او مس الضراء وكذالك لا هو يشعر باي طرب او فرحة في حالة السراء او الرخوة وبالتالي لا يسمح لاية مخافة او نوبة غضب او هرمن بدخول اليه فذالك هو الشخص يقال فيه بانه حائز على التعقل المستقر واساساً على ذالك من لا يحب اية الاشياء المادية ولا تطيب نفسه للحصول على شيئ نادر قيم وكذالك لا تحزن نفسه على تلقي اي سيئ لا هو يكثر المعاشرة مع اي واحد ولا هو يطوي كشحه على الضغن والبغضاء والحسد تجاه اي بشر فذالك هو المرء يدعى صاحب تعقل مستقر كما مثلما تنكمش السلحفاة باعضائها في داخل ظهرها المحدب احتفاظاً على نفسها هكذا يتلقص الرجال الزهاد الاتقياء بسد اركهم الحاسة مدافعين انفسهم ضد استيلاء الشهوات النفسية والرغائب المضلة بحيث ان تنتبعاً لممارسة ذالك المنهج تتطور فضيلة التعقل فيهم حتى تصير تعقلاً مستقراً تدريجياً

ولوان يتم الاستيلاء على الشهوات والى غائب بواسطة عدول عن
تناول الطعام الآن لا تزال الشهوات والمطامع باقية مستقرة فى قرار النفس
و مع ذالك المرء الذى يكون له تعقل مستقر بفعل تركيز تصوره اوبصيرته
تفكيراً فى روح الارواح العُليا اى الله البارى فتتبدد كل شهواته تبدداً
ان تلك المدارك الحاسة اقوى ماتكون من اية قوة اُخرى بحيث انها
مثار وموطن للرغبات وللدوافع النفسية فى داخل النفس التى لها قدرة على
افتنان نفس الرجل العارف القديس احياناً وبعبارة اخرىٰ هو يستعصى على
المرء التغلب على هذه الدوافع النفسية الحاسة فبناء اًعلى ماتقدم ان يوغيين
الذين صاروا منجذبين للروح الباطنية بعد اذ تحققوا الاستيلاء على هذه
هى المدارك الحاسة فهولاء هم "يوغيون" اصحاب التعقل المستقر ومن ناحية
اُخرىٰ فى حالة عدم تحقق التغلب على المدارك الحاسة لايزال وجود الفكر فى
موضع الشهوات وبفعل تحرك الفكر تنبعث الرغبة فى باطن النفس والتى بدورها
يحرض المرء تحريضاً على القيام بعمل وتتم نتيجة لتأدية العمل ينشاء الغضب و
وكذالك احياناً تنشأ المحبة التى ينجم عنها الوهم وبالتالى بوطاة الوهم يصبح
التعقل متخلاً متدهوراً وبعد ذالك يحدث ضياع اوحرمان العقل الذى
يؤدى الى هلاكة وجود البشر باكمله
عندما سُئل من الله كرشنا عن فلسفة "كرم يوغ" او "نظرية العمل
" كان هو قد فسر تلك النظرية تفسيراً واضحاً مخاطباً للارجن كآتٍ :
انتبه الى قولى يا ارجن فى هذا الصدد فقد سبق ان حدثت ولادتك
وولادتى مرات كثيرة هذا وانا على بينة من احوال تلك المواليد كلها واحداً
بواحدٍ الآن انت لا تعرف حول حقيقتها اوهيئتها اطلاقاً شيئاً ما ولوان

لا تنعدم روحي في اي حين من الاحيان وانا ربّ جميع الناس مع ذالك انا مفارقاً ومعتزلاً عن طبيعتي الحقّة انا آله بنفسي اي اتّخذ شكل الاه في اي حقب من احقاب الزمن وهذا يقع حينما تبيد الديانة وتبور الاستقامة ويتزايد اقتراف الذنوب وتتكاثر الاعتداءات واعمال البغي والتعسّف ويُصبح الصدق مقهوراً ويتبرّز الكذب جبّاراً قاهراً فبذالك السبب انا اتّخذ صورة الاه على نزاتٍ متفاوتةٍ حقباً بعد حقبٍ عصراً بعد عصرٍ حفاظاً على القديسين الاتقياء الذّين لا يزالون مشربين في رياضتهم الالوهية وكلّ ذالك حتّى اجتثّ الآثام المساوى اجتثاثاً لكيما تتوطّد الديانة وتنموهي نمواً كاملاً:

امّا الرجال الذين تبيّن لهم السرّ بعد اذ عرفوا عملية شاذّةً غير الطبيعية من وراء اعمال الولادة فانّهم لا يتولّدون مرّةً ثانيةً وبعد مغادرة جسدهم صاروا متمثّلين بذاتي فعبارةٍ أُخرىٰ سوف يتخلّصون من الوقوع في دوران التّناسخ هذا وبفضل افتضاح السرّ فوق العادة مكنوناً من وراء اتّخاذ شكل الاه مِنّي بين عصرٍ وآخر تنقضي امراضهم وتتبدّد مخافتهم وغضبهم وعلى اثر ذالك يبصرون وجودي كائناً وقائماً في كلّ الكائنات التي تتواجد بالعالم باسره معلّقين آمالهم على بوحدي ليس الّا

بفضل معرفة الله لن يفوز الافتنان والمحبّة عليك وبمزاولة تطوير المعرفة بالله سترى كلّ الرّجال في المواجد وحلك وفي ذاتي وثمّ تنقطع كلّ الآثام والاوجاع التي تكون قد تمخضّت عن الذنوب كُنتَ قد اقترفتها وعياً او غير وعي في اي حين من الاحيان وايضاً سوف تعبر بحر الكوارث والنوائب راكوباً على متن سفينة معرفة بالله

أُنظر يا ارجن! مثلما تحوّل النار للحطب الى رمادٍ بفعل احتراقها هكذا

بضبطٍ تصيّر نار مأثرة معرفة الله لحطب الافتتان والمظاهر المختلبة رماداً

ولذا بطبعية الحال يمكن الحصول على تلك معرفة بالله عن طريق مزاولة "كرم يوغ" من قبل ذالك الرجل الذي يكون قد مارس ممارسة تامة في تغلّب على مداركه الحاسة وما هو الآن احرز الانسان معرفة بالله، حتّى فاز بنجاة وتخلّص فاصبح سالماً آمناً

حتّى يتّضح الامر ويتبدّد الشكّ كان قد قال ارجن للكرشن : مَتىٰ توصيني بتأدية العمل ومَتىٰ توصيني بترك العمل ومن هنا انا اودّ استيضاح الامر بان ايّهما افضل بين الامرين ما اذا هو القيام لعمل احسن او ترك العمل احسن فعند ذالك كان قد اجابه الاله كرشنا فيما يلي بشأن هذا التساؤل في الفصل الخامس من الصحيفة المقدّسة

يا ارجن ! ان تأدية العمل وترك العمل كلاهما مبعث الفلاح والخير الآن اتّخاذ موقف تأديه العمل هو احسن نسبياً من "كرم سنياس" يُراد به نزعة الصرف عن تأدية العمل اوّلهما الموقف الايجابي اذ الثاني هو الموقف السلبي وعلى وجه التحديد يمكن لنا امتثال لفريضة "سنياس" التي ترمي بانسحاب من الامور الدنياويّة والتفرّغ للرياضة الالوهيّة عن طريق تأدية ذالك العمل مراراً الذي يُصبح به قلب الانسان نزيهاً نقياً بعد ئذٍ فلذالك والمرء الّذي ادرك نقطة مبدئيّة في معرفة بالله حق الادراك يُسمّى "سنياسي" او راهباً بحيث انه ترك الحسد ولم يلبث يطوي كشحه على البغض على احدٍ وكذالك لا تكون لديه آية رغبة في الطمع بالمنه وتتبعاً لذالك المنهج نفسه تنفك كلّ قيود الانسان ويتحرّر

وبالتالى يهتدى طريقه الى النجاة

تنقلاً من هذه النقطة يتحول موضوع البحث الى فلسفة "ابهياس" ممارسة العمل عملياً فيما يقول الاه كرشنا فى الفصل السادس كآتٍ:

ان الاشخاص الذين يقومون باعمالهم غير طمّاحين الى حصول على اىّ ثمر مقابل الاعمال سبق ان قاموا بها فهؤلاء هم الرّجال "سنياسون" و "يوغيون" وبعبارة أُخرى ان جميع الرّجال من تركوا بذل اهتمامهم بتشييد الآبار والبِرَك والحياض للماء الشرب لِلمرافق العامة بحيث ان اداروا وجوههم عن رغبة فى خير الناس ثمّ اصبحوا عاطلين بدون تأدية اىّ عمل فلا يسوغ لهم ان يُطلق عليهم اسم "سنياسين" او "يوغيين" و اجمالاً القول يتعيّن عليهم بعد اذ دخلوا مرحلة "سنياس" الّا ينصرفوا عن تأدية العمل كما يتحتّم عليهم ايضاً بان خلال قيام باىّ عمل الّا يسمحوا لايّة بغية بالدخول فى انفسهم فى جنى ثمار لتلك العمليات سبق ان تمّ تنفيذها من قبلهم

تحفظ بهذا الامر حقّ العلم بان بدون تنازل عن الطموح الى تلقى ثمر الاعمال المنفذّة فيما مضى بصورة الجزاء او العوض لا يمكن لاحدٍ ان يصعد الى منزلة "يوغى" السّاميّة والسبب لذالك هو بان لابدّ من التزام بتأدية العمل مع ترك الطمع فى اكتساب ثمر الاعمال تمّ قيامها سابقاً فى كلتا النظريتين اى نظريّة "سنياس" يُراد بها ترهب وتزهدّ او نظرية "يوغا" يُراد بها الرياضة الالوهيّة بحيث ان الاوُلى هى نظريّة سالبة اذ الثانية هى نظريّه موجبة

يا ارجن! انّ المرء الّذى يُلم بعلم العرفان الماماً ويُسبّح بحمدى

تسبيحاً لا شك فيه بانه "مهاتما" او "نفس عُظمیٰ" اذ نادراً ما فی امکان
تواجد مثل هذا المرء حائزاً على هذا الوصف بين الناس

على انه الى جانب ذالك كما هو من الملاحظ ان الناس مغلوباً من
العادات التی تكون قد ملكت عليهم وبمقتضى جبلتهم التی فُطروا
عليها بعد اذ تورّطوا فی لجّة المطامع الشتى مثل احتكاس
الثروات واكتناز الاموال ومحبّة الابناء والاحفدة لقد
يصبحون غارقين فی دياجير الجهل بفعل رغبتهم فی الحصول
على ثمر اعمالهم وبالتالی يرجعون الى تعبّد الآلهة فعند ذالك
الحين انا ادعم اعتقاد هولاء الناس تد عيماً بهولاء الآلهة على نحو
بحيث ينسون لی نسياناً تاماً

ان الرّجل بعد اذ وضع اعتقاده فی اولئك الآلهة فيأخذ
يتعبّدهم وعن وساطتهم يكتسب ثماره المرغوب فيها بينما انا
بدوری ايضاً اجعل تفكيرانهم منصهرةً على ذالك المنهج نفسه
تماماً لكنّ فوق كل تلك الاعتبارات من حمدٍ فی تحميدٍ او تعبّدٍ فی
متفرّغاً اصبح واصلاً بی وعلى عكس اولئك الرّجال من اكتسبوا ثمارهم
بوساطة آلهة بعد اذ اشاحوا بوجوههم عنّی وتركونی الى جانبٍ فهولاء
هم الّذين لا يلبث طويلاً حتّى تنفترض ثمارهم سريعاً فلتعرف حقّ
العلم بانّنی متجرّد من التلف او الهلاكة بصفتی قيوماً للعالم قاطبةً
على حدّ السّواء مَن يقطن على وجه الارض ككائنٍ حیٍّ او موجود فی
السّماء

يا ارجن فلا يتغيّب عن بالك هذا الامر انا سبحان و

اعلى الاعالى وآكبر الاكابر وكل هؤلاء الرجال الحمقاء مَن يعتبرونني مولود أمِن اى واحدٍ ويتعبّدون آلـهة آخرين بدون ثمارهم التي ياخذونها فهى بدون شك مرهونة بتلف وزوال على توالى الايام ومِن هُنا معتقدوا الآلـهة الآخرين مَن ومغوا ايمانهم فيهم ويتعبّدون آلـهةً فذالك موقفهم بالتاكيد متناقض لطريقة عبادتى فعليه لا يمكن لـهم الحصول على النجاة هذه او انا رب جميع الناس ومَن لا يعترفون بي الله مع هذه صفاتى كلّها لا يمكن التحرّر لهم مِن دوران التناسخ على اى وجه من الوجوه اطلاقاً وقياساً على ذالك فيما لو رجع رجل مهما كان هو فاسقاً او فاجراً الى عبادتى بعد اذ امتنع عن عبادة آلِهة لقد اصبح عابداً مخلصاً حقيقياً ذ انفس الاستقامة والدّيانة وعاش عيشة السّلامة والسّعادة حقاً

[illegible]سم هذه الصحيفة المقدسة الى ثمانية عشر باباً التى
تبحث تحت كل بابها موضوعاً منفرداً معيناً محللاً تلك الامور التى
تكاد توالى الايضاح حتى تنفتح المعانى وضوحاً تاماً على ذهن القارئ
وبالتالى يتجلى نطاق الفلسفة النظرية الجدلية ازاء النقاط التى يدور
البحث عليها فاذا هو جدير بتزويد عناوين تلك الابواب بصورة منسقة
فيمايلى :

الباب الاول : مشاهدة الجيشين فى ساحة القتال بكوروكشيتر

الباب الثانى : محتويات بها غفت غيتا الوجيزة

الباب الثالث : مذهب "يوغا" ازاء العمل

الباب الرابع : المعرفة ماوراء الشعورية

الباب الخامس : مذهب "يوغا" فى العمل

الباب السادس : مذهب "يوغا سانكيا"

الباب السابع : معرفة بالذات المطلقة الالوهية

الباب الثامن : تحقيق التقرب الى الذات العلياء

الباب التاسع : المعرفة السرية القصوى

الباب العاشر : ثراء الذات المطلقة

الباب الحادى عشر : المظهر العالمى بمنظار

الباب الثانى عشر : خدمة عن طريق التفرغ لله المتمتع

الباب الثالث عشر : الفطرة : المتمتع بها : والوعى

الباب الرابع عشر : الفطرة المادية وطوائفها الثلاث

الباب الخامس عشر : مذهب "يوغا" تجاه الذات العلياء

الباب السادس عشر : الله والطبائع الشيطانية

الباب السابع عشر : اقسام العقيدة

الباب الثامن عشر : تحقق الفنان فى التخلى عن الشؤون او تنازل الارض الدنيوى

فيما يلي يعرض عليكم ترجمة عدة اشعار بها غفت غيتا وهي متضمنة في الباب الثامن عشر التي هي تعرفنا على نواحٍ دقيقةٍ وجوانب تحليلية في بعض ادق والطف الامور وقد عوانتباهنا طبعاً اليها:

هذا ليس في مستطاع النفس الجسدية التنازل عن انشغال باعمال لكن مع ذالك المرء الذي تنازل عن طلب جزاء اعماله التي يكون هو سبق ان اداها فيما مضى فذالك المرء نفسه الذي هو جدير بان يسمى متنازلاً او تاركاً او زاهداً

فليكن هذا الامر معروفاً جيداً عندك ان مكان العمل ثم الرجل العامل لاي عمل وثم مدارك حاسة وثم المحاولة وبعد كل ذالك الروح العلياء فهي المجموعة الخماسية التي تشكل مكونات العمل بالذات ١٨ : ١٤

هما هو لا فارق قط على حد السواء اذا كان المرء قد ادى عملاً بوساطة الجسد او بالنفس او بالكلمات بغض النظر عما اذا كانت اعماله خاطيئةً او صائبةً التي كان هو قام بها فهي كل اعماله لا محالة تتكون من هذه العناصر الخمسة بالذات ولا غير ١٨ : ١٥

فاذا من اعتبر بانني هو انا بنفسي عامل تلك الاعمال فحسب بدون آخذاً في الحسبان لتلك العناصر الخمسة المتقدم ذكرها فهو ليس ذكياً او عاقلاً او حكيماً على اي وجه من الوجوه فعليه هو لا يستطيع مشاهدة الامور على حقيقتها اطلاقاً ١٨ : ١٦

من لم يسترشد بانانية باطلة وفي الوقت نفسه لم يكن

تعقّله مرتبطاً فلا بأس لو كان هو قتل احداً في العالم فليس هو قاتلاً ولا هو متقيداً بالاعمال ١٨: ١٧

ان القوى الدافعة الحاثّة التي يكمن من ورائها القيام باي عمل هي ثلاث: الأولى المعرفة والثانيه الشئ الذي يتكون هدف المعرفة والثالثة صاحب هذ المعرفة — فاذاً تتواجد هناك ثلاثة عوامل في تحقيق نفاذ اي عمل وهو: مدارك حاسّة - العمل - وصانع العمل ١٨: ١٨

انّ المعرفة التي يشاهد بها احد كلّ كيانٍ حيّ وثمّ يعتبر ذالك الكيان الحيّ بانه فطرةٌ روحيّةٌ غير منقسمةٍ وبل متكاملةً ولوانّها منقسمة في داخل ذاتها الى اشكال لا تحصى فلتعتبر تلك المعرفة متّسمةً بصفة النبالة ١٨: ٢٠

كذالك نوع المعرفة التي يشاهد بها احد وثمّ يعتبر بان تتواجد في كلّ جسدٍ متباينٍ نفس حيّة متباينة النوع على حدة فيسمّىٰ ذالك نوع المعرفة متّصفاً بصفة الطموحة ١٨: ٢١

في حالة ما اذا كان احد قام بايّ عمل مواظباً ومراعياً لانضباط وانتظام اذ كان هو قد ادّى هذ العمل بدون اي ارتباط بدافع الحبّ والبغض غير مرتهناً بايّة رغبة في الحصول على ثمرة عنه فيقال في هذ العمل بانّه متّصف بصفة النبالة ١٨: ٢٣

ايّما عمل يكون قد صُنع به متأثراً برغبة في الحصول على الثمرة عنه مصحوباً بالجهد كان او بالكدح الباهظ متورطاً بتفكير انانية باطلة فيسمى ذالك العمل متّصفاً بصفة الطموحة ١٨: ١٤

مثلما العمل الّذى يكون قد تمّ بدافع الوهم او الغرور بدون تفكير فى عبودية او رذالة الّتى قد تترتّب عليه فيما بعد وهو بدون اعتماداً على اوامر الصحائف المقدّسة او باعتبار آخر ذالك العمل الذى يحمل عنفاً او ضيقاً او اذىً او معاكسةً لآخرين فيُسمّى ذالك نوع العمل متّصفاً بصفة الرذالة ١٨ : ٢٥

لا شكّ ان الرّجل الّذى يؤدّى وظيفةً غير مرتبطاً بايّة احدى الصّفات الفطرية المادية بدون انانيّة باطلة مع قصوى اهتمامه على ان لا يكون هو متزعزعاً متزلزلاً او متأثّراً فى حالتى نجاحه او فشله فيقال عن ذالك الرّجل متّصفاً بصفة النبالة ١٨ : ٢٦

كذالك الرّجل من يكون اشدّ ارتباطاً بايّ عملٍ متمسّكاً برغبة فى الحصول على جزاء عمله متمنّياً أن يتمتّع بثمرة عنه فيقال فى هذا الرجل بانه مُتّصف بصفة الطموحة

١٨ : ٢٧

تماماً على هذا النحو الرجل مَن يكون مواظباً باستمرار على عملٍ خرقاً الاوامر المتضمّنة فى الصحائف المقدّسة ممارساً ضدّ وصاياها وهو متتبّع المادّة اشدّ لهفةً بكونه متعنّتاً و ختالاً وبارعاً نشيطاً فى اهدار الكرامة وفى استهانة بحرمة آخرين مع كونه كسولاً وشكساً دائماً ومهموماً مسرا وغاً متعوّداً على احتيال الناس فيُسمّى ذالك الرّجل متّصفاً بصفة الرذالة

١٨ : ٢٨

امّا التعقّل بما يمكن لاحدٍ ان يُميّز بين الاعمال الّتى الولجب

عليه تأديتها وبين التى هى حرام عليه تأديتها وفى نفس الوقت يتفاوت بين ماهو مخيف وبين ماهو غير مخيف وثم يستبين ماهو يجعله مقترناً بقيود و ماهو يفكك اصفادة وسلاسله انما نوع هذا التعقل يُدعى متصفاً بصفة النبالة ١٨ : ٣٠

على ان التعقل الناقص الذى لا يستطيع التمييز بين الدين وبين اللادين وفى نفس الوقت يتوهم العمل الواجب تأديته عملاً غير الواجب تأديته يُطلق على مثل هذا نوع التعقل متسماً بصفة الطموحة ١٨ : ٣١

ان التعقل الذى يعتبر ديناً لادين ويعتبر لادين ديناً بوطأة الضلال والجهل والظلمة ثم لا يزال يسعى الى اتجاه خاطئ فيقال فى هذا صنف التعقل متصفاً بصفة الرذالة ١٨ : ٣٢

امّا بشأن العزيمة التى هى لا تتزعزع ولا تنكسر استناداً الى الصمود والثبات عن طريق ممارسة مبادئ "يوغا" حتى الممارسة وذالك مراعياً التحكم فى نفس ازاء مجرى الحياة تكبح المدارك الحاسّة فى كل العمليات فليُسمّى ذالك نوع العزيمة متصفاً بصفة النبالة ١٨ : ٣٣

فيما لو كانت العزيمة مستهدفةً فى دين ليس والّا الى النتائج المثمرة وايضاً الى التطور الاقتصادى مع ترضية المدارك الحاسّة فتُسمّى تلك العزيمة متصفاً بصفة الطموحة ١٨ : ٣٤

على عكس ذالك العزيمة التى لا تستطيع ان تتخطى حدود احلام وخوف ونوح وهموم ووهم فعزيمة هكذا يُطلق عليها

اسم صفة الرذالة ١٨ : ٣٥

ان رَجلاً بعد اذ صار مطهراً تطهيراً عن طريق تعقله الصائب المستقيم بالممارسة المراقبة على نفسه مع ثبات الارادة واقوى تصميم متخلياً عن كافة مواطن وعواثير ارضاء المدارك الحاسة متحرراً من طابع التحاب او البغضاء كليهما والذى يعيش فى مكان انزواء والعزلة وياكل اقل كمية ماتكون من الطعام وثم يزاول المراقبة على الجسد و على القوة الناطقة كما يظل دائما محاطاً بكيف الوجدان متجرداً من احساس بانانية باطلة متنازلاً عن الشعور بقوة باطلة ذاتية التى لا اساس لها - فذ الك هو الرجل نفسه الذى قد ارتقى الى منزلة ادراك ذاته الحقيقية - ١٨ : ٥١ - ٥٣

على ان الفرحة التى يكون بدؤها ونهائتها عمىً وعشوةً بالنسبة العمليات حول ادراك الذات الحقيقية استناداً الى النوم و الكسل والضلالة فيُطلق على هذا النوع الفرحة متصفاً بالصفة الرذالة

١٨ : ٣٩

والفرحة التى تستمد لها من اسلوب قيام اتصال المدارك الحاسة باهدافها ومنابعها التى تبدو فى بادئ الامر مثل الرحيق لكن عكس ذالك فى نهائة الامر تتبينت هى الا السم الزعاف فمثل هذه الفرحة تسمى متصفاً بصفة الطموحة ١٨ : ٣٧

ان تكيف حالة سلمية وكبح النفس الامارة وشدة الممارسة والطهارة او التزكية والتحمل والتسامح والاستقامة او الامانة مشفوعاً بالحكمة والعلم وسمة التميز بصفة التدين - تلك هى

الصفات كُلّها الّتي يكون البراهمة متّصفين بها ١٨ : ٤٢
على انّ هو من الثابت بان الرّوح العظمیٰ او " برهم " كما يراد
به ايضاً المراقب الاعلى - مهما تطلق انت اسماء عليه حسبما تريد -
هو افضل الجميع وانّما النّفوس الحيّة يُمارس التحكّم فى كلّها بدون
الاستثناء بحيث الله وهو ربّ العالم لديه السلطان والتحكّم فى
كافّة الشؤون عملياً - الفطرة المادیّة وقياساً على ذالك ليست الفطرة
المادیّة مستقلّة اذ هى لا تزال عاملة مترابطة بتعاليم واوامر
الرّب الاعظم هذا وحينما صادفنا فى اىّ حين من الاحيان مشاهدة
بعض الامور البديعة الشاذّة يجب علينا ان ندرك حقّ الادراك
الحقيقة بانّ هناك مراقباً موجوداً من تلك كافّة المظاهر غير ان
فيما يتعلّق الامر بالمادة فهى تنتسب الى صنفين فالاوّل هو
صنف الحِطّة عبارة عنه الفطرة (براكرتى) والثانى هو صنف الرفعة
الّذى تخضع له النفوس الحيّة وبحيث ان معنى كلمة " براكرتى " هو
كلّ شئٍ فيما يجرى التحكّم فيه بينما يمارس الله او الذات العليا
سلطته وتحكّمه فى كل جزئيات او مكوّنات الفطرة فاذاً الله هو
مُسيطر بواحده اذا الفطرة المادیّة وايضاً النفوس الحيّة كلاهما
مُسيطراً عليهما دائماً من الله

بعد اذ تكشّف علينا الامر واضحاً جلياً فى الباب السابع بان
كلمة " براكرتى " يُراد بها الفطرة المادیّة الّتى تاتى تحتها النفوس
الحيّة باسرها بكافّة اجناسها فنعود نحن اذن الى بحث المادة -
امّا بشأن تكوين المادّة الّتى وُصف بها صنف " الحِطّة " الّتى فى مقابله

صنفت "الرقعة" (متضمناً الكيانات الحية كلها) فهي منقسمة الى ثلاثة انواع يُساق تفصيلها كالآتي: صفة النبالة وصفة الطموحة وصفة الرذالة على ان فوق جميع تلك الصفات الثلاث فالقوة التي تمارس التحكم في كلها فهي الزمان الابدي ومما يجري في شكل الوقائع او الحوادث فهو يُدعى "كرم" وعبارة عنه الاعمال التي لا تزال تجري منذ اقدم الازمنة وهي الاعمال تترتب على السعادة او الشقاوة لنا اذ يعني بذالك ثمرة لتلك اعمالنا التي كنا قد قمنا بها فيما مضى في اي وقت

ان موقف الله هو بمثابة الوعي السامي في حين الكيانات في العالم قاطبة فهي تكون جزءاً من الوعي فحسب اما كل كيانٍ فما هو الا خاضع للفطرة (براكرتي) مثلما تتبع كذالك القوة المادية للفطرة ايضاً سكن فيما يجدر بالذكر بان الكيان الحي هو "الوعي" اذ على عكس ذالك فيما يتعلق بالقوة المادية فهي ليست "الوعي" اطلاقاً فاساساً على هذا القياس يُطلق على الكيان الحي "قوةً ارفع" وتسمى القوة المادية او المادة "قوةً احطّ" وبالرغم كل ذالك فليؤخذ الامر في الاعتبار بان الكيان الحي ليس هو "الوعي السامي" اطلاقاً اذ الثابت انه الله بنفسه هو "الوعي السامي" ولا غيره

اما الروح العظمى فهي تتواجد في داخل كل قلبٍ بصفتها مراقباً وتعطي اوامرها بعمل على حسب ارادتها على انه الكيان الحي بعد اذ نبي فيما يجب عليه ان يعمل به يصمم على القيام بعمل حسبما هو يريد ان يعمل وبالتالي في خاتمة المطاف يُصبح مرتبكاً ومتوحلاً وسط

اعماله وبعدد افعاله وهذا كله يتسبب في نهاية الامر في املية بالفشل او الخيبة ولما يحين الوقت لكيان حتى ان يترك جسده للجسد الآخر عند الموت تماماً مثلما يغير شخص ما لباسه ليلبس ثوباً جديداً بدلاً من ثوب عتيق تنتقي بعدد افعال لاعماله السابقة مصحوبة معه التي في نهاية الامر تؤثر في تحديد ولادته الجديدة احتسابياً باعماله من الشر او الخير.

فيما يتعلق الامر بالوعي السامي فهو مختلف عن وعي الكيان الحي اختلافاً تاماً ديقول الرب العظيم في هذا الصدد بانه اذا ما يحل بنفسه بالعالم المادي حلولاً فلا يصبح وعيه متأثراً قط مادياً الآن بشأننا نحن بصفتنا عياناً احياناً نصبح ملوثاً بسبب اتصالنا القائم بالعالم المادي فلذا اوصى لنا الصحيفة "بهاقفت فيتا" بان لابد لنا من تطهيرا عمالنا حتى يمكن لنا استرجاع وعينا من الحالة المرتبكة ومثل ذلك عمل التطهير يطلق عليه (بهكتي) يراد به التفرغ لله او تعبداً اعتكافاً

فليؤخذ في الحسبان حينما يصبح وعينا متلوثاً بالمادة فيدعى ذلك الوعي "حالة مكيفة" كما هو انانية باطلة فكونا من ولو تصور الذي لا يؤمن احد بان وجوده حصيلة للمادة بل على عكس ذلك يجب على المؤمن يكون قد استغرق في تصور الجسدي ان يتحرر بنفسه من هكذا التصور فينا واعليه من اراد ان يصبح متحرراً فليتبع هذا الطريق عينه فاذن هكذا التحرر بازاء التحرر من الوعي المادي يسمى "النجاة"

انمّا الوعي فهو لا يزال موجوداً دائماً وبحيث ان نحن لسنا الّا اجزاء او مكّونات الوعي فنصبح متأثرين بصفات الفطرة المادية الثلاثة الانواع على انه هذا هو الفارق عينه الّذي يرسم خطّ التمييز بين الكيان الفردي وبين الرّب العظيم وممّا هو جدير بالذكران ظروفاً الّتي يكون الوعي فيها متلوّثاً فيقول الوعي: انا صاحب كلّ شيءٍ ومتمتّع بكلّ شيءٍ وعلى حسب هذا النمط تماماً يمكن لاحد ان يظنّ في كل شيءٍ بانه مكوّناً من المادّة امّا الوعي فله قسمان نفسياً الاوّل يقول: انا خالق اذ يقول الثاني: انا متمتّع واستمدّ المتعة لكنّ على عكس ذالك الافتراض ما هو شيءٌ آخر الّا الله رب العالمين هو الخالق والمتمتّع بنفسه ذالك ان ليس الكيان الحيّ الّذي يعمل الّا بمثابة القطعة الّتي تكون مركّبةً في ماكينة وعلى سبيل المثال هناك ايدٍ وارجل وعيون وغيرها الّتي ليست هي كلّها الّا انمّا اعضاء الجسد الكامل فحسب وليست هي متمتّعة على اي وجه من الوجوه وخلاً فاً ذالك ان الشيء الّذي هو يتمتّع هو المعدة اذ هذه الاعضاء كلّها مشغولة بارضاء او تغذية المعدة بالذّات فعليه يتحتّم على احدٍ ان يقوم بتغذية المعدة وبذالك الاعتبار وتطبيقاً ذالك التمثيل فيمكن الاستنتاج بان الله هو متمتّع بنفسه بحيث نحن لسنا الّا نتعاون الله جميعاً كما سردا المثال آنفاً

كما نشاهد نحن جميعاً من خلال مراجعة "بهاغفت غيتا" بان الرّب العظيم والكيانات والمظاهر والزّمان والعمل مجتمعةً كمجموعٍ واحدٍ يُطلق عليه الحقّ المُطلق

فضلاً عنه فقد جاء الذكر متضمناً تحت الباب الثاني بانّ

هُناك اسلوبين اولـهما "يوغا سانكيا" والآخر هو "يوغا العمل" او "يوغا الوعي" كما قد اوضح الامر في هذا الصدد ايضاً اتماماً فيه وخاصةً فيما يتعلق الامر ب "يوغا سانكيا" كما هو يتناول بدراسة تحليلية في طبيعة المادّة فهو ذالك الموضوع نفسه الّذي يشكّل موضع اهتمام اولئك الرجال مَن هُم ميّالون الى ادراك الامور على حقيقتها توسّلاً الى العلم العقلاني والفلسفة والحكمة بحيث الطائفة الاُخرىٰ مِن الرجال لاتزال تعمل عن طريق التماسك بمبادئ "يوغا المعرفة" او توزع الوهي الّذي يمكن بوساطته التحرّر من قيود العمل فهو جدير بالذكر في يوغا المعرفة، انّما هو يعوّل على الذات العلياء او توزّع الوهي تماماً

ومِن هُنا استخدا ماً ذالك الطريق عينه يمكن ممارسة التحكّم في الحواس الخمس باسرها بكلّ سهولةٍ فبناءً عليه يعتمد كلّ اسلوب يوغا من هذين الاسلوبين بعضهما على بعض تماماً نحو ما توجد الرابطة بين الفلسفة وبين العواطف عما هو يجدر بالذكر ان الذين بدون الفلسفة ليس هو الاّ العواطف فحسب واحياناً التعصّب ايضاً ومِن ناحيه اُخرىٰ الفلسفة غير مصحوباً بالذين لا يتجاوز حدّ العواطف الاّ ان يكون الهدف النهائي في كلتا الحالتين واحداً مشتركاً المطلوب مِنه البحث عن حقيقة الذات العلياء واستيعابها حقّ المعرفة وبذالك يمكن الاستنتاج بان اسلوب التصوّر الفلسفي انّما هو طريق غير مباشر الّذي يتسنّى به لاحد الوصال بالله تدريجياً اذ في مقابل ذالك في صورة الاسلوب الآخر الّذي يكون مطلوباً منه توزّع الله فهو طريق مباشر وفوق كلّ

الاعتبارات ان اسلوب التفكير ككُلّ يقوم على استيعاب الحقيقة البحتة من وراء تلك الرابطة الّتي توجد بين الذات وبين الذات العلياء

ايضاً قد جاء الذكر متضمّناً فى هذه الصحيفة بان الحواس الخمس العاملة تكون افضل من المادة الجامدة ثمّ النفس هو ارفع من هذه الحواس الخمس وبعده التعقّل هو الآخر افضل من النفس ثمّ الرّوح هي حتّى افضل وارفع بمراحل مِن التعقّل فقياساً على ذالك اعتباراً لذاته متفاضلاً عن الحواس الماديّة المنشأ وعن النفس و التعقل مجملها يجب على المرء ان يمارس التحكّم فى احط الاقدار عن وساطة ارفع الاقدار فاذن محتذ ياًبهذا الطريق ـ مستنداً الى القوة الرّوحيّة ـ يمكن لاحدٍ التغلّب على هذا العدو المتعذّر الاقناع والارضاء يعنى به الشهوة الطموحة الّتى هى وليدة مِن الاتّصال بكوائف المادّيّة كما هذه الشهوة تتحوّل فيما بعد الى الغضب الّذى يلتهم كلّ شئ النهاماً جشعاً كونه عدواًلدوداً للبشر فى العالم اجمع -

بالاضافة الى ذالك ان الغرض الاساسى مِن وراء البحث الفلسفى هو اهتداء الى غائة الحياة القصوىٰ وبحيث ان غائة الحياة القصوىٰ ماهى الّا ادراك الذات عينه فاذاً ليس هناك اىّ فارق بين النتائج الّتى يتمّ التوصّل اليها عَن وساطة اتخاذ هذين الاسلوبين وان يمكن لاحدٍ استناداً الى الجاث "سانكيا" الفلسفى البلوغ الى النتيجة ان الكيان الحى لا يتكوّن جزءاً من العالم المادّى اطلاقاً وبل هو على عكس ذالك يتكوّن جزءاً من الرّوح العظمىٰ ككلٍ ومِن هنا اعتماداً على تلك

وجهة النظر ليس ای شأن للروح اطلاقاً بالعالم المادی علی ای حال وبهذا الاستدلال لابد ان تکون لعملیات الروح علاقة بالروح العظمی فعلیه التزاماً باسلوب "سانکیا" الاول یجب علی المرء ان یکون غیر مرتبطاً بالمادة اذ فی صورة اسلوب "یوغا المعرفة" او توعی الله یتحتم علیه ان یصبح ملتحماً بالله وجدانیاً ویمکن القول ان هذین الاسلوبین سیان لا اختلاف بینهما اطلاقاً وان یبدو الاول فی الظاهر متمسکا بمبدأ الارتباط بحیث یبدو والثانی ملتزماً بعدم الارتباط غیر ان عدم ارتباط بالمادة والارتباط بالله وجدانیاً هو شیئ واحد ولا یحول ای فارق حیلولة دون الحالتین مطلقاً .

الی جانب ذالك توجد طائفتان من اهل مذهب "سنیاس" وبعبارة اخری الرجال الذین ینتسبون الی رهبانیة زهد أی الامور الدنیاویة وبینما تستغرق طائفة الاولی یطلق علیها طائفة "مایا وادی" (المادیین) فی دراسة فلسفة "سانکیا" اذ لاتزال الطائفة الاخری تتناول بفلسفة توعی الله وجدانیاً لتحقیق هدفها المنشود یعنی به الوصال بالله .

علی وجه الاجمال ان کل انواع مذهب "یوغا" یرتقی الی قمته وهو "یوغا بهکتی" عبارة عنه ممارسة الریاضة فی الله متفرغاً له اذ فی مقابل ذالك لیست مذاهب یوغا الاخری الا وهی انما وسائل فحسب لاجل البلوغ الی نقطة "یوغا بهکتی" علی انه هناك مسافة شاسعة للمطلوب قطعها من قبل المرء ابتداءً من مرحلة "یوغا العمل" حتی استکمال مرحلة "یوغا بهکتی" تمثیلاً علی الطریق مؤدیاً الی استیعاب الذات وفوق کل ذالك ان "یوغا العمل" اذ کان متجرداً

من اية رغبة في الحصول على ثمرة او جزاء على الاعمال فهو يجدّ دبدءاً في المهمّة.

وفي الحين لمّا يتطوّر "يوغا العمل" في ازدياد المعرفة مواظباً او متعوداً على نزعة التنازل او التخلّي عن المطالب فحينئذٍ تسمّي تلك المرحلة "يوغا المعرفة" كما ينضبط تمشياً على هذا النمط حينما يتطوّر "يوغا المعرفة" تطوراً وتبلغاً في عملية الرياضة الالوهتية متركزاً في الروح العظمى عن طريق مزاولة شتّى الطرق جسدياً شرطة ان يكون الذهن موجهاً حق التوجيه ما يمكن الى الله فتُدعى تلك العملية "يوغا اشتنغا (كلمة سنسكريتية معناها مثمن الاركان) وحتى بعد ذالك فصاعداً بعد اذ قد قطع المرء هذه المرحلة نفسها وحينما توصّل المرء الى نقطة استيعاب ذات الله العلية عبارة عنه قمّة كل المراحل تسمّى تلك المرحلة "يوغا بهكتي" او الوصال بالله.

على ان في حالة ما لو كان المرء ظلّ متمسكاً بنقطة معيّنة بحيث لا يتحقق بها اي تقدّم فصاعداً فيسمّى ذالك المرء حسبياً بفضل حيازته الموقف الخاص على نحو ما يُساق الترتيب الآتي: يوغى العمل - يوغى المعرفة - يوغى تركيز الوعي - ويوغى السلطان وقياساً على ذالك فيما لو صادف لاحد ان يكون حظيظاً او سعيداً في التوصّل الى تلك النقطة المطلوبة لقد اصبح بذالك مفترضاً فيه بانّه قد فاق كلّ مراحل "يوغا" بدون الاستثناء

ايضاً فقد ورد الذكر حول الفارق ممّا يُوجد فيما بين الرّوح العظمى والرّوح والجسد متضمّناً في اهمّ كتب الفيدات بكلّ الوضوح

وبهذا الخصوص هناك مظهر لقوة الرب العظيم يُطلق عليه "انمايا" وهو يعتمد على الغذاء لاجل بقاء الوجود غيران هذا التصور هكذا ليس الا نظرية مادية ازاء ادراك الذات العلياء ثم في صورة "برانمايا" بعد اذ يكون احد فتدارك الحق المطلق عن طريق التصور مرتكناً الى الغذاء يمكن لاحد ان يدرك الحق المطلق موجوداً في اشكال الحياة او في الاعراض الحية العائشة ثم بعده ياتي هناك صورة "غيان مايا" الذى يمتد فيه الادراك ازاء الحق المطلق متجاوزاً عبر اعراض حية الى حدود نقطة التفكير العميق والشعور والارادة وثم بعد تلك المرحلة يتواجد "فغيان مايا" الذى بفضله يتحقق امكان التمييز بين النفس من الكيان الحى الذى يمتلكها وبين الكيان الحى بالذات

غيران مما هو اهم مرحلة بعدُ من كل المراحل فهو" انانندمايا" عبارة عنه ادراك الفطرة الطوباوية للسعادة التى تسود العالم قاطبةً فاذاً اساساً على ما تقدم ذكره هناك خمس مراحل ازاء ادراك تصور" برهم" او حول الذات السائدة الكل غير الجسدية المادية -

ومن ضمن تلك المراحل الخمس تنتسب الثلاث الاولى يعنى بها: انمايا- برانمايا- غيان مايا الى مجالات مختصة بعمليات الكيانات الحية لكن عبر اقصى حدود لتلك مجالات العمليات يوجد الرب العلى الذى يُطلق عليه اسم "انانند مايا" او الفطرة الطوباوية للسعادة فعليه فيما لو عزم الكيان الحى على تمتع بغبطة او سعادة ما عن طريق كونه متشابكاً مع الفطرة الطوباوية لصار كاملاً اكمل ما يكون لا محالة -

اذ تناولاً البحث فى الزمان كما ورد ذكره فى الباب الثامن من

"تبهاغفت غيناً فقد تم انقسام الزمان الى اربعة عصور فاولها هو "ستايُغ" فالثانى هو "تريتايُغ" فالثالث هو "دوابريُغ" فالرابع هو "كلايُغ" على ان عند مرور المدة من مجموع العصور الاربعة المذكور اعلاه الف مرة فهو يساوى يوماً واحداً للبرهما" وكذالك بعد انقضاء المدة الف مرة لتلك العصور الاربعة فهو يكون ليلاً واحداً من "برهما" غير ان بخصوص عصر "ستايُغ" فهو يحتوى على مليون وسبعمائة وثمانية وعشرين الف سنة وعصر "تريتايُغ" هو يحتوى على مليون ومائتين وستة وتسعين الف سنة وثم عصر "دوابريُغ" فهو يحتوى على ثمانى مائة واربعة وستين الف سنة وثم يليه عصر "كلايُغ" الذى يحتوى على اربع مائة واثنين وثلاثين الف سنة بحيث يبلغ مجموع هذه العصور الاربعة كلها الى اربعة ملايين وثلاث مائة وعشرين الف سنة

وفى حين يتكون يوم واحد للبشر من اربعة وعشرين او ثمانى و اربعين ساعة اذ يستكمل يوم واحد من "برهما" بعد اذ يكون قد تم مرور مجموع العصور الاربعة كلها الف مرة

فى اعقاب مرور مائة سنة من هذا النوع حينما يموت الاله "برهما" الذى يراد به مظهر قوة الرب العظيم فيحدث اندثار و دمار العالم قاطبة يعنى به ان قوة مظهر الرب العظيم قد انسحبت الى ذاته مرة اخرى وبعد ذالك لما اعتبر الرب العظيم ثانياً ان لا بد من ابراز الكون باسره فى حيز الوجود فصار ارادته مفعول الاثر منفذاً مرة اخرى لا محالة -

مصطلحات فلسفية دينية متضمنة في بهاغفت غيتا

اشاريا: المعلّم الروحاني الّذى يفسّر المسائل بطريق ضرب الامثلة

ادفيتيا: غير الثنوية

انا نندا: الفرحة الوجدانية لما وراء الشعوريّة

انوآتما: ادق الروح الاشد لطافة*

آتما: ذات (مجموع من الجسد والروح والمدارك)

بهغفان: علمة السنسكريتيّة المركبة من رُكنَين:

الاوّل هو "بهغ" معناه ثروة وركنها الثانى وهو "فان": صاحب او حائز غير ان المقصود به الله على نطاق الواسع

برهم غيان: العلم الّذى يبحث به عن الذات الحقيقيّة

برهم جيوتى: تجلّى الوهيّة غير جسديا

دهير: الرجل الرصين طبعاً الّذى يكون متمكّناً من علم المادة والروح كليهما

غوداس: مَن يكون خادم المدارك الحاسّة ومغلوباً عليه من اجلها

غوسوامى: من يكون قادراً على ممارسة التحكّم فى النفس والمدارك الحاسة الخمس

غيان: العلم النظرى البحثى

ايشفار: المراقب او ممارس التحكّم او السيطرة

جيف : النفس الجسدية او النفس العائشة الحية

غيانى : الرجل من يكون متفرغاً لتطوير او تنمية العلوم البحثية العقلية

ليلا : تسلية او لعب

مايا ورى : الرجل القائل بمذهب الله المتجسد او مذهب الخلاء

مايا : وهم او غرور

منى : حكيم او عاقل او نفس جسدية تكون قد ادركت ذاتها الحقيقية

برماتما : الروح العظمى مسيطر أعلى الارواح جمعاء

سانكيه : الدراسة التحليلية فى الجسد والروح

شورتى : الصحائف الملهمة من الله مباشراً

تاباسيا : اتجاه تعاطى المتاعب والمعانات تطوعاً بقصد الحصول الى التقدم والسمو فى الحياة الروحية

ابنشدات : ١٠٨ صحائف فلسفية التى تكون اجزاء الفيدات المقدسة

نيكونتا : (متجرداً من الهموم والاحزان) السماء الروحية

يجنا : قربان او فدية او كل ما يكرس به بصورة التقدمة تكريماً

يوغا : مذهب او فلسفة التى بممارسة تمارينها يمكن تحقق الوصال بالله

(المقتطف من الكتاب بعنوانه "بهاغفت غيتا كما هو عليه" لمؤلفه صاحب الغبطة اى سى بهاكتى فيدانتا سوامى برابهوبادا)

الفرائـد الفريديـة

مجموعة من أشعار الشيخ فريد الدين أحد أشهر الصوفيين في الهند وقد اقتبسها القديس نانك وضمها للكتاب المقدس لدى الطائفة السيخية «كرو كرانت صاحب»

عرّبها مباشرة من اللغة البنجابية

الأستاذ غورديال سنك مجذوب

عضو دائرة المعارف الهندية

والهيئة الاستشارية لأكاديمية - الكوفة

الفرائد الفريدة

شعر ١

ان اليوم الذى يستحصل فيه زواج عروس الحيوة بمثل عريس الموت فهو لاشك انه مكتوب ومحدد له فى السابق من الله. لكن ملك الموت عزرائيل الذى يستمع الى امر الله باذنيه فسرعان ما سوف يرى وجهه ويحضر حالاً فى الوقت المقرر لاستخراج الروح عن الجسد-

من ذا الذى يجب عليه ان ينصح للنفس فى الامر بان عزرائيل سوف يستخرج الروح من الجسد مكسراً العظام كسرات قطعاً فى ذلك الوقت المحدد الذى لا يمكن لاحد مفر منه قطاً اذ تكون هذه النفس عندئذ مغلوبة على امرها متروكة بدون اى حيلة

عندما يذهب عريس الممات بعروس الحيوة بعد ان تم الزواج عليها معه فيودع الجسد الفانى توديعاً للروح مغلوباً على امره بنفسه وبل بايديه بالذات ايها الجسد من يكون بعد ذلك الذى انت تحتضنه الى ذراعيك جرياً وراءه بكل اشتياق-

هل انت سمعت عن جسر الصراط المستقيم باذنيك الذى قيل عنه ان عرض ذلك الجسر يكون ادق واضيق حتى من سمك الشعرة

بحيث ان قد شاهدتُ انا كل العالم متجولاً فيه وادركتُ ان لا اتى اجد مثلك اطلاقاً

شعـــر ٦

يا فريد! في حينٍ اذا وجدتَ نفسك عاقلاً عبقرياً ذا ذهاوة حادّة لا يليق بك ان تحتسب وتكتب اعمال غيرك السيئة ومثالبه و بل بالحري ان تطرق رأسك في داخل جيبك وتُحصي اعمالك التي قُمتَ بها

شعـــر ٧

يا فريد! على فرض ان ضربك غيرك برفسات رجله فلا تُجازه ولا تقابله بضربات قبضات يدك لكن مما يجب عليك هو ان تُقبّل قدميه تقبيلاً حتى هو يرجع على عقبيه الى بيته نادماً على ما اقدم عليه

شعـــر ٨

يا فريد! لمّا كان الوقت ملائماً لاكتساب اعمال الخير فانتَ ظللتَ فيه نائماً او مستغرقاً في نعمة اللذات والاطاييب وكذالك حينما اخذ يزداد اكتمال ملء اساس الموت منك فقد شددتَ رحالك للسفر مغادرةً هذه الدنيا

شعـــر ٩

هوذا يا فريد! لقد ظهر رياء من الشعر او الشيب على لحيتك وهو الامر الذى يدل على ان قد اقتربت نهاية اكتمال عمرك وقد ابتعد عنك اوّل عمرك الذى كان عزيزاً عليك وكنتَ مشتاقاً اليه

قلوب على العالم برسم الخط الكحلي على شفرة العينين فتلك هي العيون التي لم تستطع على تحصل حتى تنقل الكحل باللذات فقد جعلت الطيور الآن وكرهن في ثقوب تلك العيون او محاجرها

شعر ١٥

يا فريد! تأمل برهة كيف يملنك منع اومر فاولئك الرجال عن اعمال قبيحة الذين صرف ابليس قلوبهم عن ذكر الله ولوان نصحت لهم جهاراً باعلى صوتك بصراخ عالٍ فلا يجديك حتى فتيلاً وبل يضيع سعيك هباءً منثوراً

شعر ١٦

يا فريد! فيما اذا اردت ان تشاهد الله بام عينك في كل مكان وفي كل رجلٍ فتكن انت متواضعاً ومنكسراً مثل العشب الذي يوجد في وسط الطريق وكما تلاحظ بان يدوسه واحد تحت قدمه اذ يحصده الآخر بمنجله ويسقط هو مغلوباً على امره خاضعاً متواضعاً

شعر ١٧

يا فريد! لا يجدر بك ان تستهين بالطين وتذمه بحيث ان لا شئ يوجد في العالم مساوياً للطين اذ انت تعلم جيداً بان ما دام الانسان حياً يظل هذا الطين يداس تحت القدم ولكن عكس ذالك بعدئذٍ لما يحتضن الانسان الموت فهو ذالك الطين يصير فوق جسده الميت الجامد ليكون غالباً ابداً لا من مقهوراً

شعر ١٨

يا فريد! فيما اذا كان الحب او العشق مختلطاً باطماع وشراهة فسيكون هذا الحب يدعى به كاذباً غير منزها وانت تامل قليلاً بانك حتى متى تقضي

الایام طول عمرك فی الظلمة وفی هكذا خاصة اذا اصبح كوخك ممنوع القش سقفه منهد ما ابوا بل المطر ما سقط علیه بدون انقطاع۔

شعر ۱۹

یا فرید! بقصد طلب الله قد اخترقت انت الغابات متجولاً فیها ودست الادغال دیاسة تحت قدمیك۔ لماذا بحثت عن الله عبثاً فی مجاهل الغابات والصحاری اذ هو لا یزال متواجداً فی اطواء قلبك بعینه ولا فی ای مكانٍ آخر

شعر ۲۰

یا فرید! قد قطعت مسافاتٍ شاسعة طویلة متوغلاً فی الجبال و متجولاً فی بقاعٍ مختلفة علی وجه الارض والآن قد بلغ الامر لدیك لحد ان ابریق الوضوء الذی موضوع امامك علی ادنی قربك فیبدو كما لو كان هو موجود علی مسافة امیال الشاسعة الساحقة عن سبب استیلاء الضعف علیك۔

شعر ۲۱

یا فرید! خلال طول اللیالی من عمرك فقد بدأت الضلوع والخاصرة تتالم منتظراً لوصال حبیبك ولسبب غرامك به فلتكن ملعونة عیشة هؤلاء الرجال الذین یعولون علی غیر الله ولا یحبونه غیر مبالین

شعر ۲۲

یا فرید! فی حالة ما فیما مضی اذا كنت قد اخفیت بای شئ الذی هو یتوفر عندی عن احد فانی الاعزة الذین صادفت لهم الزیارة الی منزلی او كنت بخلت به فی ای حین علیهم فلیحترق جسدی علی

جمرات النّار وسط اللهب كما يحترق حطب "مجيثة" بصفة كونه سريع الالتهاب لسبب هذه خطيئتي

شعر ٢٣

يا فريد! تامّل قليلاً كيف يمكن لاحدٍ ان يرغب فى اكل اعناب "بجورية" اذ يكون هو قد زرع بنفسه بذره من شجرة السّنط التّى تطلع منها الاشواك والحسك وكذالك كيف يمكن لاحدٍ الّذى يبتغى ان يلبس ثياب منسوجة الحرير فى حين هو يجعل يغزل لنفسه خيوط الصوف بدلاً من خيوط مغزولة من تيلة الحرير ممّا يريد اللباس منه

شعر ٢٤

يا فريد! ان منزل حبيبى يقع على بُعد شاسع حيث الّتى قاق ملآن بوحل كثيف بما لا يمكن المرور من خلاله وبذالك لا ادرى ماذا افعل ولو توجّهتُ الى منزل حبيبى يبتلّ ردائى بالوحل وعكس ذالك اذا تمالكتُ نفسى عن الذّهاب الى بيته فيصير الحبّ منقطعاً ومصروماً

شعر ٢٥

لا باس اذا انزل الله مطراً وابلاً وبذالك يصبح ردائى متبللاً بالماء بالكمله على انه هذا لن يحول دون اهتمامى قطّ بلقائى حبيبى اطلاقاً وعلاوة على ذالك لن ينقطع هذا الشغف به ايّ حالٍ

شعر ٢٦

يا فريد! كم كان يهمنى الفكر لكيلا يتراكم التّراب على عمامتى وتصبح هى متوسّخة وفاقدة اللّون لكنّ للاسف لم تذكر نفسى بان هذه الرأس التى تزدان بهذه العمامة سوف ياكله التّراب نفسه فى نهاية الامر

٢٧

لا امتراء فيه ان كلّ الاشياء كمثل سكر وحليب الجاموس و

عسل وعسل اسود وحلاوى اخرى هى كلها حلوة الطعم عند ما يتذوق الانسان مع ذالك كله لا تستطيع هذه الاشياء تبلغ مبلغ حلوة ذكر الله فى اى حال او تنافسه اطلاقاً۔

شعر ۲۸

يا فريد! ان طعامى يتكون من رغيفة جافة مثل الخشب فى نشوئه اذا دام مع هذا الخبز الجاف هو فضروات عادية وانما يتكابد الآلام وحسرات اولئك الرجال الذين اعتادت انفسهم على اكل الخبز المدهن المشتهى

شعر ۲۹

يا فريد! اقنع انت قناعة تامة باكل الخبز العادى بدون ادامه مطبوخاً من طحين الحمص واشرب بعده الماء البارد الذى يتيسر عليك شاكراً الله ولا تدع نفسك ان تشاهد خبز غيرك المدهن الذى يكون قد عولج به بالزبد

شعر ۳۰

انا الذى اتصور بنفسى كزوجة الله لم يمكننى حتى فى هذا اليوم ايضاً ان اضطجع على فراش مع زوجى وهو الله تعالى فعليه لا تزال اعضائى من جسدى كلها تتالم وتتاذى بلوعة الفراق عن حبيبى بدون الوصال به فانت اذهب الى هولاء المطلقات بدون البعول وتسأل منهن كيف قضين ليلتهن بدون بعولهن اذا انا احترق بلوعة الفراق بفارغ الصبر

شعر ۳۱

ان المرأة التى لا تجد اى لجوء فى بيت اهل زوجها وكذالك لا يهتم بحالتها اى واحد من بيت والديها وبالرغم من كل تلك

الظروف اذهى تقول بانها متزوجة فليس ادعاؤها هذا امتيازاً او مباحاً من اى وجه الوجوه

شعر ۳۲ — محله ۱

یا نانک! فقط تلك هى المرأة تستحق بان تسمّى متزوجةً التى تكون قد وقعت هى موقعاً حسناً عند الله حيثما يحلو لله المستغنى ويرضاه بها وهى لا تزال وفيةٌ لزوجها ربّ العالمين محتفظةً بحبّها له ما دامت هى تعيش فى بيت والديها يراد به هٰذه الدّنيا الزائلة وكذالك فى بيت اهل زوجها يعنى به العالم الآخر

شعر ۳۳

يافريد! هٰذه النفس التى يمثّل لها بامرأة متزوّجة قد استحمّت وتزيّنت ومشّطت شعرها تصفيفاً فى رغبة الوصال بزوجها لكن بدلاً من ان تسهر على قدومه هى قد استغرقت فى النّوم العميق غافلةً عن زوجها الله لا شكّ فيه بان فقد زالت عنها رائحة المسك الحقيقى من حب الله وبقيت تعبق بجسدها رائحة حليّة الكريهة لصورة الظواهر الخارجية

شعر ۳٤

انا لا اخشى على ضياع شبابى بقدر ما انا اخشاه على الضياع حبّى لله. تامّل يا فريد كم من عهود الشّباب قد ذبلت ذبولاً بدون اىّ حب فى الله بلا جدوى

شعر ۳٥

يافريد! انّ السّرير الّذى استلقى عليه انا فهو غمّ فى الله اذ حيال

هذا السرير بما هذا السرير منسوجا به فهو هو حيث الفراش المفترش على هذا السرير حتى اضطجع عليه فهو الفراق والصرم عن حبيبي الله وهكذا هو علة مما تتكون مقومات حياتي في هذا العالم انا اعيش فيه

شعر ٣٦

ايها الفراق! في الواقع انت سلطان على كل القلوب بما ان يدوم ذكرك على كل لسان وكل واحد يحزن على الفراق قائلاً يا لله من الفراق! يا لله من الفراق! ها انت يا فريد! اصغ لقولي وكل جسد فيما لا يتواجد الغم لاجل الله فلا امتراء فيه بان ذالك الجسد بمثابة المرمد الذي تحترق فيه اجساد الموتى

شعر ٣٧

يا فريد! ان اللذات والاطاييب الدنياوية هي بمثابة عيدان ناعمة من غرسة الحرول التي عولجت بها بسكر حتى تحلو للسان على انه بعض من الناس يزرعون المشتهيات واللذات العاذبة بحيث بعضهم الآخر يدّ مرها مستهينين بها استهانة

شعر ٣٨

من كل مجموع ثمانية هزع التي يحتوي عليها اليوم والليل فقد صرفت يا فريد! اربعة هزع منها هائماً على وجهك متجولاً عبثاً اذ قضيت بقية اربعة هزع من الليل غارقاً في النوم السبيخ هل نسيت ان الله سوف يحتسب منك في خاتمة المطاف عن اعمالك التي تكون قد

أُدّيتْ بها في هذا العالم الزائل بكل سرعة

شعر ٣٩

يا فريد! ألم تر فترقُّ من الجرس متدليّاً من الباب كيف تحلّ به؟ الضربات المتتالية من المطرقة في حين هو بريءٌ من أيّ الخطاء ولم يقترف ذنباً ما قطّ فعليك ان تعتبر الدرس منه وتأمل برهةً بأن نحو ماذا يكون التصرّفات بنا ونحن مستغرقين في الذنوب والآثام لا تُحصى.

شعر ٤٠

مثلما يُدقّ الجرس بضربات بلا انقطاع بعد مرور كلّ ساعةٍ من المطرقة ويتلقّى المعاقبة فعلى نفس الطريق يقضي الجسد ليلة عمره مثل دقّات الجرس صريعاً بالهموم والاحزان تباعاً

شعر ٤١

بعد ان صار الجسد مغلوباً عليه بشيخوخة وضعف فقد بدأ يقشعر قشعريرةً بعد ضياع استقرار هيكله وعلى الفرض لو كان هذا هيكل الجسد معطىً له مدى العمر قدر مائة سنةٍ مع ذالك لكانت خاتمة مطاف هذا الجسد الفاني خضوعه للتراب

شعر ٤٢

يا فريد! لا قدّر الله ان اجلس انا على عتبة الباب من غيري محتاجاً في حوائجي. اللهمّ اذا كنت تُريد ان تُبقي لي في هكذا اسوء الظروف فمن الافضل ان تنتزع بروحي من جسدي حالاً بدلاً من جعلني مهاناً ذليلاً

شعر ٤٣

واضعاً الفأس على الكتف وجرّة الماء على الرأس يتجوّل الحدّاد في وسط الغابات حتى يقطع الاخشاب وثمّ يحوّلها الى فحم لاجل تغذية فرنه

یا فرید! فی حین بینما یسعیٰ هذا الحدّاد باحثاً عن الفحم ولا تضیع وقتك اضاعةً فانت ایضاً ابحث عن جمرة المحبّة لله بدون فوات الوقت

شعر ٤٤

یا فرید! بعض من النّاس عندهم وفرکمّیة من الطّحین فوق ما یتم الیومیّة لکن الی جانب ذالك یتواجد هناك بعض الآخر من لیس لدیهم حتّی اقلّ مقدار من الملح علی انّه مهملکان الامر بصورة رغد العیش او نکد العیش سعادةً کانت او تعاسةً سوف یتبیّن هُویتهم عند ما یجری الاحتساب لاعمالهم فی عالم العُقبیٰ بحضور الله

شعر ٤٥

لابُدّ من الترحیل عن هذا العالم سریع التّبدل ولا نعلّقم بدون الاستثناء حتّی الّذین فی تصرّفهم الطّبول تضرب والابواق والانفار وادوات الموسیقا تعزف علیها لترفیه انفسهم وکذالك تظلّ المظلال فوق رؤوسهم کما ینشد المدائح والقصائد فی عظمتهم من المادحین لهم فانظر انّ لقد توصّلوا فی نهایة الامر الی القبر وامسوا منضمّین الی الایتام جمیعاً مغلوبین علی امرهم

شعر ٤٦

یا فرید! لاحظ بعینیك للّذین کانوا هم انشاؤا القصور والجواسق والعلالی الفاخرة الشّامخة والصّروح السّاطعة وناطح السحاب فقد شدّوا رحالهم من هذا العالم للتّنقل للدائم الآخر عما علّ منهم الّذین ما زالوا اومون صفقات کاذبةً بالملة مدی حیاتهم فقد صاروا اهم الآن القبور

شعر ٤٧

ها انتَ يافريد! عم من تراقيع تتواجد على لحاف الجسد البالى الرثّ اذ مقابل ذالك لا تتواجد حتى رقعة واحدة على لحاف الرّوح التى هى محبوسة فى هيكل الجسد لذالك لا يتغيّب عن بالك فى اىّ من الاحيان بان سوف يترحّل كل الناس على السواء كان هو صغيراً او كبيراً شيخاً كان او عالماً صوفياً كان هو مُوسراً او مُعسراً كان هو غنياً او فقيراً صعلوكاً عن هذا العالم الّذى عرضة للسّ وال لا محالة

شعر ٤٨

يافريد! فقد تمّ وصول عزرائيل فجاةً عند ما كان يُغشى مصابات للعينين ولم يلبث الّا قليلاً حتى قد استولى ملك الموت على حصن هذا الجسد استيلاءً كاملاً وبدون لمح البصر اقتلع هذا الحصن وصرعه على الارض راساً على عقبٍ

شعر ٤٩

يافريد! هل رايتَ بامّ عينك ماذا احدث مع القطن؟ فقد ضُرِب به بالعصى لتنقية تياسة وتمّ جعل له يمرّ من خلال اسطوانتين حتى يفترز البذر من التيلة امّا بذور الخردل فتعصرها عن طريق وضعها فى معصرة يُستخرج الزيت منها وكذالك تشابه حالة قصب السكر الّذى يجعله ان يمرّ من خلال المعصرة بقصد استخراج العُصارة منه وانظرُ بعد ذالك للقرطاس يُدَقّ لبّه بضربات المدقّ تباعاً ليُمنع منه الواح! القرطاس الرّقاق كما القِدر تُضرم النّار من اسفله لطبخ الطّعام فيه فاذا كلّ من يقترفون الاعمال السيئة تغاضياً عن الله سوف يُصادفون مثل هذا انواع العذاب المختلفة بعد موتهم

شعر ۵۰

يا فريد! ما اعجبَ هذا البشر هو يحملُ سجّادة على عتقه لتأدية الصّلوة ويلبس رداء الصّوف الاسود بظهره صوفياً زاهداً وفيما يتعلّق بباطنه فمّا يطوى على كشحه فهو يخفى السّكين بباطن قلبه ليقطعَ نحرِ غيره اذا ما امكن له لكن بظاهر الكلام هو يتحدّث بلسان مِن حلوة السكّر والسفاه! يا ما تفاوت بين بواطنه وظواهره!!

شعر ۵۱

يا فريد! انتَ لن تجدَ حتّى قطرةً واحدةً من الدّم فى جسد الاتقياء والمتعشقين الى الله اذا ما شققتَ اىّ جزء الجسد منهم بحيث انهم مازالوا مشغولين برياضة الله جياعاً وعطاشاً ولذالك لا يعد ويبقى الدّم فيهم اطلاقاً

شعر ۵۲ معلّه ۳۰

(الف) انّ الدّم يسرى فى الجسد كلّه وليس الجسد خالٍ مِن الدّم قطّ بحيث لا يمكن استقرار اركان الجسد بدون الدّم غير انّه الّذين اصبحوا متشرّبين بصبغة الحبّ للّه فينزف دم الاطماع والحرص من جسدهم ولا تبقى حتّى لو قطرة واحدة

(ب) مخافةً من اللّه يُصبح الجسد هزيلاً وضعيفاً بما ان قد نزف دم الاهوا الباطلة مِنه كما هو جدير بالذّكر ان بعد تزيف دم الاطماع والنزعات الكاذبة يُصبح الجسد منزّهاً وطاهراً مثلما يصير الذّهب نضاراً نتياً بعد ان اُلقى به فى الدّاخل الفرن تمريراً خلال النّار المضطرمة

(ج) فاذاً بنفس الطريق ينزيل خوف الله ازالةً للعقل الفاسد — يا نانك! اولئك الرّجال فقط احسن واجمل الّذين اصبحوا متشرّبين بصبغة الغرام باللّه

شعر ٥٣

يافريد! ابحث عن تلك البركة نفسها حيث يمكن توفر كل شئ طائل نافع لانه ماذا يجديك لو ان اهتديت الى مستنقع او المياه الكدرة ويجدى ان وضعت يدك فيهما فى امل باخذ الشئ فقد توحلت يداك بالوحول

شعر ٥٤

يافريد! ان حيوة البشر مثالها مثل امرأة متزوجة التى ما حظيت بافراح ومرضيات زوجها التى ب طول عهد شبابها ولما اقبل عليها الشيخوخة وصارت عجوزاً فهى انصرفت الى القبر خائبة الامل اذ صارخة هى وقائلة: ياحبيبى هم انا اتلهف على بان لم يقدر لى الوصال بك

شعر ٥٥

يافريد! لقد ظهر بياض الشعر بلحيتك وشوار بك يا النفس الهلوع انت ما انفككت غافلة ومستغرقة فى اللهو واللعب مغرمة بالقصف ورغدة العيش مدى عمرك بدون ذكر الله

شعر ٥٦

يافريد! الى حيث فى مستطاع احد ان يجرى على سطح البيت بينما تكون مساحة هذا السطح محدود الاطراف فلذلك انت دع عنك نوم التغاضى عن الله متنبها الامر بان ايام حيوة البشر معطى له محدودة معددة وهى ايضا تجرى بكل سرعة وعلى وشيكة الانقراض

شعر ٥٧

يافريد! الق عن يدك كل هذة الاعمال غير المرضية وتنساها بحيث ان هى لا تنفعك فتيلاً بضرتها بدون اى طائلة او منفعة وذلك باعتبار حتى لا تخجل بحضر الله على اعمالك السيئة التى لم تتوقف

عن اقترافها طول حياتك

شعـــر ٥٨

يافريد! لا تعلّق نفسك على وفرة الاموال والمفاخرة بالقصور والصروح الباذخة فحسب وبل تحافظ انت ذكرى الموت الّذي هو اوّى وشديد المراس كما لا يتغيّب عن بالك ايضاً ذالك المكان الّذى لا مناص منه ولا بُدّ لك من الذّهاب اليه فى نهائية الامر

شعـــر ٥٩

يافريد! فلتنصرف عن تلك الاعمال الّتى ليس اىّ خير او منفعة فيها اطلاقاً فعليه تنساها نسياناً تماماً والّا سوف تخجل بفعل هذه اعمالك القبيحة بمحضر الرّب مطرق الرّأس

شعـــر ٦٠

يافريد! انت تلازم بخدمة مولاك عما يجب عليك تغاضياً عن كلّ الاوهام والاباطيل الدّنياويّة الّتى لا اساس لها قطّ بحيث انه يتعيّن على الاتقياء والزّهاد ان يختار والمثابرة والقناعة كاشجار الّتى لا تتزحزح عن مكانها

شعـــر ٦١

يافريد! امّا ثيابى وملابسى فلون كلها اسود بمظهرى زاهداً متقياً لكن فى الواقع امرى يخالف الحقيقة تماماً بما ان باطنى فى اطواء قلبى حافل بآثام وبينما انا هائماً على وجهى فيعتبرُنى النّاس درويشاً ناسكاً.

شعـــر ٦٢

انّ المزرعة الّتى تفسّدت وذبلت مرّة واحدة لا يمكن لها ان تُصبح اخضر ثانياً ولو ان انغمست بها فى الماء وهكذا على نفس الطّريق الحيوة الّتى مثالها مثل المرأة حينما تفترق عن زوجها الرّب لا تزال

تتأنّى الآلام مهما ندمت ندامةً

شعـــر ٦٣

اذ عادت المرأة عذراء فكم اكثر كانت هى تتنهّد على الزّواج
لعلّ بهجّ دان اصبحت متزوّجةً فهى لقد ارتبكت ارتباكاً
فى الامور العائليّة ــ يا فريد! هى الآن ترغب كلّ الرّغبة ليتها
بقيت عذراء بدون الزّواج على حالتها السّابقة

شعـــر ٦٤

قد نزلت عِدّة مِن إوَزّ على بِركة ما محاطةً بأرض السّبخة قليلة
الماء فبما اذ كانت هُنّ غمست منقارهنّ فى البِركة الضحلة امتنعن عن
شرب الماء لسبب الماء عونه كدراً ومِن ثُمّ حدثت الرّغبة فى قلبهنّ
فى الطيران عنها حالاً (وهنا اشارة الى عدم الرّضى مِن الرّجال الصالحين
بمعاشرة وتعايش مع الرّجال غير المرغوب فيهم)

شعـــر ٦٥

قد طارت الإوزّ الى حقلُ كودهِ أحيث جلس فيه غيرامته
سرعان ما انتبه النّاس الى امر نزولهنّ فى الحقل فقد اسرعوا حالاً
حتّى يُطيروهنّ عن الحقل مخافةً لحاق الاضرار بزريع "كودهِا" فللأسف
لا يعرف هؤلاء النّاس السّذج بانّ لا تاكل الإوز نبات "كودهـا"
قطّ.

شعـــر ٦٦

تلك الطّيور الّتى استقرّت البِرك مُنذ الزّمن لا يمكن حصره
فقد طِرنَ واحداً بعد آخر ــ يا فريد! بمجرّد ان تدفّقت بركة
عمرك فوق حافّتها سيلزم الرّحال عنها بمفردك غير مصطحباً

بها ان يُطيّرها بالسّيف قتلاً

شعــــر ٧٢

تلك الرّأس العاتية الّتي ليست مُستعدّة للاحناء امام مولاها الله فلتقطع هذة الرّأس تقطيعاً مما يجب ان تُضعَ هذه الرأس تحت القِدر لغرض الاحتراق كحطبٍ تحويلاً الى الرّماد

شعــــر ٧٣

يافريد! اين والدتك ووالدك الّذي انجب لك؟ فقد تغرّبا كلاهما عن هذا العالم الزّائل هل لم تتأكّد من عدم استقرار هذه الدّنيا بالرّغم من مشاهدة هذا المظهر كلّه؟

شعــــر ٧٤ محلّه ٥٠

يافريد! اجعل قلبك ميداناً مُستوىً بعد ازالة امكنة مُرتفعة و والمنبثة من الاباطيل والخزعبلات لانّه اذا ما عملتَ على هذة الموعظة لن تتقرّب بك نار الجحيم اطلاقاً

شعــــر ٧٥

يافريد! ان الله الخالق لكلّ العالم فهو يسكن في المخلوق كلّه و كذالك المخلوق يسكن في الله فاذاً فيمن يسكن القول بالّذي السوء في حين ليس في امكان وجود لايّ شيئٍ بدون ذاته البارى تعالىٰ

شعــــر ٧٦

يافريد! يوم كانت المولّدة فصلت حبل السّرى عن بطنك عند ولادتك هم كان هو الافضل لو كانت هي قطعت رقبتي عندئذٍ ايضاً فاذاً لما كنتُ تأتيتُ هذة المصائب بكثرتها متتالياً

شعـــــر ۷۷

فقد آن الآوان الّذی عجزت فیه الاسنان عن مضغ الطّعام ولا یعد ویمشی القدمان عن الضعف وکذالك ما لبث الاذنان تصغی الی موت وهما اصبحا صمّاء فاذ ألمّا شاهد الجسد هذا المظهر الّذی کانت تلك الاعضاء کلّها اصدقاء له فقد بدأ فی البکاء صارخاً باعلی الصوت: یا للتّعاسة فقد فارقنی اصدقائی الاحبّاء متروکاً فی جمّ المصائب

شعـــــر ۷۸

یا فرید! یلیق بك ان تسدی الاحسان حتّی للرّجل الشّقی ولا تسخط علیه لانّه نیما اذا عملت هکذا لن یصیبك ای مرض وبذالك سیکون فی امکانك الحصول علی کل الشّیئ المرغوب فیه

شعـــــر ۷۹

یا فرید! انّ الارواح الّتی مثالها مثل الطّیور فانت تری بعینیك بان کلّهن نازلة منیفاً علی اجمل جنینة الدّنیا الّتی خاضعة نفسها للزّوال وما هو الآان یفجر الصّباح وتضرب علی النّقّارة حتّی یستعد دن کلّهن للرّحیل استعداداً

شعـــــر ۸۰

یا فرید! لا یوزع عطاء الملك من عبادة الله الّا فی اللّیل فحسب علی ان اولئك الرّجال الذین ما داموا نائمین مستغرقین فی النّوم العمیق لا بدّ من ان یحرمون من هذا العطاء

شعـــــر ۸۱

یا فرید! کنت اظن باننی لا ازال محاطاً بالآم بمفردی لکن فقد انکشف الامر علی الآن بانی لست بواحد الّذی یتانی تحت غمرات الهموم وبل العالم باکمله عرضة للمصائب والفواجع واضافة الی ذالك

لمّا صعدتُ الى سطح بيتى فشاهدتُ بان البيوت كلها مضطرمة تحت نار الآلام فى كلّ مكان

شعر ٨٢ معلّم، ٥

يا فريد! هذه الارض التى تظهر رائعة بسنائها و زهوتها و حافلة بالالوان الافراح على الاختلاف فهى بمثابة الجنينة التى تتواجد فيها اشواك الهموم منتشرة هُنا و هنالك بالرغم من كلّ ذالك فالمرء الذى يحترم المعلّم المرشد مَن يهدى الى سبيل الله لا يمكن لحاق به اىّ نار الاوجاع و الآلام اطلاقاً

شعر ٨٣ معلّم، ٥

يا فريد! نادراً ما يُوجد الرجال مَن مَرزوق لهم اجمل الجسد وطويل العمر و فى نفس الوقت الى جانب ذالك يكونون هم يحبّون الله ايضاً

شعر ٨٤

ايها المجرى الماء جارياً فى القناة لا تهدم الضفتين بجوارك ظلماً و اعتسافاً بحيث انّك ملزوماً ان تكون مسؤولاً امام الله عن محاسبة كلّ ذالك تصرّف اعمالك الجائرة فى نهاية الامر

شعر ٨٥

يا فريد! فقد اتى طول النهار الى نهايته فى وسط الهموم و الاوكذالك انقضى الليل وسط اشواك الآلام هُوذا الملّاح واقف على ضفّة النهر ينادى مناداةً عاليةً: ايّها الركاب فقد تورّطت السفينة فى دوّامة فاحتفظوا على ارواحكم باسرع ما يمكن۔

شعر ۸۶

يجري النهر الطويل وهو يُسقط الضفاف بفيضانه لكن كيف يمكن للمدّ وامة ان تلحق الاضرار بالزّورق جارياً في وسط النّهر اذا كان الزّورق نشيطاً منتبهاً و يكون هو قد اخذ حيطته التامّة

شعر ۸۷

يا فريد! من المحتمل ان تجد عشرات من احبّاء يتحدّثون كلاماً كثيراً مُظهرين انعطافهم عليك لكن فيما اوردت بحثاً عن الصّديق المخلص سليم النيّة لن تجدَ حتّى واحداً من بينهم قطعاً انّه انا استمرّ في البحث عن امثال هٰؤلاء الاصدقاء المخلصين و لا ازال احترق بنفسي عما يحترق حطبة روث الجاموس مثيراً الدّخان منه عديم اللّهاب

شعر ۸۸

يا فريد لهذا اجسدي الطمّاع ينبح عبثاً بدون جدوى نعليه انا نظراً الى الامر بان مَن يتضايق مِن نباحه فترةً بعد اخرى كل اليوم نقد حشوتُ في اذنيه صمام القطن حتّى لا يقع اىّ صوت على اُذنيه مهما هبّت الارياح بشدّتها

شعر ۸۹

يا فريد! فقد نضجت نخل اللّه اذ تجري انهُر العسل لكن هُهُنا الى هذا الجانب ايّما يوم يقضي معنا فهو ينقّص العمر تنقيصاً

شعر ۹۰

يا فريد! فقد ذبل الجسد حتّى هو تحوّل الى هيكل العظام ومِن ناحية اخرىٰ تستثمر الغربان هٰذا الوضع الواهن ونتقد هذا الجسد بمنقارها
يا للتعاسة مِن حظ الانسان انّه لم يتحقّق له الوصال بالله حتّى الآن

شعر ٩١

انّ الغربان والنّسور اختطفن اللّحم كلّه الملاصق بجسدى الواهن حتّى قد اتى الدّور للاكل على عينىّ

ايتها الغربان والنّسور لاتمسّسن هاتين العينين منّى لانّه لايزال املى قائماً حتّى الآن فى الهواء قلبى بعد المشاهدة حبيبى الله بنفس هاتين العينين

شعر ٩٢

ايتها الغراب لا تنقد هيكل جسدى المتجفّف وفيما اذا قطنتَ انتَ فى هذا المكان فلتطر من هنا حالاً

على انّه اوصيك بان لا تاكل لحماً من ذلك الجسد الّذى يسكن فيه الحبّ للّه

شعر ٩٣

هو ذا فريد ينادى القبر مناداة بالناس صارخاً باعلى صوته:

ايها الرّجل المتنفّس للتقيّد روحه فى الجسد الزائل اذا انتَ بدون البيت فلتاتِ الى بيتك الحقيقى لانّه ها هو انا بنفسى بيتك بما ان لاريب فى هذا الامر بانّك سوف تاتى الىّ فى نهاية المطاف لا محالة فعليه لا تخش منّى اطلاقاً انتَ

شعر ٩٤

كم من كثرة عدد الرّجال الّذين هم قد سبق ان سافروا من هذا العالم وهذا الامر فقد شاهدته بمشاهدة ام عينيك هو ذا فريد! النّاس كلّهم منهمكون فى شؤونهم الذاتيه انهماكاً تاماً وتهمّهم مصالحهم الشخصية لكن خلافاً لذلك الامر الّذى يهمّنى فهو الانجذاب تاماً فى ذكر الله ليس والاّ

شعـــر ٩٩

يا فريد! يجلس مالك الحزين على ضفاف النهر وهو يلعب يطفر فرحاً وبينما هذا مالك الحزين يتلاعب نشيطاً اذ قد انقض العقاب عليه فجاة وبذالك فقد طار عقل مالك الحزين شعاعاً عند هذه لحظة انقضاض العقاب المفاجئ يُراد به حكم القضاء والقدر فاذاً تامّل قليلاً واعتبر الدرس من ذالك ان كلّ تلك الامور التى لم يتوقع مالك الحزين حدوثها قط فى اىّ حين كيف احدث الله معه ان تمرّ عليه منذ كلّ توقعاته

شعـــر ١٠٠

انّ جسد أو رُوحَ البشر كلّ منّا يتحرّ كان هُنا وهناك استناداً للطعام والماء بينما قد جاء هذا المرء الى هذه الدنيا وهو متعلقاً على الامانى والرّغبات لاحصر لها غير انّه حينما يحدث قدوم ملك الموت فسوف هو يحطّم كل الابواب حطاماً وبالتّالى سيُودّع له اذ ذاك اعزّته واقاربه مع الموت وهو يكون موثوقاً أشدّ الوثاق

ها انتم ايتها النّاس! لقد استعدّ الآن البشر للرّحيل مفارقاً هذه الدّنيا وهو مصطحباً باربعة رجال الّذين يحملونه على اكتافهم موضوعاً على خشبة النعشة!!

يا فريد! انّما تنفعك تلك اعمالك من الخير فحسب فى محضر الله الّتى تكون انتَ عملتَ بها مدى حياتك على هذه الارض

شعـــر ١٠١

يا فريد! فلتكن نفسى فداء أبا الطّيور الّتى يُسكنّ فى الغابات اذ هى ينقرن فيها الحصيات والحصباء لطعامهنّ بدون الطّمع فى احتكار الطّعام لليوم المقبل معوّلة على ذات الله بينما لا يفارق ذكر الله منهنّ

اطلاقاً

شعر ١٠٢

يا فريد! فقد وقع التقلّب في الجوّ بما قد ارتعدت الغابات كلّها ارتعاداً اذ في نفس الوقت سقطت اوراق الاشجار تماماً وبالرغم من انا توسعتُ بنواظري الى اقصاه وتجوّلتُ في اتّجاهات اربعة مع ذالك لم اجد ايّ السكون لقلبي او الاستقرار له

شعر ١٠٣

يا فريد! عليك ان تُمزّق ملابسك الحريرية تمزيقاً محوّلاً لها الى الاسمال البالية الرثّة حتى انّك ترتدي هذه الاسمال عُنواناً للتّواضع والانكسار بما ان يليق بك انّما تلبس تلك الثياب فحسب بما يتسنّى لك الوصال بحبيبك الله.

شعر ١٠٤ محله، ٣

ايتها المرأة لماذا تمزّقين ثيابكِ وترتدين الرداء الرث بلا جدوى للعرض على النّاس بظهوركِ الى اهدة قاصدة بذالك الوصال ببعلكِ الله

يا نانك! لو كانت خلصت هي نيتها تجاه زوجها الله تكون هي لقد حظيت بوصال بزوجها وهي جالسة في البيت بالذّات لا حاجة التّجول في الغابات او القفار

شعر ١٠٥ محله، ٥

يا فريد! انّ كلّ الرجال الّذين يباهون مُباهاة بثرواتهم وبالكتآ المدامُ وشبابهم الطري لا بدّ ان هم ينصرفون عن هذه الدّنيا محرومين من ذكر الله في قلوبهم بحيث ان الهضاب الّتي تقع على مرتفعات باذخة بقيت جافة عند ما تمطر السماء بدون اختزان او استيعاب حتّى قطرة واحدة من الامطار

شعر ١٠٦

يا فريد! كم البشع واكثر دمامة تلك وجوه الناس الّذين تغيب

شعر ۱۱۱ مطلع ۵۰

یا فرید! انك قد صبغت قلبك بصبغة هذه الدنیا الخاضعة للزوال ولم تقم انت بای اعمال الخیر مادمت حیاً فی هذا العالم. اما التی هادو الفقس او فحیاتهم وعرة وخشنة غیر انه لایمکن الحصول علی مثل تلك الحیاة الا من یکونون هم احسن الحظ

شعر ۱۱۲

ان تسبیح ذکر الله فی هزیع اللیل الآخر فهو بمثابة تفتح الزهرة التی تزهر قبل اتیان الثمرة بای الشجرة. انما اولئك الرجال هم سوف یحصلون علی ثمرة الوصال بالله من لایزالون ساهرین فی ذکری الله فی اُخریات اللیالی

شعر ۱۱۳ مطلع ۱۰

لاحول ولاقوة لاحد ازاء مشیئة الله الرزاق المعطی بحیث ان من لا یُعطی له هبة وهو ساهر اجاهد او من یُعطی له عطیة ایقاظاً له وهو غارقاً فی النوم العمیق

شعر ۱۱۴

ایتها روح المرأة المتزوجة الطالبة الله فیما اذا لم یتوفی لك الوصال بزوجك الله فلتاعدی بان لا محالة یتواجد احدی من النقائص فی ذاتك بحیث ان المرأة التی یکون قد تم قرانها علی زوجها قراناً کمیثاق لاینفك فهی لا تلتفت الی الرجل الآخر الازوجها فحسب

شعر ۱۱۵

فیما لو کان قلبك قوس القناعة ولکن الك کانت هی القوس من قودة بوتر الصبر والمثابرة علی الشدائد فلتاعدی کل التاعد من ان لن یطیش سهامك عن الهدف اطلاقاً

شعر ١١٦

انّ الرّجال مَن يتمسّكون بالصّبر غير مجتازين حدود القناعة اذ تحترق اجسادهم فى ذهب الله فهم يخيطون شفاههم خيلطة ولا يكشفون لاحد عن اسرارهم او خبايا الصّدر قطّ

شعر ١١٧

ايها اليشى يمكن تعبير عن كلمة الصّبر هكذا فيما اذا وطّدت عزمك توطيدا على التّقدّم للامام فاذا هذا النّهر الّذى يتراءى فى نظرك مترامى الاطراف واسع العرض سوف يتحوّل حينئذ الى التّرعة الصّغيرة وسيكون عبوره بثبات عزمك سهلا جدّا عليك عندئذ

شعر ١١٨

يا فريد! انّ تفضلو الحياة كحيوة الدّرويش او التّى اهدها وامر صعب جدّا او اشدّ استحالة غير انّه انّما انت الّذى يدّعى بصفتك درويشا فيبدو عشقك بالله سطحيا بحيث ان نادرا ما ينتهج احد سبيل الزّهاد او عباد الله بسبب وعورتها واستحالة تتبّعها

شعر ١١٩

فيما لو بلغ امرى لحدٍ بان يحترق جسدى مثل حسى الوطيس وتفرقع عظامى كفرقعة الحطب وكذالك يستلزمنى المشى على رأسى بدلا من قدمين بعد ان تعيت قدماى مع ذالك كلّه فلنا سوف اتكبّد مهما كانت الشّدائد وتعدّدت وعظمت النّوائب لاجل الوصال بحبيبى وهو الله فى كل حالٍ

شعر ١٢٠ محلّه ١

لا تحترق انت بجسدك كحمى الفرن ولا تحترق عظامك مثل فرقعة الوقود لكن التساؤل الّذى اوجّهه اليك هو فما ذا هو الضّرر الّذى

الحقت بك هاتان القدمان والرأس فاعني به القدمين بانك تخترق الغابات والقفار والرأس التي تحملها الطماع او تفكيرات لاحصر؟ فلتأكد حق المعرفة من ان الله في داخل نفسك ليس والا

شعر ١٢١ معلم ٤

ان الروح التي مثالها مثل المرأة المتزوجة تقول: ماظللت ابحث عن حبيبي عبثاً في الخارج منذ وقت طويل فلا اسف هو موجود في داخل نفسي بالذات ولا غير في اي مكان آخر

يا نانك! هو مستحيل جداً على احد تثبيت الهوية او تحديد معرفة ذالك الحبيب الذي لم يسبق احد ان يعرفه غير انه قد يمكن الاهتداء اليه على شريطة ان نجد مرشداً كاملاً اذ بوساطته فحسب يمكن تحقيق الامل لنا

شعر ١٢٢ معلم ٣

ما عادان شاهد مالك الحزين اوزة وهي سابحة مع مشيتها البطل يختلب القلب حتى ثارت الرغبة في داخل قلب مالك الحزين في ان يتمثل بباشة الاوزة لكن كما هو لم يتقن السباحة اتقاناً تاماً مثل الاوزة فعليه قد غرق في الماء برأسه الى اسفل وبرجليه الى فوق مائتاً

شعر ١٢٣ معلم ٣

بحيث ان كنت موحياً بسوء الفهم بصفتي عديم الحيلة توهمت مالك الحزين هذا بالذات اوزة ذات شان عظيم فلذلك اخترت المخادنة ورفاقة معه مخطياً في تقديري

ياليتني كنت اعرف الحقيقة مسبقاً بان هذا مالك الحزين مغلوباً على امره فهو خال من كل صفات الاوزة وهم اهون اذن قد

رتبطتُ نفسي به قطّ

شعـــــر ١٢٤ معلّم ١

هو على حدّ السّواء كان هو مالك الحزين او كانت هى اوزّة اذا لى اليمن

عان صار التفات الله اليه فلا بدّ ان يُصبح فائزاً ببركاته وافضاله حتماً

يا تلك ! دعك من هذ الحديث كلّه فيما لو شاء الله القدير كاليس هو

من المستبعد عنده ان يحوّل حتّى الغراب اسود اللّون من حالته عديم الحيلة الى

حالة الاوزّة ذات الشأن الرّفيع لاصبح امره مقضياً بدون لمح البصر

شعـــــر ١٢٥

فى هذه الدّنيا الّتى تشبه بركةً واحدةً فتعيش فيها نفس من البشر

كطائر واحدٍ نازلاً عند منفانها حيث هو محدقاً ليس بواحدٍ وبل بخمسين

صياداً بيت ما هو بمفرده مغلوباً على امره عرضة للمخاطر واقفاً منذ هشا محتاراً

اذ هو جسد البشر متورّط فى وسط امواج الآثام والاعمال السيّئة فيقول

مُستغيثاً بالله : يا ربّى الحقّ ها انت ذا الحسب عونى ومساعدتى ولا غيرك

من ذا الذى ينجينى الآن من هذه اللجّة وقد عَلَقتُ املى عليك بواحدك

شعـــــر ١٢٦

يا ربّى ! اىّ الكلمات الّتى اصف بها او ما فاق وكذالك اية الفلسفة

او اساليب التّعقل الّتى اعود اليها حتّى يمكننى توضيح خصائصك واجلالك

انا لا ادرى اىّ اللبّاس ارتديه لكيما يحلو لقلب زوجى الله وافوز

بحبّه

شعـــــر ١٢٧

هناك تُوجد ثلاثة امورٍ الّتى يجب عليك ان تأخذها فى الاعتبار

فاوّلاً هو اتّخاذ تواضع وانكسار وثانياً هو اختيار احسن طريق فى المحادثة

ستخدنا الكلمات الحلوة الأنيقة ونتظاهر بممارسة [illegible] عند [illegible]
[illegible] من الغش [illegible] أيتها البيت للتنزيه في [illegible]
[illegible] التي [illegible] وتعالي [illegible]
[illegible] وتأثيره حقاً

شعر ٣٣٧

الرجل من كان له [illegible] كان [illegible] كان هو [illegible]
[illegible] كان هو [illegible] شيئاً [illegible] استخدامه
[illegible] كان [illegible] إذا [illegible] على [illegible]
[illegible] لا يتناول طعامه [illegible] من [illegible] حقاً
ولا يبالي [illegible] [illegible] التي جل
هو الذي يمكن [illegible] أكثر [illegible]

شعر ٣٣٩

[illegible] أي [illegible] [illegible]
[illegible] الحقيقي [illegible] [illegible]
يكن [illegible] [illegible]
[illegible] [illegible] [illegible]
[illegible] لا يمكن [illegible] إطلاقاً

شعر ٣٤٠

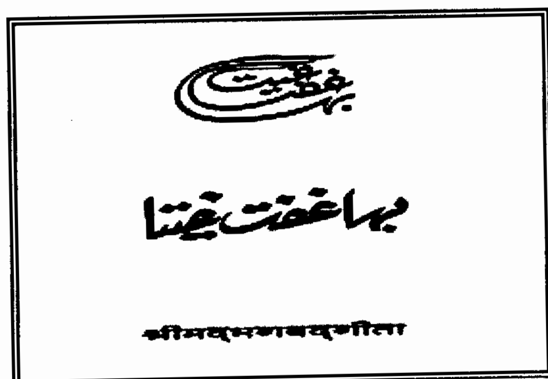
لا ريب فيه أن [illegible] الناس جميعاً [illegible] لأن [illegible]
ولا تهدم هذه [illegible] ليس [illegible] الله [illegible]
الناس

[illegible]

[illegible] لا [illegible]
[illegible]

لقد تمت مهمة الترجمة بعون الله المستعان به والمعوّل عليه
يوم الأحد في السابع عشر من تشرين الأول سنة ١٩٨٢ الموافق التاسع
والعشرين من ذي الحجة سنة ١٤٠٢هـ و[illegible] غرة من شهر كارتيك
سنة ٢٠٣٩ البكرماجيتية

مجذوب



من اصدارات دائرة المعارف الهندية

دائرة المعارف الهندية



المؤسس والمشرف العام

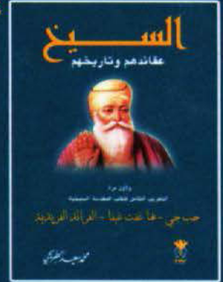
محمد سعيد الطريحي

١ - أعلام الهند (مجلدين).
٢ - ملوك حيدر أباد.
٣ - المملكة النظامية وأسرار الاسماعيلية المستترة.
٤ - الشيعة في العهد المغولي.
٥ - تحفة المجاهدين في أحوال البرتغاليين.
٦ - أخبار الهند والصين.
٧ - عجائب الهند بره وبحره وجزائره.
٨ - أسد الله غالب شاعر الهند.
٩ - المملكة البهمنية.
١٠ - تحية الهند (الهند في الشعر العربي).
١١ - المملكة العادل شاهية.
١٢ - أوراق الذهب.
١٣ - ملحمة الرامايانا
١٤ - الآلهة الهندية.
١٥ - مصادر الدراسات الهندية.
١٦ - ديانة السيخ.
١٧ - مملكة أوده.
١٨ - طاغور (دراسات ومختارات).
١٩ - مملكة الجك في كشمير.
٢٠ - جماعة الخوجة الاثني عشرية.
٢١ - تاريخ الشيعة في الهند.
٢٢ - مملكة رامبور.
٢٣ - الروابط الثقافية بين النجف والهند ووضع وقف أوده الشيعي.
٢٤ - السيخ تاريخهم وعقائدهم.
٢٥ - الحصن الحصين في أحوال الوزراء والسلاطين.
٢٦ - الحساب الهندي
٢٧ - الزرادشتية
٢٨ - تاريخ اليميني
٢٩ - سبحة المرجان
٣٠ - الأحمدية القاديانية في ميزان الحق
٣١ - أطلس الخطوط والكتابات الإسلامية في الهند (مجلدين).

الفهرس

MOHAMMED SAID AL TOURAIHI

SIKH THEIR HISTORY AND TENETS



تعتبر ديانة السيخ نموذجاً للديانات التوفيقية التي تقوم على الانتقاء والتأليف بين العناصر الروحية والفكرية المستمدة من مصادر مختلفة، ويعود تأسيس هذه الديانة إلى المفكر الهندي نانك Nanak (١٤٦٩ . ١٥٣٨).

ومثلما كانت المانوية قد وَفَّقت بين عناصر من المسيحية وأخرى من الزرداشتية فإن مؤسس السيخ نانك وَفَّق بين عناصر مستمدة من الإسلام وأخرى مستمدة من الهندوسية، وتبدو العناصر الإسلامية واضحة في قيام ديانة السيخ على فكرة التوحيد، والاعتراف بإله واحد أحد، وإن كان اسم هذا الإله غير محدد، فهو تارة رام Ram وتارة براهما Brahma وتارة هاري Hari وهذه الأسماء وأمثالها تعود إلى مصادر هندوسية؛ أما العناصر الدينية الهندوسية في ديانة السيخ، فتتمثل في فكرة التحرر أو الخلاص، حيث يتم الخلاص عن طريق ما يسمى بـ (البهاكتي Bahakti)، ويمثل البهاكتي في المصادر الهندوسية، طريق المحبة والورع والإيمان وهذه الفكرة موجودة في التراث الهندوسي القديم، وقد وجدت أفضل تعبير عنها في كتاب البهاكا فادجيتا Bhagavad Gita المقدس.









للدراسات
والنشر
والتوزيع



القدس 2009
عاصمة الثقافة العربية